



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

تعلييل الأءلاق في القرآن الكريم جمعا ودراسة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

أروى بنت عبدالله بن علي المزرم

الرقم الجامعي: ٤٣٨٨٠١١٢

إشراف الأساذ الدكتور:

محمد عبدالسلام كامل أبو خزيم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م



ملخص الرسالة

عنوان البحث: تعليل الأخلاق في القرآن الكريم جمعاً ودراسة.
 المشرف: أ.د. محمد بن عبد السلام أبو خزيم.
 الطالبة: أروى بنت عبدالله بن علي المزم.
 الدرجة العلمية المطلوبة: الماجستير في التفسير وعلوم القرآن.
 الهدف من البحث: جمع المواضيع التي عُلِّت فيها الأخلاق في القرآن الكريم، ودراستها دراسة تفسيرية، مع الترتيب الموضوعي لها للوصول إلى مقاصد تعليل هذه الآيات.

خطة البحث: تشتمل على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس، وعناوين الفصول كالآتي:

الفصل الأول: أنواع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: تعليل الأخلاق الفردية.

الفصل الثالث: تعليل الأخلاق الأسرية.

الفصل الرابع: تعليل الأخلاق الاجتماعية.

الفصل الخامس: مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

أهم النتائج:

١. أثبت تقصّي مواضع تعليل الأخلاق في القرآن أنه سبحانه لم يعلّل خلقاً إلا لفائدة وحكمة.
٢. يُعلّل الخلق في القرآن بالحرف وبالاسم وبالجملة، كما يعلّل بطرق أخرى.
٣. قد يأتي تعليل الخلق في أول الآية، أو في وسطها، أو في آخرها، كما قد يُعلّل الخلق بأكثر من تعليل وتتعدد مواقعها في الآية الكريمة، فيتقدم المعلول على العلة، والعكس.
٤. لتعليل الأخلاق في القرآن الكريم مقاصد كلية، منها ما هو دنيوي كمقصد الإصلاح الدنيوي الذي يشمل ما به صلاح حال الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا، ومنها ما هو أخروي وهو أن يكون المقصود من شرع الخلق جلباً للشواب أو دفعاً للعقاب.

أهم التوصيات: دراسة الموضوعات الآتية:

١. تعليل ما أمر به النبي ﷺ في القرآن الكريم، وأثر هذا التعليل في تعميم الحكم.
٢. تعليل الدعاء في القرآن الكريم، فلا شك أن ختام أكثر أدعية القرآن بتعليل يدعو لإفراد الموضوع بالبحث، لا سيما وأن مما يندرج تحت الدعاء: الاستعاذة وألوان من الأذكار وغير ذلك.
٣. تعليل الأعمال القلبية في القرآن الكريم كالتقوى والتوكل والخوف والرجاء وغيرها.
٤. تعليل العقوبات الدنيوية والأخروية في القرآن الكريم.

Abstract

Research Title: *Explanation of Ethics in the Holy Quran, collection and study.*

Supervisor Professor: *Mohammed Bin AbdulSalam AbuKhuzayem*

The student: *Arwa Abdullah Ali Almezam.*

Required Academic Degree: *Master's Degree in Interpretation and the Science of the Holy Quran.*

- The aim of this research to collect the places on which Ethics are explained in the Holy Quran, and to study them as an expository study, with the objective arrangement of them in order to reach the purposes of explaining these verses.

Research Plan: *It includes:*

- An introduction,
- Five chapters,
- Conclusion,
- Indexes,

And chapters Headings as follows:

- Chapter One: *types of Explanation of Ethics in the Holy Quran.*
- Chapter Two: *The Explanation of Individual Ethics.*
- Chapter Three: *Explanation Family Ethics.*
- Chapter Four: *Explanation of Social Ethics*

Reach Mythology: *Deductive inductive approach.*

Main Results;

1. Investigating places of Ethics reasoning in the Holy Quran proved that the Almighty did not explain creation except for benefit and wisdom.

2. Ethics is explained in the Holy Quran by:

- Prepositions, noun, sentence and other tools.

3. The Explanation of creation may come at the begging, in the middle, or at the end of the verse, just as ethics may be explained by more than one reasoning and there are many locations in the noble verse, so the cause may come before effect and vice-versa.

4. The explainion of Ethics in the Holy Quran has universal purposes, some of them worldly which includes what is good for the individual, family and society, and some of them are other-worldly which is intended to bring reward or push for punishment.

Main Recommendations- *Study the following topics:*

- 1) Explain of what the (Prophet mohammed peace be upon him) was commanded in the Holy Quran, and the effect of this reasoning on generalizing the ruling.
- 2) Explain the supplication in the Holy Quran.
- 3) Explanation of heart actions in Holy Quran
- 4) Explain of worldly and other-worldly punishment in the Holy Quran

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدىً للناس ومرشداً، والصلاة والسلام على نبي الهدى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتدى.

وبعد؛ فلما كان الدين كله خلقاً، ولأن النبي ﷺ يقول معللاً بعثته بتعليل جامع: "بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(١) ظهرت عناية هذه الأمة بالجانب الخُلقي تقيماً وسلوكاً.

وقد كان النبي ﷺ على أتم المراتب وأعلاها من حسن الخلق، ولما سئلت زوجه عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خلقه قالت: "كان خلقه القرآن"^(٢).

فالقرآن إذن هو منبع الفضائل والأخلاق الحميدة؛ وهو الهادي لكل خير كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ [الإسراء: ٩] "أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أمورهم"^(٣).

ومن الأساليب القرآنية التي حثت على التحلي بفضائل الأخلاق: أسلوب التعليل؛ فقد جاء القرآن الكريم معللاً لكثير من الأخلاق، وتعليل الحكم يفيد تأكيده ومزيد العناية به، وذلك أدعى لقبوله "وإن كان سبحانه غنياً عن البيان والتعليل؛ لأنه يأمر فيطاع،

(١) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٦١٣/٢) برقم: (٤٢٤٤) (كتاب آيات رسول الله ﷺ التي في دلائل النبوة) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥٩٤٧/١١) برقم: (٢٥٢٤٠) وأخرجه مسلم في "صحيحه" (١٦٨/٢) برقم: (٧٤٦) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض) (بنحوه مطولاً) (١٧٠/٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٥٤).

ولكن في بيان الحكمة تخفيفاً من مشقة التكليف، وفيه تعويد المسلمين بتلقي الشريعة معللة مذلة" (١).

وقد ورد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم في أكثر من مائة وخمسين آية، على صور شتى من أساليب التعليل؛ لحكم متعدّدة ومقاصد جليّة، سأتناولها بالدراسة في هذا البحث بإذن الله.

أهمية الموضوع:

١. تبرز أهمية الموضوع في تعلقه بكتاب الله عزّ وجلّ، وتعلقه كذلك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، التي بها قوام حال الأفراد والأسر والمجتمعات.
٢. تبرز أهمية الموضوع كذلك في دراسة علل الأخلاق التي وردت في القرآن، وللتعليل في القرآن فائدة عظيمة "فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها" (٢).
٣. في دراسة علل الأخلاق في القرآن تبييه على مقصد الشارع من التعليل بها، إذ الوقوف على الحكم والغايات في الإسلام له أثره البالغ في تهذيب أخلاق الفرد والمجتمع.
٤. الإشارة إلى أهمية كل نوع من أنواع الأخلاق التي ورد تعليلها في القرآن الكريم.
٥. لدراسة التعليل أثر كبير في بناء عقلية المفسّر العلمية وتمكّنه من أصول الشريعة ومقاصدها.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢/٣٢١).

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (١/٢٨٢).

❖ أسباب اختيار الموضوع:

١. ما سبق من بيان لأهمية الموضوع.
 ٢. جاءت الأخلاق الإسلامية في كثير من المواضع في القرآن الكريم معللة، ولم أقف على دراسة متخصصة تعنى بجمع هذه المواطن وتعيين مواضع التعليل فيها وإبراز مقاصده.
 ٣. اهتمام قسم الكتاب والسنة بموضوع التعليل القرآني وتشجيعه على طرق أبوابه، وقد سُجلت فيه رسالتان علميتان:
- الأولى: التعليل القرآني للأحكام الشرعية جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير للباحثة: ابتهاج تركستاني.
- الثانية: التعليل في القصص القرآني جمعاً ودراسة، رسالة دكتوراه للباحثة: نادية بنت حسن العمري.
- وكان من توصيات الباحثة ابتهاج تركستاني: دراسة التعليل القرآني للأخلاق؛ لإبراز التعليل القرآني وحكمته^(١).

❖ الدراسات السابقة:

- حظي التعليل في القرآن بالكثير من الدراسات ضمن عدة مجالات لغوية وشرعية.
- فالدراسات اللغوية المتعلقة بهذا الموضوع:
١. التعليل في القرآن الكريم دراسة نحوية، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى للباحث: سعيد بن محمد القرني، نوقشت عام ١٤٢١هـ.
- ذكر فيها الباحث أدوات التعليل في القرآن الكريم، ووسائله، وتقع في ٧٧٤ صفحة.

(١) التعليل القرآني للأحكام الشرعية لابتهاج تركستاني (ص: ٣).

٢. أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في جامعة بغداد للباحث: يونس بن عيد الجنابي.

وهي دراسة نحوية نشرت عام ١٤٢٤هـ، وتقع في ٣٧٦ صفحة.

٣. تراكيب التعليل في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود للباحثة: نورة بنت عبدالله الزعاقبي.

وهي دراسة نحوية نشرت عام ١٤٣٠هـ، وتقع في ٤٤٢ صفحة.

أما الدراسات الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، فهي:

٤. أساليب التعليل في القرآن الكريم، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في جامعة محمد الخامس بالمغرب للباحثة: أمينة سعدي، نوقشت عام ١٤١٢هـ.

وهي دراسة أسلوبية أصولية، قارنت فيها الباحثة بين أساليب التعليل عند اللغويين والأصوليين، وبينت بعد ذلك مسالك التعليل في القرآن الكريم.

٥. التعليل في القرآن الكريم دراسة وتفسيراً، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر للباحث: محمد سالم محمد، نوقشت عام ١٤١٥هـ.

أصل فيها الباحث للتعليل في القرآن الكريم ذكراً مسالكه وحروفه وفوائده.

٦. تعليل الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية، رسالة دكتوراه في جامعة محمد الخامس بالمغرب للباحثة: أمينة سعدي، نوقشت عام ١٤٢٢هـ.

وهي دراسة أصولية، وفقهية، اعتنت فيها الباحثة بتحرير المسائل المختلف فيها كالتعليل بالحكمة وغيرها.

٧. التعليل القرآني للأحكام الشرعية جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى للباحثة: ابتهاج بنت نور تركستاني، نوقشت عام ١٤٢٧هـ.

جمعت فيها الباحثة الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية، وأوصت بدراسة الآيات المتعلقة بالأخلاق؛ حيث لم يتضمنها البحث، سوى ما ذكرته في الباب الرابع من آداب

للتعامل مع الرسول ﷺ وذلك في ست آيات، وآداب عامة في ثمان آيات فقط^(١) ولم تستغرق كافة الأخلاق الواردة في القرآن الكريم، وتقع الرسالة في ٧٥٠ صفحة.

٨. التعليل في القصص القرآني جمعاً ودراسة، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى للباحثة: نادية بنت حسن العمري، نوقشت عام ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.

جمعت فيها الباحثة مواضع التعليل في القصص القرآني، ودرستها دراسة تفسيرية، وتقع الرسالة في ٨٨١ صفحة.

• يظهر من القائمة السابقة عدم وجود دراسة متخصصة في التعليل القرآني للأخلاق، وهذا ما أفاد به مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية.

🔗 أهداف البحث:

١. جمع المواضع التي عُلِّت فيها الأخلاق في القرآن الكريم.
٢. دراسة هذه الآيات دراسة تفسيرية، مع الترتيب الموضوعي لها للوصول إلى مقاصد هذه الآيات، وما اشتمله الأمر الرباني بالتحلي بهذه الأخلاق من حُكْم وهدايات.
٣. استخراج الحكم والهدايات المستنبطة من دراسة الأساليب التعليلية.
٤. استنباط مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم.

🔗 منهج البحث:

- سيعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، على النحو الآتي:
١. جمع الآيات التي اشتملت على تعليل الأخلاق المأمور بها، أو المنهي عنها.
 ٢. تصنيف الآيات بضم النظر إلى نظيره؛ ليخرج البحث في قالب موضوعي

(١) في الصفحات: (٦٠٨ - ٦٩٦).

منطقي الترتيب.

٣. دراسة هذه الآيات دراسة تفسيرية، مع العناية بإبراز موضع التعليل، ونوعه، وأقوال المفسرين في بيان هذا التعليل.

٤. ذكر الفوائد من التعليل إما نقلاً عن المفسرين، أو استنباطاً من الباحثة بعد دراسة الآية، أو الآيات التي تعلل الخلق.

٥. استنباط الحكم والمقاصد والهدايات من تعليل الشارع للأخلاق.

✪ إجراءات البحث:

١. عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها برسم المصحف الشريف.

٢. توثيق القراءات - إن وجدت - بذكر من قرأ بها، وعزوها إلى مصادرهما، وبيان صحيحها من شاذها.

٣. تخريج الأحاديث من كتب السنة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليه دون ذكر الحكم عليه، وإن كان في غيرهما أنقل أحكام العلماء على الحديث إن وجدت.

٤. تخريج الآثار والمرويات التفسيرية من مظانها.

٥. التعريف بالمصطلحات العلمية: أصولية كانت أو فقهية أو لغوية أو غير ذلك من مصادر المعتمدة.

٦. عزو النقول والأقوال إلى مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة عند أول ذكر له، وأما بيانات الكتاب كاملة من اسم الطبعة وتاريخها ومكانها فمذكور في قائمة المصادر والمراجع؛ تخفيفاً للحاشية.

٧. عزو الأشعار إلى قائلها في دواوينهم - إن وجدت - أو بالرجوع إلى كتب اللغة

والأدب.

٨. إلحاق كشافات فنية لما تضمنه البحث من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآيات الشعرية، والمراجع، والموضوعات.

❖ هيكلية البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد وفيه:

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

١- تعريف العلة لغة واصطلاحاً.

٢- تعريف التعليل.

٣- تعريف الأخلاق.

٤- المراد بتعليل الأخلاق في القرآن الكريم.

ثانياً: فوائد التعليل في القرآن الكريم.

الفصل الأول: أنواع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعليل من حيث الأفراد والجملة.

المبحث الثاني: التعليل من حيث موقعه في الآية.

المبحث الثالث: التعليل من حيث موقعه من المعلول.

الفصل الثاني: تعليل الأخلاق الفردية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعليل الأخلاق الفردية المحمودة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليل خلق الصدق.

المطلب الثاني: تعليل خلق الصبر.

المطلب الثالث: تعليل خلق الشكر.

المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الفردية المذمومة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليل خلق العجب وتزكية النفس.

المطلب الثاني: تعليل خلق اليأس.

المطلب الثالث: تعليل خلق الحسد.

الفصل الثالث: تعليل الأخلاق الأسرية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعليل الأخلاق الأسرية المحمودة، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعليل خلق بر الوالدين.

المطلب الثاني: تعليل التربية الأخلاقية للأسرة.

المطلب الثالث: تعليل خلق صلة الرحم.

المطلب الرابع: تعليل خلق حسن العشرة الزوجية.

المطلب الخامس: تعليل خلق القوامه.

المطلب السادس: تعليل خلق الصلح بين الزوجين.

المطلب السابع: تعليل خلق العفو، وحفظ الفضل بين الزوجين.

المطلب الثامن: تعليل خلق الإحسان إلى المطلقات.

المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الأسرية المذمومة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعليل خلق العقوق.

المطلب الثاني: تعليل خلق قتل الأبناء.

المطلب الثالث: تعليل خلق قطيعة الرحم.

المطلب الرابع: تعليل خلق ظلم الزوجات.

المطلب الخامس: تعليل خلق العضل.

المطلب السادس: تعليل خلق الإضرار بالمطلقة.

الفصل الرابع: تعليل الأخلاق الاجتماعية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعليل الأخلاق الاجتماعية المحمودة، وفيه واحد وعشرون مطلباً:

المطلب الأول: تعليل خلق التثبث في الأحكام.

المطلب الثاني: تعليل خلق رد الأمر إلى أولي الأمر، وعدم نشر الشائعات.

المطلب الثالث: تعليل خلق غض الصوت.

المطلب الرابع: تعليل خلق التشفع الحسن.

المطلب الخامس: تعليل خلق التحية وردّها.

المطلب السادس: تعليل خلق إصلاح ذات البين.

المطلب السابع: تعليل خلق الكلمة الطيبة.

المطلب الثامن: تعليل خلق التناصح.

المطلب التاسع: تعليل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال

بالتي هي أحسن.

المطلب العاشر: تعليل خلق غض البصر.

المطلب الحادي عشر: تعليل خلق الاستئذان، والرجوع عند عدم الإذن.

المطلب الثاني عشر: تعليل خلق إيفاء الكيل والميزان.

المطلب الثالث عشر: تعليل خلق العدل.

المطلب الرابع عشر: تعليل خلق الوفاء بالعهد.

- المطلب الخامس عشر: تعليل خلق الثبات والوحدة، وعدم التنازع.
- المطلب السادس عشر: تعليل خلق التفسح في المجالس.
- المطلب السابع عشر: تعليل خلق العفو عند المقدرة.
- المطلب الثامن عشر: تعليل خلق الإجارة.
- المطلب التاسع عشر: تعليل خلق الإحسان لليتامى.
- المطلب العشرون: تعليل الإنفاق بإحسان والتحلي بأخلاق المتصدقين.
- المطلب الحادي والعشرون: تعليل التحلي بأخلاق عباد الرحمن.
- المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الاجتماعية المذمومة، وفيه أحد عشر مطلباً:
- المطلب الأول: تعليل خلق السخرية واللمز والتنازب بالألقاب.
- المطلب الثاني: تعليل خلق الغيبة.
- المطلب الثالث: تعليل خلق ترك التناصح.
- المطلب الرابع: تعليل خلق الخضوع بالقول.
- المطلب الخامس: تعليل خلق رد سباب المشركين.
- المطلب السادس: تعليل خلق الكبر والاختيال.
- المطلب السابع: تعليل خلق سوء الظن.
- المطلب الثامن: تعليل خلق الغدر والخيانة.
- المطلب التاسع: تعليل خلق أكل أموال اليتامى.
- المطلب العاشر: تعليل خلق الإسراف والبخل.
- المطلب الحادي عشر: تعليل خلق المبالغة في الفرح بالدنيا.

الفصل الخامس: مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقصد إصلاح الفرد.

المطلب الثاني: مقصد إصلاح الأسرة.

المطلب الثالث: مقصد إصلاح المجتمع.

المبحث الثاني: المقاصد الأخروية لتعليل الأخلاق، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أن يكون المقصود من شرع الحكم جلباً للثواب.

المطلب الثاني: أن يكون المقصود من شرع الحكم دفعاً للعقاب.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس:

١. فهرس الآيات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الأبيات الشعرية.

٤. فهرس المراجع.

٥. فهرس الموضوعات.

وقبل الختام فإني أحمد في مقامي هذا المولى سبحانه إذ مهّد لي طريق العلم وأعان على سلوكه، فله الحمد حمداً يليق بجلاله وعظمته.

وأشكر بعد ذلك لوالديّ الحبيبين فضل رعايتهما، وجيل عنايتهما، وإحساناً نشأت فيه، لا زال حبله ممتداً يعرج بي إلى الخير كلّ، وما تركيتي لهما إلا كتزكية السحاب للبحر وهو من مائه، فجزاهما الرحمن عني خير ما جزئ والدًا عن ولده.

ويطيب لي أن أسدي من الشكر أوفره لزوجي الكريم الذي كان بحسن خلقه ملهمًا، وبطيب دعمه سانداً، فأحسن الله إليه، وتولاه بلطفه.

كما أصلُ بشكري ودعائي أصفياء الفؤاد إخوتي وأخواتي، حفظهم الرحمن وجعلهم للأمة ذخرًا، ولوالديَّ فخرًا.

كما أتقدم امتنانًا وعرفانًا بشكري الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور: محمد بن عبدالسلام أبو خزيم، المشرف على هذه الرسالة، فله الفضل بعد الله في تقويم ما اعوج، وتجويد ما خرج، وأدعو الله أن يمتّع بعلمه، وأن يكرمه بفضله.

والشكر موفور للمناقشين الفاضلين لقبولهما مناقشة هذا البحث وبذلهما الوقت والجهد في تصويبه وتتميمه، فشكر الله لهما ورفع في الدارين قدرهما.

وعبارات شكري تتقاصر عن أكرمتني بسخائها وإحسانها الدكتورة الغالية: نادية العمري حيث أمدتني ابتداءً وسجية كرمٍ طُبعتُ عليها بأكثر من أربعين مرجعًا، فلها الدعاء الوافر بأن يرزقها الكريم بركة العلم والعمل، وأن يضاعف لها المثوبة.

كما أشكر قسم الكتاب والسنة وأخص وكيلته الفاضلة الدكتورة: عفاف النمري التي كانت محفزةً بتفانيها وحسن سيرتها، وداعمةً بعطائها وجميل صلتها، فجعلها الله كالغيث حيثما حلَّ نفع.

والله أسأل أن يتمَّ الجهد بالقبول، وأن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وما كان في الرسالة من صواب فمن المولى سبحانه، وما كان فيها من سهوٍ ونقصٍ وخطأ فمن نفسي والشيطان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

وفيه:

✽ أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث.

✽ ثانياً: فوائد التعليل في القرآن الكريم.

التمهيد

قبل الدخول في صلب البحث ودراسة آياته سأعرّف بمفردات عنوان البحث،
وأذكر فوائد التعليل في القرآن الكريم.



أولاً

التعريف بمفردات عنوان البحث

١- تعريف العلة لغة واصطلاحاً:

تُبنى عملية التعليل على إظهار العلة وكشف وجه التعليل فيها؛ فلذلك كان لا بدّ من بيان معنى العلة في اللغة، وفي اصطلاح العلماء.

أ- العلة لغة:

العلة في كلام العرب تُطلق على معانٍ:

أولها: التكرّر أو التكرير؛ وهي الشّربة الثانية، والتّعليل: سقي بعد سقي. (١)

والثاني: العائق والحدث يشغل صاحبه عن حاجته؛ كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه عن شغله الأول. (٢)

والثالث: المرض والضعف، فرجلٌ معتلّ: مريض، والعلّ من الرجال: المُسنّ. (٣)

والرابع: السبب؛ فيقال: هذا علة لهذا أي سبب. (٤)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/١٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٥/١٧٧٣).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/١٣)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/١٧٧٣)، لسان العرب لابن منظور (١١/٤٦٧).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/١٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/١٧٧٣)، لسان العرب (١١/٤٦٧).

(٤) ينظر: لسان العرب (١١/٤٦٧).

ولعل المعنى الأخير هو المناسب للمعنى الاصطلاحي؛ لأن العلة سبب في ثبوت الحكم في الفرع المطلوب إثبات الحكم له.^(١)

ب- العلة اصطلاحاً:

العلة من المصطلحات التي اختلفت آراء العلماء في بيان حدها وماهيتها، لا سيما وأن لها علاقة بعلم أصول الفقه بل وبأحد أهم أبواب الاجتهاد وهو باب القياس، ويرجع تعريف الأصوليين للعلة إلى ألفاظ ثلاثة^(٢):

الأول: "المعرف للحكم"^(٣).

الثاني: الموجب للحكم بجعل الله تعالى^(٤).

الثالث: "الباعث على الحكم"^(٥).

وهي ألفاظ متقاربة "والواقع أن الخلاف بين الأقوال الثلاثة يكاد يكون لفظياً"^(٦).

٢- تعريف التعليل:

تنوعت عبارات العلماء في بيان معنى التعليل، فقول: "هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر"^(٧).

(١) ينظر: مباحث العلة في القياس عند الأصوليين لعبدالحكيم السعدي (ص: ٦٩).

(٢) ينظر: مباحث العلة في القياس عند الأصوليين (ص: ١٠١).

(٣) جمع الجوامع لابن السبكي (ص: ٨٤)، البدر الطالع في حل جمع الجوامع للمحلي (٢/ ١٩٤).

(٤) ينظر: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل للغزالي (ص: ٥٦٩).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٣٧)، نهاية السؤل شرح منهاج الأصول للإسنوي (٢/ ١٥١).

(٦) مباحث العلة في القياس عند الأصوليين (ص: ١٠١).

(٧) التعريفات للجرجاني (ص: ٨٦).

وقيل: "هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة متقدمة على المعلول".^(١)

وقيل إن المراد بالتعليل: بيان العلل وكيفية استخراجها، وهذا قد يكون لأجل القياس وهو رد فرع إلى أصل لمساواته في علة حكمه، وقد يكون لغير ذلك بأن يبحث عن علة الحكم المنصوص لا لتعديته.^(٢)

ولعل التعريف الأخير هو أقرب التعريفات؛ فهو الأنسب لمراد البحث وموضوعه.

٣- تعريف الأخلاق:

الأخلاق لغة جمع خُلِقَ، وُخِلِقَ، بضم اللام وسكونها، هو الدين والطبع والسجية^(٣) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القم: ٤] وفي الحديث: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن".^(٤)

والخُلُقُ لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخُلُقِ لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.^(٥)

والأخلاق هي: "هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية".^(٦)

وعُرف الخُلُقُ بأنه عبارة عن أوصاف الإنسان التي يُعامل بها غيره ويخالطه، وهي

(١) الكليات للكفوي (ص: ٢٩٤).

(٢) ينظر: تعليل الأحكام لمحمد مصطفى شلبي (ص: ١٢).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٤٧١)، لسان العرب (١٠/ ٨٥).

(٤) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣/ ٥٣٥) برقم: (٢٠٠٢) (أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حسن الخلق) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٨٥).

(٦) التعريفات (ص: ١٣٦).

منقسمة إلى محمودة ومذمومة. (١)

فالأخلاق تشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يعرف أحد النوعين من لفظه إلا بقيد يضم إليه، فيقال: خلق حسن، وفي ضده خلق قبيح، فإذا أطلق عن التقيد انصرف إلى الخلق الحسن. (٢)

والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا عمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة. (٣)

ومن الناس من لا تكون فيه تلك الأخلاق الحميدة فيصير إليها بالرياضة وتعويد النفس، وقد دلّ على ذلك حديث الرسول ﷺ: "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم". (٤)

٤- المراد بتعليل الأخلاق في القرآن الكريم:

من خلال دراسة شقي العنوان وبيان معاني مصطلحاته يمكن الخلوص إلى التعريف المركب، فيكون المراد بتعليل الأخلاق في القرآن الكريم: الباعث على ما أمر الله تعالى به من محمود الأوصاف وما نهى عنه من مذمومها في القرآن الكريم.

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦ / ١١٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٩ / ١٧١).

(٣) ينظر: تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص: ١٢).

(٤) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٣ / ١١٨) برقم: (٢٦٦٣) (باب الألف، إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٣٤٢).

ثانياً

فوائد التعليل في القرآن الكريم

كان لبعض المفسرين عناية ببيان مواضع التعليل في القرآن الكريم؛ فالوقوف على الحكم والغايات في الإسلام له أثره البالغ في تهذيب أخلاق الفرد والمجتمع، ومن فوائد التعليل ومقاصده الجليلة:

١. في التعليل تتجلى حكمة الله تعالى في تشريعه وتحقيقه لمصالح العباد؛ فالله تعالى "حكيم بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلا لمصلحة فإن من يفعل لا لمصلحة يكون عابثاً والعبث على الله تعالى محال"^(١).

٢. في التعليل وقوف على أسرار الشريعة وحكمها الربانية مما يزيد إيمان العبد ويقوي يقينه واعتزازه بهذا الدين العظيم، وإثبات التعليل هو مذهب أهل السنة والجماعة "فالذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف أن الله تعالى يخلق لحكمة ويأمر لحكمة وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم"^(٢).

٣. ورود التعليل في القرآن الكريم دال على وضوح الشريعة واستيفائها لمصالح العباد مما له أثر في اطمئنان المسلم وتمسكه بدينه، وهو يظهر بهاء الشريعة ويسهل دفع شبه الطاعنين عليها بالجمود وعدم مسايرتها للزمن، وذلك منافٍ تمام المنافاة لما اقتضته الحكمة الإلهية من خلود الشريعة الإسلامية وبقائها إلى يوم القيامة ومنافٍ لكمال الشريعة وشمولها^(٣).

(١) المحصول للرازي (١٧٣/٥).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية لابن قاسم (٣٧٧/٨).

(٣) ينظر: تعليل الأحكام لمحمد مصطفى شلبي (ص: ٤).

٤. يعدُّ التعليل من أوجه إعجاز القرآن الكريم "واعلم أن من قال من أصحابنا: إن الأحكام معللة بعلة موافقة لمقتضى العقل جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه" (١).

٥. لتعليل الأحكام وبيان ما يترتب عليها من مفسد ومصالح أثر في نفس المتلقي ترغيباً وترهيباً، والترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية التي تجعل المؤمن يعيش بين الرجاء والخوف مأتسباً بأنبياء الله الصالحين الذين نعتهم الباري بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَبُّهُم بَعْزًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٦. للتعليل أثر في توكيد المعنى وتقريره؛ فإثبات الشيء معللاً أكد من إثباته مجرداً من التعليل. (٢).

٧. من فوائد التعليل: إذعان النفس وتسليمها للمأمور به "فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها" (٣) "لأن التعليل" يوجب سرعة الإذعان وشدة الاطمئنان" (٤).

٨. لدراسة التعليل أثرها في بناء عقلية المفسر العلمية وتمكُّنه من أصول الشريعة ومقاصدها، وهي "الغايات التي وضعتها الشريعة لتحقيق مصالح العباد" (٥) فمن مقاصد الشريعة على سبيل المثال: تحقيق المصالح ودرء المفسد، فمن عرف العلة أدرك أن الأخلاق التي أمر بها الشارع كلها متجهة لتحقيق هذا المقصد الشرعي العظيم.

٩. كما أن دراسة الآيات التي ورد فيها التعليل طريق لمعرفة مقاصد القرآن الكريم

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٤٧).

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي (٣/ ٧٦).

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٨٢).

(٤) شرح التلويح على التوضيح للفتازاني (٢/ ١٣٤).

(٥) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للريسوني (ص: ٧).

وغاياته التي جاء بها تحقيقاً لمصالح العباد؛ فإن تلقي العلم بالكلية إنما هو من عرض الجزئيات واستقرائها؛ فالكلية من حيث هو كلي غير معلوم لنا قبل العلم بالجزئيات^(١).

١٠. التعليل منهج قرآني أصيل "من منهج القرآن الكريم في أمره ونهيه وفي تحفيزه للهمم على الطاعة والامثال: بيان الحكم والمقاصد، والتنبيه على ما في الفعل المطلوب من مصالح، وما في الفعل الممنوع من مفسد"^(٢).

١١. للتعليل أثر في بناء شخصية المسلم وإكسابه عقلية متميزة؛ لأنه يتأثر بهذا الأسلوب في كافة مناحي حياته فيسير على منهج واضح قائم على معرفة الأسباب، معتزاً بسلوكه الإيماني الواعي؛ فيسأل ويعلل، ثم يستنتج ويفهم، ليلتزم ويعمل.^(٣)

١٢. ربط الأحكام بالعلل يؤدي إلى استقامة التكليف، وضبط الأحكام واطرادها واستقرار أوامر التشريع العامة ووضوحها.^(٤)

١٣. في التعليل بيان لاتساع الشريعة لكافة أحوال الناس وأحكامهم، فإن العلة المنصوصة قاضية بعموم حكم المعلول، فلن تخلو حادثة عن حكم شرعي؛ إما بالنص أو بالقياس.^(٥)

١٤. الدعاة بحاجة إلى معرفة العلل ومقاصد ما يدعون إليه، فذلك مما يقتضيه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فأول ما يدخل

(١) ينظر: الموافقات للشاطبي (٨/٣)، المدخل إلى مقاصد القرآن لعبدالكريم حامدي (ص: ٣١).

(٢) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده للريسوني (ص: ١١٦).

(٣) ينظر: تدبر أسلوب التعليل القرآني وأثره على النص لنجوى شكوكاني - مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية (٢٦-٢٠/٢٠٠٤).

(٤) الوجيز في أصول الفقه لعبدالكريم زيدان (ص: ٢٠٣-٢٠٤).

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/٩١)، التعليل في القرآن الكريم دراسة وتفسيراً للدكتور: محمد سالم محمد (ص: ٣٨٠).

في الدعوة على بصيرة هو أن يكون الداعي بصيراً بما يدعو إليه، ولا يكون بصيراً بما يدعو إليه إلا بقدر ما يعرف من حكمه وتعليلاته ومقاصده ومراميه.^(١)

١٥. في التعليل تربية للنفس بعدم رمي الأحكام بغير تبصّر أو قاعدة؛ فالمسلم يقتدي بمنهج القرآن الكريم الذي علّل الأحكام وذكرها مصحوبة بحيثياتها المقنعة ومبرراتها المنطقية.

١٦. في التعليل تتجلى رحمة الله تعالى بعباده إذ حقه سبحانه أن يطاع طاعة مطلقة دون بيان للعلل، ولكن في إظهاره لها رحمة بالغة بعباده وعناية جليّة بهم.

(١) ينظر: المدخل إلى مقاصد الشريعة للريسوني (ص: ٢١).

الفصل الأول

أنواع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: التعليل من حيث الأفراد والجملة.
- ❖ المبحث الثاني: التعليل من حيث موقعه في الآية.
- ❖ المبحث الثالث: التعليل من حيث موقعه من المعلول.

* * * * *

الفصل الأول

أنواع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم

لتعليل الأخلاق في القرآن الكريم أنواع متعددة، أدرسها إن شاء الله في هذا الفصل، مع ضرب بعض الأمثلة من آيات الأخلاق لبيان نوع التعليل، وقد أترك التعليق على الشواهد القرآنية؛ لأنها ستدرس في موضعها من الرسالة.



المبحث الأول

التعليل من حيث الأفراد والجملة

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التعليل بالحروف.
- **المطلب الثاني:** التعليل بالأسماء (المفعول له).
- **المطلب الثالث:** التعليل بالجمل.
- **المطلب الرابع:** التعليل بطرق أخرى.

* * * * *

المبحث الأول:

التعليل من حيث الأفراد والجملة

قد يكون التعليل مستفاداً من الحروف مثل: اللام، والباء، والفاء، ومن، وأن، وإنّ، ونحو ذلك، وقد يكون مستفاداً من الاسم؛ وهو المفعول له، ويكون كذلك مستفاداً من الجملة؛ كجملة جواب الشرط، وجواب الطلب، والجملة الحالية، ونحوها، وقد يكون مستفاداً من أدوات أخرى في أنواع ذكرها الأصوليون تُدرس في هذا الفصل بإذن الله.

وقد قسّمت هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعليل بالحروف.

المطلب الثاني: التعليل بالأسماء (المفعول له).

المطلب الثالث: التعليل بالجملة.

المطلب الرابع: التعليل بطرق أخرى.



المطلب الأول: التعليل بالحروف.

الأحرف التي وردت في تعليل الأخلاق في القرآن الكريم هي:

أولاً - اللام.

ثانياً - الباء.

ثالثاً - الفاء.

رابعاً - من.

خامساً - إن.

سادساً - الكاف.

سابعاً - لعل.

ثامناً - حتى.

وفيما يأتي تفصيلها بذكر بعض شواهدها من تعليل الأخلاق في القرآن الكريم.

أولاً - اللام:

اللام هي أم باب التعليل، لذلك يُبدأ بذكرها في الغالب ضمن حروف التعليل؛ كونها الأصل فيه.^(١)

واللام حرف تتعدّد معانيه وأقسامه، والتعليل أحد المعاني التي تدل عليها اللام،

(١) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم دراسة نحوية ليونس الجنابي (ص: ٤٧)، أسلوب التعليل في اللغة العربية لأحمد خضير (ص: ٥٣-٥٤)، أسلوب التعليل بالحروف اللغوية لعباس الخفاجي (ص: ٣٥).

حين تدخل على الاسم أو الفعل أو الحرف:

- فتدخل لام التعليل على الاسم واللام التي تفيد التعليل في ذلك هي التي تصلح أن يقال في موضعها: (من أجل).^(١)

ومن شواهد ذلك في تعليل الأخلاق قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ٩].

- كما تدخل على الفعل وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۗ ﴾ [البقرة: ١٧٧] لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۗ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] حيث جاء فيها "التعليل بقوله: ليوفيهم"^(٢).

وتسمى اللام الداخلة على الفعل: لام كي "وسميت لام كي لأنها تفيد ما تفيده كي مع التعليل"^(٣).

- كما تدخل على الحرف ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۗ ﴾ [السجدة: ٢٤] وقد قرئت الآية بما يؤكد وجود التعليل بكسر اللام وتخفيف الميم (لِمَا)^(٤) على أنها مركبة من لام التعليل و(ما) المصدرية، أي: جعلناهم أئمة؛ لأجل صبرهم وإيقانهم.^(٥)

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام (١/ ٢٧٥)، البرهان في علوم القرآن (٤/ ٣٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٧).

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني للمراي (ص: ١١٥).

(٤) هكذا قرأها حمزة والكسائي (لِمَا) مكسورة اللام خفيفة الميم، ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥١٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٣٦٥)، التحرير والتنوير (٢١/ ٢٣٨).

ثانياً - الباء:

الباء حرف جرّ مختص بالاسم، ومعناه الإلصاق "وباء الجر إنما هي للإلصاق والاختلاط"^(١) وذكر لها النحويون معانٍ أخرى كالأستعانة، والمصاحبة، والتعدية، والظرفية، والبدل، وغير ذلك.^(٢)

والتعليل أحد المعاني التي تدل عليها الباء، وتسمّى: باء السببية، فيكون ما بعدها سبباً وعلّة فيما قبلها، وهي التي تصلح غالباً في موضعها اللام.^(٣)

ومن شواهداها في تعليل الأخلاق قوله عزّ وجلّ في تعليل خلق الصدق: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] "ذكر سبب الجزاء وهو بصدقهم"^(٤).

ثالثاً - الفاء:

وهي تفيد التعليل من عدة وجوه وما ورد في تعليل الأخلاق من هذه الوجوه الفاء الرابطة للجواب والفاء الفصيحة، وبيانها في الآتي:

أما الفاء الرابطة للجواب، فتأتي الفاء رابطة لجواب أمرين^(٥):

الأول: الشرط، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَحْنُ لَطَمُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فالفاء تفيد أن ما قبلها علة وسبب لما بعدها، والجواب مسبب عن الشرط.

الثاني: ما يتضمن معنى الشرط؛ كالمبتدأ إذا كان معرفة موصولة، فيكون هذا المبتدأ شبيهاً بالشرط وخبره شبيهاً بجوابه لذا تدخل الفاء في خبره كما قوله تعالى:

(١) الكتاب لسيبويه (٤/٢١٧).

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٣٦-٤٠).

(٣) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/١٥٠)، النحو الوافي لعباس حسن (٢/٤٩٠).

(٤) التحرير والتنوير (٢١/٣٠٩).

(٥) ينظر: أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ٦٧-٦٩).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] " أدخل الفاء في خبر الموصول للتنبية على تسبب استحقاق الأجر على الإنفاق لأن المبتدأ لما كان مشتملا على صلة مقصود منها التعميم، والتعليل" (١).

ويطلق الأصوليين على هذين الوجهين: ترتيب الحكم على الوصف بفاء السببية. (٢).

وأما الفاء الفصيحة: فهي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سبباً للمعطوف بدون تقدير حرف الشرط، وسميت فصيحة؛ لأنها تفصح عن المحذوف وتفيد بيان سببه، وقيل: هي الفاء الداخلة على جملة مسببة عن جملة غير مذكورة، كالتي تذكر بعد الأوامر والنواهي بياناً لسبب الطلب، لكن كمال حسنها وفصاحتها أن تكون مبنية على التقدير، منبئة عن المحذوف. (٣).

ومثالها في تعليل الأخلاق قوله سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] "فَقَدْ آتَيْنَاهُ" تعليل للإنكار والاستقباح وإلزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم" (٤).

رابعاً - من:

وهي حرف جر تأتي على خمسة عشر وجهاً من المعاني، أحدها ابتداء الغاية وهو

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٧٧).

(٢) ينظر: الإحكام في أصول للأمدى (٣/ ٢٥٤).

(٣) ينظر: الكليات للكفوي (ص: ٦٧٦)، الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي (٢/ ٥٠٢)، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ١٢٥-١٢٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٢/ ١٩٠).

الغالب عليها، وتأتي كذلك للتبويض، وليبان الجنس، ومن معانيها: التعليل.^(١)
و "من" التعليلية هي التي يحسن في موضعها لفظ (سبب)، وذلك عند دخولها
على ما يكون سبباً وعلّة في وجود متعلقها.^(٢)

ومن شواهداها في تعليل الأخلاق قوله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ﴾**
رَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿الأنعام: ١٥١﴾ "ومن هنا للتعليل تقديره: من أجل إملاق"^(٣).

خامساً - إن:

سأتناولها في التعليل بالجملة.

سادساً - الكاف:

وهي حرف جرّ، ولها معنيان: الأول: التشبيه نحو زيد كالأسد، والثاني: التعليل
نحو قوله تعالى: **﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾** [البقرة: ١٩٨] أي: لهديته إياكم.^(٤)

ومن شواهداها في تعليل الأخلاق قوله تعالى: **﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾**
[القصص: ٧٧] "الكاف إمّا للتعليل مثل: **﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾**"^(٥).

وقيل هي كاف التشبيه متضمنة معنى التعليل "فإن كاف التشبيه تتضمن نوعاً من
التعليل... والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه: الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ص: ٤١٩-٤٢١)، التمهيد للإسنوي (١/٢٢١).

(٢) أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٠١)، أسلوب التعليل بالحروف اللغوية (ص: ١٢١).

(٣) تفسير ابن جزري (١/٢٨٠)، وينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٤/٦٨٧)، التحرير والتنوير
(٨-١/١٥٨).

(٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٨٤)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام
(٣/٤٣)، أساليب التعليل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية وأصولية لأمانة سعدي (ص: ١٦٥).

(٥) تفسير ابن عرفة (٢/٥٧٧)، وينظر: التحرير والتنوير (٢٠/١٧٩).

الخير والشر"^(١).

سابعاً - لعل:

ومن معانيها: الاستفهام، والشك، وأشهر معانيها الترجي والإشفاق، والفرق بينهما أن الترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه.^(٢)

ومن معاني لعل: التعليل، ومجيئها للترجي يكون معه تعليل في الغالب، نحو قوله تعالى: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [ال عمران: ٢٠٠] فكونها للتعليل لا ينافي معنى الترجي؛ لأن وجود المعلول يُرجى عند وجود علته، وهذا في حق المخلوقين، أما في حق الخالق سبحانه فهي للتعليل المحض.^(٣)

ثامناً - حتى:

والمشهور أن لها مع الفعل المضارع معنيين:

أحدهما انتهاء الغاية: نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْبَأْسُ إِلَىٰكُمْ﴾ [طه: ٩١]، وعلامة كونها للغاية أن يحسن في موضعها إلى أن.

وقد يكون بيان الغاية أحد طرق التعليل نحو قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ هو العلة في النهي: فبين سبحانه في الآية العلة في النهي، فحيثما وجدت، بأي سبب وجدت، يترتب عليها الحكم.^(٤)

(١) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٩٩).

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٥٨٠)، مغني اللبيب (ص: ٣٧٩).

(٣) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك (ص: ١٩٨)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٩٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٢/ ١٠٢)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٢٠-١٢٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٥٣).

والثاني التعليل: وعلامة كونها للتعليل أن يحسن في موضعها كي. (١)

وتكون بهذا المعنى إذا كان الفعل الأول قبل حتى في زمان والثاني بعدها في زمان آخر غير متصل بالأول، وكان الأول سبباً للثاني. (٢)

ومثالها في تعليل الأخلاق قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] فجمعت ﴿حَتَّى﴾ في هذه الآية معنى الغاية والتعليل، وهي متعلقة في الحالين بـ ﴿فَأَجْرُهُ﴾ ويبدو ترابط الغاية والتعليل باعتبار أنه جعل سماع هذا المستجير غرضاً وغاية لإقامته الوقتية عند الرسول ﷺ. (٣)



(١) المقتضب للمبرد (٣٨/٢)، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ١٨٤-١٨٧).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٥٥٤)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١١٥-١١٦).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/٦٣٦)، تفسير البحر المحيط (٥/٣٧٤)، التحرير والتنوير

(١٠/١١٩)، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ١٨٦-١٨٧).

المطلب الثاني: التعليل بالأسماء (المفعول له).

أغلب ما يفيد الاسم التعليل إذا كان مصدرًا، والمصدر المعلن إما أن يكون صريحًا أو يكون مؤوّلًا، ويسمى هذا المصدر: المفعول له، أو المفعول لأجله، ويعرّف بأنه: علة الإقدام على الفعل، أو: ما فعل لأجله أي لقصد تحصيله وبسبب وجوده فعل. (١).

وهو قسمان: (٢)

الأول: المصدر الصريح:

يجيء الاسم مفيدًا للتعليل إذا كان مصدرًا صريحًا، فقد يذكر المصدر الصريح في الكلام دالًا على المعنى الذي وقع الفعل من أجله.

ومن شواهد في تعليل الأخلاق: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كِنَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ^{٢٧٦} وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ^(٢٧٦)﴾ [البقرة: ٢٧٢] فقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ هو المصدر المذكور علة لخلق الإنفاق في هذه الآية.

الثاني: المصدر المؤوّل:

أن المفتوحة المخففة والفعل المستقبل بعدها تعليلًا لما قبله.

ومن شواهد في تعليل الأخلاق قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقٌ يُنْبَأُ

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ص: ٨٧)، الفوائد الضيائية لنور الدين الجامي (ص: ٢١٧)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٣٣).

(٢) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ٢٠٦+٢٣٥)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٣٣+١٥٢).

فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ [الحجرات:٦] التعليل بأن؛ بمعنى:
كراهة أو مخافة أن تصيبوا، أو لأجل ألا تصيبوا، أو لئلا تصيبوا.^(١)



(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى (٤/١٥٢)، تفسير ابن عطية (٥/١٤٧)، تفسير البحر المحييط (٩/٥١٣).

المطلب الثالث: التعليل بالجملة.

كما يكون التعليل بالحرف وبالاسم، فيكون كذلك بالجملة، والجملة التعليلية:
"هي جملة استئنافية في اللفظ مراد بها التعليل في المعنى"^(١).

والجُمْل التي وقع بها تعليل الأخلاق في القرآن الكريم:

أولاً- جملة جواب الشرط.

ثانياً- جملة جواب الطلب.

ثالثاً- الجملة الحالية.

رابعاً- إنَّ واسمها وخبرها.

خامساً- جملة صلة الموصول.

سادساً- الاستئناف البياني.

سابعاً- الجملة الاعتراضية.

وفيما يأتي أبينها إن شاء الله بشواهد القرآنية من الأخلاق المعللة.

(١) التعليل في القرآن الكريم دراسة نحوية للقرني (ص: ٦٨٩).

أولاً - جملة جواب الشرط:

يرى أغلب النحاة أن العلاقة بين جملة الشرط وجوابه قائمة على السببية، ومعنى الشرط عندهم: وقوع الشيء لوقوع غيره، فحقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسبباً عن الأول.^(١)

وفي كثير من آيات القرآن الكريم يكون مضمون الجزاء متعقب لمضمون الشرط: "وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء، وهو أكثر من أن يستوعب كقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفَوُا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].... وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا أفاد التسيب"^(٢).

وقد يرتبط جواب الشرط بالفاء؛ لما في الفاء من معنى السببية فهي تؤذن أن ما بعدها مسبب عما قبلها.^(٣)

ومن أمثلة تعليل الأخلاق بجملة جواب الشرط قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ [النساء: ٨٥].

ومن أمثلة التعليل بها مقترنة بالفاء قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

والتعليل بجملة جواب الشرط يطلق عليه عند الأصوليين: ترتيب الجزاء على

(١) ينظر: المقتضب (٤٦/٢)، الخصائص لابن جني (١٧٥/٣).

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨٨-١٨٩).

(٣) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم دراسة نحوية (ص: ٣١٠-٣١٢)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٦٧).

الشرط. (١)

ثانياً - جملة جواب الطلب:

تقع جملة جواب الطلب في مقام التعليل لما قبلها؛ والطلب ثمانية أنواع: الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والترجي، وجاء التعليل بجملة جواب الطلب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم حيث يأمر الشارع بشيء مبيناً مصالحه، وينهى عن شيء مبيناً مفسده المترتبة على فعله. (٢)

وتأتي جملة جواب الطلب على ضربين (٣):

أولهما - الجملة الفعلية: ويشترط في الفعل المضارع الواقع جواباً للطلب أن يكون مسبباً عما قبله، ليفيد التعليل.

ومن أمثلة وقوع ذلك في آيات الأخلاق: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] فرتب على سداد القول مصالح منها: صلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب.

والثاني - الجملة الاسمية: قد يقع بعد جملة الطلب جملة اسمية تكون معللة للطلب الحاصل؛ إذ يكون مضمونها سبب في ما قبلها.

ومن أمثلة وقوع ذلك في آيات الأخلاق: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمَسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

(١) ينظر: المستصفى للغزالي (ص: ٣٠٩)، أساليب التعليل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية وأصولية (ص: ٢٠١).

(٢) ينظر: النحو الوافي (٤/ ٣٦٥)، تعليل الأحكام (ص: ١٥).

(٣) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ٢٨٧-٢٩٥)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٨٣-١٨٩).

ثالثاً - الجملة الحالية:

تجيء الحال مفرداً وجملةً^(١) وما يقع به التعليل هو الجملة دون المفرد.^(٢)
والتعليل بالجملة الحالية يفهم من سياق الكلام وإفادته السببية، فالتعرض
لمواضع الجملة الحالية يظهر تضمنها للتعليل ومن ذلك قول الشاعر:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرِ^(٣)

فجملة "بلله القطر" حال من العصفور، ومضمونها يعلّل فعل صاحب الحال
(انتفض) إذ إن تبلّل العصفور سبب لانتفاضه.^(٤)

ومن شواهد وقوع الجملة الحالية تعليلاً للأخلاق قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أَخْرَجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فقوله ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حال من ضمير ﴿كُنْتُمْ﴾ فهو مؤذن بتعليل كونهم خير
أمة.^(٥)

رابعاً - إن واسمها وخبرها:

التعليل بأن كان محل انقسام بين العلماء؛ فرأى بعضهم أنها تفيد التعليل^(٦) ولم
يذكر بعضهم لها معنى التعليل، ورأوا أن التعليل فيها مفهوم من موضع الجملة بتمامها في

(١) ينظر: دلائل الإعجاز للجرجاني (ص: ٢٠٣).

(٢) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ٣٢١).

(٣) البيت لأبي صخر الهذلي؛ عبد الله بن مسلم الهذلي، من شعراء الدولة الأموية، وهو من البحر الطويل،
ينظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٥/ ٢٠٠)، الوافي بالوفيات للصفدي (١٧/ ٣٣٠).

(٤) أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٨٩).

(٥) التحرير والتنوير (٤/ ٤٨)، وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٩٣).

(٦) كالزركشي والسيوطي، ينظر: البرهان (٣/ ٩١ - ٤/ ٢٢٩)، الإتيان (٢/ ٢٤٠).

السياق، ولعله الأولى؛ فإنَّ ليست للتعليل المحض إنما هي حكم عام وكلام مستأنف فيه تعليل. (١)

وإذا وقعت "إنَّ" موقع التعليل جاز فيها فتح همزتها وكسرها، فالفتح على تقدير لام العلة المحذوفة، والكسر على التعليل بجملة إنَّ. (٢)

ومن شواهدا في تعليل الأخلاق قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] "وجملة إن أنكر الأصوات لصوت الحمير تعليل علل به الأمر بالغض من صوته" (٣).

وتفيد "إنَّ" التعليل كذلك عند تركيبها مع "ما" ويفيدها التركيب زيادة تأكيد وهو نفي الحكم الذي أثبتته "إن" عن غير من أثبتته له. (٤)

ومثال ذلك في تعليل الأخلاق قوله: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩-١٠] "وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠] "تعليل للأمر بالإصلاح بين الطائفتين من المؤمنين والتعليل إنما يؤتى به فيثبت المعلل ويقرره" (٥).

خامساً - جملة صلة الموصول:

قد تتضمن جملة الصلة في القرآن الكريم تعليلًا لما يتعلق بالاسم الموصول

(١) ينظر: معاني النحو لفاضل السامرائي (١/٢٩٢).

(٢) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عزيمة (١/٥١٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢١/١٦٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣/٣٥١).

(٥) حاشية الطيبي على الكشاف (١٤/٤٨٤).

"فإن إجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حين الصلة له".^(١)

وإذا بحثنا عن جملة الصلة في القرآن الكريم نجد كثيرًا منها قد تتضمن تعليلًا لما يتعلق بالاسم الموصول، فيكون مضمونها سبب الحكم المتعلق بالاسم الموصول.^(٢)

ومن أمثلة وقوعها تعليلًا للأخلاق: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَتَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وهذا النوع مما يُعبر عنه عند الأصوليين بتعليق الحكم على الوصف.

سادسًا - الاستئناف البياني:

الاستئناف البياني: هو ما كان جوابًا لسؤال مقدر.^(٣)

ويسمى في علم البلاغة بالفصل والوصل؛ حيث يترك فيه الوصل بين جملتين بسبب السؤال المقدر الذي يربط بينهما معنويًا "وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة، إما لتنبية السامع على موقعه، أو لإغناؤه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصود إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف".^(٤)

وهو علم دقيق من علوم البلاغة، فقد سئل أحدهم عن البلاغة فقال: "معرفة الفصل من الوصل"^(٥) فحصر البلاغة في هذا العلم دليل على أهميته.

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ٧٠).

(٢) ينظر: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ٣١٦-٣١٧)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٩٠).

(٣) مغني اللبيب (ص: ٥٠٠).

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٢٥٢).

(٥) البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٩١).

كما يسمى ببراءة حسن التخلص وهو: "أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه أخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً".^(١)

ويفيد الاستئناف معنى التعليل للجملة السابقة إذا كانت جملة الاستئناف مسوقة للتعليل في تقدير جواب لسؤال مقدر عن العلة؛ فيقال: استئناف جرى مجرى التعليل.^(٢)

ومن أمثلة ذلك في تعليل الأخلاق قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] "وهذه الجملة مستأنفة، وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه، أي ربما يكون المسخور منه عند الله خيراً من الساخر".^(٣)

سابعاً - الجملة الاعتراضية:

الاعتراض: "هو أن يؤتى في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب".^(٤)

وللجملة الاعتراضية أغراض عدة منها: "الدعاء نحو قوله: إني - حفظك الله - مريض، والتنزيه كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، والتهويل نحو قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسُّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]".^(٥)

ومن أغراض الجملة الاعتراضية: "التنبيه على سبب أمر".^(١)

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٣/ ١٢١).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحيدي (١٠/ ١٥٣٠).

(٣) تفسير البحر المحيط (٩/ ٥١٧).

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (١/ ٦١٥).

(٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي (ص: ٢٠٤).

ومن أمثلة الجملة الاعتراضية التي وقعت تعليلًا للأخلاق قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ اعتراض في أعلى درجات الحسن أتى به بين الوصية والموصى به؛ تأكيدًا لطلب الشكر للوالدة، تقديرًا لفضلها العظيم، بسبب ما تكابده الأم من المشاق والمتاعب^(٢).

"وجملة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ في موضع التعليل للوصاية بالوالدين؛ قصدًا لتأكيد تلك الوصاية؛ لأن تعليل الحكم يفيد تأكيدًا"^(٣).



(١٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/٦١٧).

(٢) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنتثور لابن الأثير (ص: ١١٩)، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: ٢٢٤)، المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني (٢/١٤٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢١/١٥٨).

المطلب الرابع: التعليل بطرق أخرى.

أولاً - اقتران الحكم بوصف مناسب مشعر بالعلية:

وهو ما يسمى بترتيب أو تعليق الحكم على وصف أو إناطة الحكم بوصف، أو ما يسمى بترتيب الجزاء على وصف. (١)

وهو من أنواع التعليل التي ذكرها الأصوليون "وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سبباً له ... وهذا أكثر من أن يستوعب". (٢)

وقد يأتي مقترناً بفاء السببية وذلك بأن يرتب الحكم على الفعل بفاء التعقيب أو التسيب؛ فهو تنبيه بتعليل الحكم بالفعل الذي رتب عليه، كقوله تعالى في تعليل الأمر بخلق الصبر: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥] فالحكم أو الجزاء المترتب على وصف الصبر في هذه الآية هو أن الله لا يضيع أجر المحسنين. (٣)

ويأتي مجرداً عن فاء السببية كقوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [المزعة: ١] فرتب الويل وهو الخزي والعذاب على من أتصف بالأخلاق الذميمة وهي السخرية والغيبة. (٤)

وقد تتداخل أنواع التعليل في آية واحدة، كقوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] فهي معللة بجملة جواب الطلب:

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١٦٧/٧)، شرح الكوكب المنير لابن النجار

(٤/١٤١)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (١٢٣/٢)

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨٨).

(٣) ينظر: أساليب التعليل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية وأصولية (ص: ١٩٣).

(٤) ينظر: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل (ص: ١٩)، الباب في علوم الكتاب لابن

عادل الحنبلي (٤٨٨/٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٦٠٢/٥).

﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ومعلقة كذلك بترتيب الحكم والجزاء ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها، على وصف وهو: التفسح في المجالس. (١)

ثانياً - الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل:

في الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢] بيان لسبب الحكم وإشارة إلى الحكمة من تشريعه؛ فقد شرع سبحانه الحكم لعلمه بما فيه من كمال الزكاة والطهارة. (٢)

ومن أمثله في تعليل الأخلاق: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] "فقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ لو لم يكن علة لقوله تعالى: ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ لكان الكلام معيياً غير منتظم عند الفطن العارف". (٣)

ومن أسماء التفضيل التي قد يقع تعليل الأخلاق بها ﴿خَيْرٌ﴾ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ رِزْقًا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

وقد يتداخل هذا النوع مع أنواع التعليل الأخرى في آية واحدة، كما في الآيتين السابقتين، وكما في قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨] فهي معلقة بجملته جواب الطلب: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ ومعلقة كذلك باسم التفضيل ﴿أَزْكَى﴾.

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١٩٥/٥).

(٢) ينظر: أساليب التعليل في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية وأصولية (ص: ٢٢٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٢٤٣).

ثالثاً - التعليل المعنوي بالسياق: (١)

وذلك بأن لا يكون التعليل صريحاً في اللفظ، وإنما يؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى. (٢)

فتخلو حينئذ جملة التعليل من أدوات التعليل السابقة، لكنها مشتملة على ما يفيد التعليل، كقول قول بعض الشعراء:

يا واهياً حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الفرق (٣)

فقوله "نجى حذارك" هو علة استحسان إساءة ذلك الواشي. (٤)

وقد يدخل ضمن ما ذكره الأصوليون من أنواع التنبيه والإيماء على العلة: أن يذكر الشارع مع الحكم وصفاً لو لم يكن الحكم معللاً به لما كان في ذكره فائدة وهو يفيد ظن العلية؛ لأنه لو لم يكن علة الحكم لكان ذكره عبثاً لا فائدة فيه. (٥)

ومن شواهد ذلك في تعليل الأخلاق قول الباري سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحاف: ١٥] حيث نبه سبحانه بهذه الجملة على علة ما أوجب لها عليه من البرِّ واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، وكان التعليل بسياق الجملة ومعناها؛ لتضمنها السبب الداعي لإيجاب البرِّ.

(١) ولم أجد في الدراسات السابقة في موضوع التعليل من صنفه ضمن أدوات التعليل، والموضع جدير بالدراسة وإفراده بمزيد نظر.

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٧٦/٣).

(٣) البيت لمسلم بن الوليد (صريح الغواني) وهو من بحر البسيط، ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص: ١٨٢)، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع (ص: ٥٨).

(٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٧٦/٣)، أسلوب التعليل في اللغة العربية (ص: ١٩٩).

(٥) المستصفى (ص: ٣٠٨)، نهاية الوصول في دراية الأصول للأرموي (٣٢٧٢/٨)، إرشاد الفحول (١٢٢/٢).

المبحث الثاني

التعليل من حيث موقعه في الآية

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** وقوع تعليل الخلق في أول الآية القرآنية.
- **المطلب الثاني:** وقوع تعليل الخلق في وسط الآية القرآنية.
- **المطلب الثالث:** وقوع تعليل الخلق في آخر الآية القرآنية.

* * * * *

المبحث الثاني:

التعليل من حيث موقعه في الآية.

قد يكون تعليل الخلق في أول الآية، وقد يكون في وسطها، أو آخرها، وبيان ذلك في هذه المطالب:

المطلب الأول: وقوع تعليل الخلق في أول الآية القرآنية.

المطلب الثاني: وقوع تعليل الخلق في وسط الآية القرآنية.

المطلب الثالث: وقوع تعليل الخلق في آخر الآية القرآنية.



المطلب الأول: وقوع تعليل الخلق في أول الآية القرآنية.

يقع التعليل في أول الآية القرآنية، وهو أقل وروداً من الموضوعين الآخرين -وسط الآية وآخرها- ومن شواهد وقوع تعليل الأخلاق في أول الآية القرآنية:

- قوله تعالى في الحث على العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] حيث أنيطت الأحكام في هذه الآية، بوصفٍ في أول الآية يقويها ويؤكدها وهو أن الله جلّ في علاه هو الأمر بها، وهذا من مسالك التعليل.

- قوله تعالى في الحث على الصدق: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] فقد عللت باللام الواقعة في أولها.

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فقد علل الأمر بالإصلاح باعتبار حال المؤمنين مع بعضهم البعض كالإخوة المقرر في أول الآية.

- قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [الطفن: ١] وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] حيث رتب الويل والخزي المذكور أول الآية على من خان الناس في أموالهم أو أعراضهم.

وقد يأتي التعليل في أول الآية القرآنية ويكون تعليلاً للآية السابقة كما في قوله تعالى في النهي عن التبذير: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ [٣٦] إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ [الإسراء: ٣٦] فجاء التعليل في أول الآية الكريمة.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ومثله كذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾

[الهمزة: ٢-٣] حيث جاء التعليل بجملة الحال في مطلع الآية التالية لذم الخلق المذكور.



المطلب الثاني: وقوع تعليل الخلق في وسط الآية القرآنية.

يقع التعليل في وسط الآية القرآنية، وهو أقل وروداً من وقوعه في آخر الآية القرآنية، ومن شواهد وقوع تعليل الأخلاق في وسط الآية القرآنية:

- قوله تعالى في الحث على الإحسان إلى اليتامى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِيتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فجاء اسم التفضيل المعلل به ﴿خَيْرٌ﴾ في وسط الآية.

- قوله تعالى في النهي عن الحسد: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢] فوُجِدَتْ جُمْلَةٌ جَوَابُ الطَّلَبِ الْمَعْلَلَةِ فِي وَسْطِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

- قوله تعالى في الحث على العدل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] فجاء اسم التفضيل المعلل به ﴿أَقْرَبُ﴾ في وسط الآية.

- قوله تعالى في الحث على الشكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

- قوله تعالى في الحث على العفو: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

- قوله تعالى في الحث على الثبوت والتبیین في الأخبار: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِمْ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

- قوله تعالى في الحث على الصبر: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ

تَقُومُ ﴿٤٨﴾ [الطور: ٤٨]



المطلب الثالث: وقوع تعليل الخلق في آخر الآية القرآنية.

يقع التعليل في آخر الآية القرآنية، وهو أكثر وروداً من الموضوعين الآخرين - أول الآية ووسطها-، ومن شواهد وقوع تعليل الأخلاق في آخر الآية القرآنية:

- قوله تعالى في الحث على الشكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِنَّا تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

- قوله تعالى في ذم اليأس: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئِسُّ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- قوله تعالى في النهي عن البخل والإسراف: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

- قوله تعالى في النهي عن العجب وتزكية النفس: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

- قوله تعالى في الأمر بغض الصوت: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

- قوله تعالى في الأمر ببر الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [٢٤] [الإسراء: ٢٣، ٢٤] حيث وقع التعليلان في أواخر الآيتين الكريمتين.

وقد يُعلل الخلق بأكثر من تعليل وتتعدد مواقعها في الآية الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَن تُوَدُّوا أَلْمَنَّتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعُظُّكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَّصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فحثت هذه الآية على أداء الأمانة وجاء الأمر

معللاً في المواضع الثلاثة أول الآية ووسطها وآخرها: ففي أول الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ وفي وسطها: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ وفي آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.



المبحث الثالث

التعليل من حيث موقعه من المعلول

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تقدم العلة على المعلول.
- المطلب الثاني: تقدم المعلول على العلة.

* * * * *

المبحث الثالث:

التعليل من حيث موقعه من المعلول

قد تتقدم العلة على المعلول في الآية الكريمة وهو الخلق المحمود أو المذموم في الآية، وقد يتقدم المعلول على العلة.

وقد اختلف العلماء في بيان أي الحالين أقوى؛ تقدم العلة على المعلول أم العكس؟^(١)

- فقال بعضهم: تقدم العلة فيه على الحكم أقوى في الإشعار بالعلية من العكس؛ لأن إشعار العلة بالمعلول أقوى من إشعار المعلول بالعلة؛ لأن الطرد واجب في العلل دون العكس.

- وقال آخرون: إذا تقدم الحكم بقيت النفس متشوقة لعلّة ذلك الحكم غاية الشوق، فإذا ذكرت العلة بعد ذلك سكنت النفس، ولم تطلب غير هذا الوصف المتقدم، بخلاف ما إذا تقدم معنى ثم ذكر الحكم فقد يكتفى في العلة بما سبق إذا كان شديد المناسبة مثل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] وقد لا، مثل قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وسر هذا: أن النفس أشد بحثاً عن علّة الحكم من حكم العلة؛ لأن العقول طالبة للحكم.

- وتوسط فريق فقال: المجموع دلالاته على العلية كدلالة المجموع الآخر؛ لأن في كليهما العلة والمعلول.

(١) ينظر تفصيل المسألة في المراجع الآتية: نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي (٧/ ٣٢٤٤- ٣٢٤٧)، الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (٣/ ٤٥)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٣/ ٥١٧)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لأبي زرعة العراقي (ص: ٦٧٨).

ولعل التوسط أقرب، وهو المتواءم مع ما جاء من علل الأخلاق في القرآن الكريم
بحسب الدراسة.

وشواهد تقدم أحدهما على الآخر في آيات تعليل الأخلاق في المطلبين التاليين:



المطلب الأول: تقدم العلة على المعلول.

قد تسبق العلة معلولها في بعض المواضع، وهو الأقل في آيات تعليل الأخلاق في القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى في الحث على إنفاق المرء مما يحب: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آ عمران: ٩٢] فأنيطت العلة في أول الآية وهي: تحصيل البر بوصف متأخر عنها وهو إنفاق المرء مما يحب.

- قوله تعالى في التحذير من عدم الوفاء بالكيل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فتقدمت العلة وهي الويل والجزاء المترتب، على المعلول وهو التطفيف وعدم الوفاء بالكيل.

- قوله تعالى في الحث على الصبر: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] حيث تقدمت العلة وهي البشارة، على المعلول وهو الصبر.

- قوله تعالى في الحث على الشكر: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آ عمران: ١٤٤] فتقدمت العلة وهي الجزاء والمثوبة، على المعلول وهو الشكر.

- قوله تعالى في الثناء على أخلاق عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فتقدمت العلة وهي وصفهم بعباد الرحمن، على المعلول وهو ما اتصفوا به من مكارم الأخلاق.

- قوله تعالى في الحث على العدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فتقدمت العلة وهي أن الله جل في علاه هو الأمر بالأحكام، على المعلول وهو الأوامر المذكورة من عدل وإحسان وغيرها.

- قوله تعالى محذراً من خلقي الغيبة والسخرية: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فتقدمت العلة وهي الويل والجزاء المترتب، على المعلول وهو اغتيال الناس والسخرية منهم.



المطلب الثاني: تقدم المعلول على العلة.

يسبق المعلول العلة، وهو الأكثر في آيات تعليل الأخلاق في القرآن الكريم، ومن أمثلته ما يأتي:

- قوله تعالى في الأمر بغض الصوت: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] فجاء التعليل بياناً بعد ذكر المعلول وهو الأمر بالتواضع وخفض الصوت.

- قوله تعالى في الحث على العفو: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فجاء التعليل بجملة جواب الطلب المقترن بالفاء بعد جملة الطلب وهي الأمر بالدفء بالتي هي أحسن.

- قوله تعالى في النهي عن خضوع المرأة بالقول للرجل الغريب عنها: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فجاء المعلول وهو النهي عن الخضوع بالقول قبل العلة وهي طمع من في قلبه مرض.

- قوله تعالى في الأمر باتخاذ الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩] فجاء المعلول وهو الأمر بإدناء الجلابيب قبل العلة وهي سلامة المرأة من الأذى.

- قوله تعالى في الأمر برد التحية: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] فتقدم المعلول وهو الأمر برد التحية، على العلة وهي أن الله على كل شيء حسيب.

- قوله تعالى في الأمر بالإصلاح بين الزوجين: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] فتقدم المعلول وهو الحث على الصلح بين الزوجين، على العلة وهو أن الصلح خير.

وقد تقع العلة بين معلولين فتكون متقدمة على أحدهما، متأخرة عن الآخر، وذلك كقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩-١٠].

فجملة إنما المؤمنون إخوة يصح أن تكون تعليلًا للإصلاح بين الطائفتين، كما يصح أن تكون تعليلًا للإصلاح بين الأخوين من المؤمنين.

وقد يجتمع في الآية أكثر من تعليل فتقدم العلة على المعلول وتتأخر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فالمعلول في هذه الآية: أداء الأمانة والحكم بالعدل، وجاء معللاً في المواضع الثلاثة أول الآية ووسطها وآخرها: فسبقت العلة المعلول في أول الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ وتأخرت عنه في وسطها: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ وفي آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

الفصل الثاني

تعلييل الأخلاق الفرديية

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول: تعلييل الأخلاق الفرديية المحمودة.

❖ المبحث الثاني: تعلييل الأخلاق الفرديية المذمومة.

* * * * *

المبحث الأول

تعليل الأخلاق الفردية الحمودة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعليل خلق الصدق.
- المطلب الثاني: تعليل خلق الصبر.
- المطلب الثالث: تعليل خلق الشكر.

* * * * *

المطلب الأول: تعليل خلق الصدق.

١ - قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٢٤) [الأحزاب: ٢٤]

نوع التعليل: في الآية معللات:

- أولها: ترتيب الجزاء على وصف.
- والثاني: اللام "لام كي" (١).
- والثالث: باء السببية.

دراسة التعليل: رُتب الجزاء في الآية على وصف وهو الصدق، واقترن بالباء لبيان سبب الجزاء؛ فإن الجار والمجرور ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ متعلق بما قبله ومترتب عليه فيتعلق بـ ﴿صَدَقُوا﴾ على أنه تعليل له، والجزاء في قوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ﴾: الثواب لأن أكثر ما يستعمل فعل جزئ أن يكون في الخير، ولأن ذكر سبب الجزاء وهو ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ يدل على أنه جزاء إحسان، وإظهار اسم الجلالة في مقام إضماره؛ دليل على عظمة الجزاء، ومعنى الآية: ليشيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم في أقوالهم وأحوالهم ومعاملتهم مع الله واستواء ظاهريهم وباطنهم ووفائهم له به ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ بكفرهم بالله ونفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ من نفاقهم فيهديهم للإيمان، وتعليق التعذيب على المشيئة تنبيه لهم بسعة رحمة الله، وقد ظهر في الآية بحسن صنيع الصادقين قبح صنيع غيرهم؛ وبضدها تبين الأشياء. (٢)

(١) تفسير الثعالبي (٤/٣٤٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/٢٤١)، تفسير البحر المحیط (٨/٤٦٨)، حاشية الشهاب الخفاجي على

وجملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ تعليل للجزاء والتعذيب كليهما، وقد حذف في الآية سبب التعذيب، وأثبت المسبب، وهو التعذيب، وأثبت سبب الرحمة والغفران ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ وحذف المسبب، وهو الرحمة والغفران، وهذا من الإيجاز الحسن. (١)



٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف مجردًا عن فاء السببية.

دراسة التعليل: رتب تَبَارَكَ وَتَعَالَى الحكم وهو ما أعده من مغفرة وأجر عظيم وهي الجنة، على أوصاف متعددة منها الصدق، والمراد به في الآية: الصدق في الإيمان، وقيل: المراد بالصدق هو صدق القول والعمل في جميع الأشياء فمن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾. (٢)

وكذلك من الأوصاف التي رُتّب عليها الحكم في الآية: الصبر، والخشوع لله تعالى والتواضع له ولخلقه، والتصدق والبذل للمحتاجين، والعفاف، وذكر الله عزَّجَلَّ، كل ذلك من الأخلاق التي علّلت في الآية ورتب عليها المغفرة والأجر العظيم، ووصف الأجر بالعظيم: للدلالة على أنه بالغ غاية المبالغ، ولا شيء أعظم من أجر هو الجنة ونعيمها

= البيضاوي (١٦٧/٧)، تفسير السعدي (ص: ٦٦٠)، التحرير والتنوير (٣٠٨/٢١ - ٣٠٩)، إعراب القرآن وبيانه لمحبي الدين درويش (٦٢٧/٧).

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤٦٨/٨)، التحرير والتنوير (٣٠٩/٢١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٦٩/٢٠)، تفسير السمعاني (٢٨٣/٤)، تفسير البيضاوي (٢٣٢/٤)، الباب في علوم الكتاب (٥٤٩/١٥).

الدائم الذي لا ينقطع.^(١)

"وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال، ترتب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَلِيعِينَ وَالْخَلِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾" (٢)



٣- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

نوع التعليل: جملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: قوله تعالى: ﴿يَصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جملة جواب الطلب، وهي تعليل للأمر بالتقوى والصدق في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠).

وقد دعت الآية إلى التخلُّق بالتقوى وسداد القول، وابتداء الكلام ببناء؛ للاهتمام به واستجلاب الإصغاء إليه، ونداؤهم بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه إيماء إلى أن الإيمان يقتضي ما سيؤمرون به، والقول السديد: هو القول الصواب الصادق العدل المستقيم، الذي يوافق ظاهره باطنه، قيل هو: لا إله إلا الله، وقيل: الصدق، وقيل: السداد. وقيل: الصواب.^(٣)

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٣)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٢٥).

(٢) الداء والدواء لابن القيم (ص: ١٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٤٠١)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٣)، اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٥٩٦)، التحرير والتنوير (٢٢/ ١٢٢).

وهذا من قبيل اختلاف التنوع "والكل حق".^(١)

ثم جاء جواب الطلب معللاً للأمر بالصدق فوعد تعالى بأنه يجازي على القول السديد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب، ومعنى الآية: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإذا فعلتم ذلك فإن الله ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: يتقبل حسناتكم الله ويشيكم عليها، وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المعجىء بها صالحة مرضية، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يمحو الذنوب ويكفر السيئات؛ وذلك باستقامتكم في القول والعمل، وذكر ﴿لَكُمْ﴾ للدلالة على العناية بالمتقين أصحاب القول السديد كما في قوله تعالى: ﴿الْمُذْكَرَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشح: ١].^(٢)

وهذه الآية مقرّرة للتي قبلها، بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان، ليرادف النهى والأمر، مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد البليغ؛ فقوي بذلك الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه.^(٣)

٤ - قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: رُتب في هذه الآية الجزاء وهو الجنات والرضوان على وصف وهو

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٥٦٤)، تفسير ابن عطية (٤/٤٠١)، تفسير البيضاوي (٤/٢٤٠)، التحرير والتنوير (٢٢/١٢٣).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٥٦٤)، تفسير البحر المحيط (٨/٥٠٨).

الصدق الذي تحلى به المؤمنون، فعَلَّ انتفاعهم ذلك اليوم بالفوز العظيم وهو: الخلود الأبدى في الجنة ورضا الله عنهم ورضاهم عنه باتصافهم بوصف الصدق وتحليلهم به.

وقرأ الجمهور: ﴿صَدَقْتُمْ﴾ بالرفع وقرئ بالنصب^(١) فقراءة الرفع على أنه فاعل ينفع، وقراءة النصب على أنه مفعول له أي: لصدقهم.^(٢)

والمراد بالصادقين الذين كان الصدق شعارهم لم يعدلوا عنه، ولم يعن صدق المقال فقط بل عناه والصدق في الأفعال وهو ترك الرياء.^(٣)

وخص نفع الصدق في يوم القيامة وإن كان نافعا في كل الأيام؛ لأنه يوم الجزاء الذي فيه تجنى ثمرات الصدق الدائمة الكاملة.^(٤)

ولما أخبر عزَّجَلَّ أن صدق الصادقين في الدنيا ينفعهم في القيامة، شرح كيفية ذلك النفع وهو الثواب الذي رتبته الله لهم من الخلود في الجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبرضاه عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصة له، ورضاهم عنه بما جازاهم به مما لا يخطر لهم على بال ولا تتصوره عقولهم، والجنة بما فيها كالعدم بالنسبة إلى رضوان الله.^(٥)

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي

(١) قرأ نافع وحده نصباً، وقرأ الباقون رفعاً، ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٥٠).

(٢) بنظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٧٨).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٥/٥٠٦)، التحرير والتنوير (٧/١١٨).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤/٤٢٢)، تفسير القرطبي (٦/٣٧٩)، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١/٦٠٦).

(٥) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٢/٤٦٩)، تفسير البحر المحيط (٤/٤٢٣)، فتح القدير للشوكاني (٢/١٠٩).

شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً".^(١)
وقد بين سبحانه أن ما جازاهم به ذلك اليوم هو الفوز العظيم؛ والفوز: الظفر
بالمطلوب على أتم الأحوال، واسم الإشارة في قوله ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لتعظيم المشار
إليه، وهو الجنات والرضوان، ووصف بالعظيم؛ لأنه باقٍ بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير
باقٍ.^(٢)

الفوائد من تعليل خلق الصدق:

١. في الآيات المعلّلة للحثّ على الصدق بيان لأهمية الصدق وأنه من أسباب
تحقق خيري الدنيا والآخرة.
٢. في تعليل الصدق بكونه سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب تأكيد على
عظم هذا الخلق، وأهمية التخلّق به.
٣. علّل الصدق بترتيب الخلود الأبدي عليه في الجنة، ونيل رضا الله تعالى،
والرضا عنه.
٤. علّل الصدق ببيان أن عاقبته خير وإن توقع المتكلم شرّاً؛ فالصدق منجاة.^(٣)
٥. دلّ تعليل الصدق بما ترتب عليه من صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب على أن
حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله.^(٤)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٤/٨) برقم: (٦٥٤٩) (كتاب الرقاق، باب صفة
الجنة والنار)، (١٥١/٩) برقم: (٧٥١٨) (كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة)، ومسلم في
"صحيحه" (١٤٤/٨) برقم: (٢٨٢٩) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على
أهل الجنة).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٤٨٨/١)، فتح القدير للشوكاني (١٠٩/٢)، التحرير والتنوير (١١٩/٧).

(٣) ينظر: هذه أخلاقنا لمحمود محمد الخزندار (ص: ٤٤٠).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٥٦٤/٣).

٦. قسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق؛ فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] فدلّ على أن الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب. (١)

٧. وصف الصادقين باسم الفاعل يفيد الدوام والثبوت وملازمتهم لهذا الخلق الإيماني.



(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٢/٢٥٨).

المطلب الثاني: تعليل خلق الصبر.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)

[البقرة: ١٥٣]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن.

دراسة التعليل: جاء تعليل الحث على الاستعانة بالصبر والصلاة في هذه الآية بيان

التعليلية فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر في الآية السابقة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا

لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢) شرع في بيان الصبر فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها، والآية اعتراض مطنب ابتدئ به إعداد المسلمين لما هم أهله من نصر دين الله شكرًا له على ما خولهم من النعم المعدودة في الآيات السالفة. (١)

وهذه الآية حُضَّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروها على الأبدان والأموال، فأمر سبحانه ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وحفظ النفس، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين، ومناجاة رب العالمين، وإنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات، أما الصبر فهو قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات وتحمل المشاق، وتجنب المحظورات، وأما الصلاة فلأنها يجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والإخلاص له ومن سلك هذه الطريقة في الصلاة فقد ذل نفسه لاحتمال المشقة فيما عداها من العبادات ولذلك قال عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/٣٣٧) التحرير والتنوير (٢/٥١).

وَالْمُنْكَرِ ﴿العنكبوت: ٤٥﴾. (١)

والكلام إذا صُدِّرَ بالنداء فهذا دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب التفات المخاطب إلى مناديه، فافتتح سبحانه الآية بالنداء لأن فيها إشعارًا بخبر عظيم، فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم قبلها ما يهيب النفس لقبولها لتستأنس بها قبل أن تفجأها، وفي افتتاح هذا الخطاب بالاستعانة بالصبر إيذان بأنه سيعقب بالندب إلى عمل عظيم، وذلك تهيئة للجهاد، ولعله إعداد لغزوة بدر الكبرى. (٢)

وعُلِّلَ الحث على الصبر والصلاة بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ والمراد بمعية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الآية: أن يكون الله ﷻ مع الصابر مسددًا ومؤيدًا، ومصبرًا، وأن يكون مع الصابرين بالنصر وإجابة الدعوة، فكأنه تعالى ضمن لهم إذا هم استعانوا على طاعته بالصبر والصلاة أن يزيدهم توفيقًا وتسديدًا وألطافًا كما قال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهي منقبة عظيمة للصابرين؛ فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلًا وشرفًا، وأما المعية العامة؛ فهي معية العلم والقدرة كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وهذه عامة للخلق. (٣)



(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١٣/٣)، تفسير الفخر الرازي (١٢٤/٤)، تفسير البيضاوي (١١٤/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٥٢/٢)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١٧١-١٧٢).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٢٥/٤)، تفسير البيضاوي (١٤/١)، تفسير السعدي (ص: ٧٤)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١٧٤/٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: علّق على وصف الصبر والاسترجاع عند الابتلاء بالخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات التبشير بعدة أمور وهي: الصلوات من الله تعالى، والرحمة، والهداية.

والصلاة في الأصل: الدعاء، ومن الله عَزَّجَلَّ: عفوه ورحمته وبركته وتزكّيته وتشريفه في الدنيا والآخرة، والكناية عن حصول الغفران والثناء بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ بحرف على؛ إشارة إلى أنهم منغمسون في ذلك، قد غشيتهم وتجللتهم، وهو أبلغ من قوله لهم، وجمعت ﴿صَلَوَاتٌ﴾ في هذا الموضوع؛ للتنبيه على كثرتها وتنوعها؛ صلاة بعد صلاة، وقال: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ فأتى بلفظ الرب، لما فيه من دلالة التربية والنظر للعبد فيما يصلحه ويربه به. (١)

والرحمة: قيل هي الصلوات، كررت تأكيداً وإشباعاً للمعنى، وقيل: الرحمة: كشف الكربة وقضاء الحاجة، وقيل: المراد بالرحمة اللطف والإحسان. (٢)

والاهتداء: إما إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر، وإما: إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن، وإما: هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء

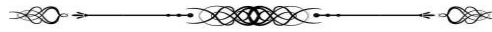
(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٢٢٨)، تفسير البحر المحیط (٢/٥٨)، تفسير البيضاوي (١/١١٥)، فتح القدير للشوكاني (١/١٨٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٢٢٨)، تفسير القرطبي (٢/١٧٧)، تفسير البيضاوي (١/١١٥)، فتح القدير للشوكاني (١/١٨٤).

الله تعالى^(١) "وهذه التقييدات لا دلالة عليها في اللفظ، فالأولى الحمل على الهداية التي هي الإيمان"^(٢).

فعلّل خلق الصبر والاسترجاع عند المصيبة في هذه الآيات بما ترتب عليهما من بشارات، ف بشر الصابرين بثلاث بشارات كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ وقد اشتملت الآية على فرض ونفل؛ فالفرض: التسليم لأمر الله، والرضا بقدره، والصبر على أداء فرائضه. والنفل: إظهار قول إنا لله وإنا إليه راجعون.^(٣)

وفي هذا يروى عن الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نعم العِدْلان ونعم العِلاوة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾"^(٤) فالعِدْلان أي المثلان هما: الصلوات والرحمة، والعِلاوة أصلها ما يعلق على البعير بعد تمام الحمل، والمراد بها هنا: الاهتداء.^(٥)



(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٧/٢)، تفسير البيضاوي (١/١١٥).

(٢) تفسير البحر المحيط (٢/٥٨-٥٩).

(٣) تفسير البحر المحيط (٢/٥٧-٥٨)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ١٢).

(٤) ذكره البخاري تعليقا في "صحيحه" (٢/٨٣) برقم: (١٣٠٢) (كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى)، ورواه موصولاً البيهقي في سننه الكبرى (٤/١٠٨) برقم: (٧١٢٦) (أبواب البكاء على الميت، باب ما ينهى عنه من الدعاء بدعوى الجاهلية وضرب الخد وشق الجيب ونشر الشعر والحلق والخرق والخدش)، وصحح ابن حجر إسناده في تعليق التعليق، وينظر تخريجه بتوسع في تعليق التعليق لابن حجر (٢/٤٧٠).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٧/٢)، فتح الباري لابن حجر (٣/١٧٢).

٣- قوله تعالى: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَبُوا وَتَتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط.

دراسة التعليل: بين تعالى ذكره ما سيقع على المؤمنين من البلاء في الأنفس بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب، وفي الأموال بالإنفاقات الواجبة، وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال وما يقع فيها من الآفات، وقدم الأموال على الأنفس على سبيل الترتي إلى الأشرف، أو على سبيل الكثرة؛ لأن الرزايا في الأموال أكثر من الرزايا في الأنفس، وما سيقع على المؤمنين من البلاء أيضًا: ما يسمعون من أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - ومن المشركين - وهم سائر الطوائف الكفرية - من الأذى ويشمل أقوالهم في الرسول وأصحابه، وفي الله تعالى وأنبياؤه، والمطاعن في الدين وتخطئة من آمن. (١)

وأكد الفعل بلام القسم وبنون التوكيد الشديدة ﴿لَتَبْلُوكَ﴾ لإفادة تحقيق الابتلاء، إذ نون التوكيد الشديدة أقوى في الدلالة على التوكيد من الخفيفة، والغرض من هذا الإعلام: أن يوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال وترك الجزع، وذلك لأن الإنسان إذا لم يعلم نزول البلاء عليه فإذا أنزل البلاء عليه شق ذلك عليه، أما إذا كان عالمًا بأنه سينزل، فإذا نزل لم يرهقه نزوله. (٢)

وجاء تعليل الحث على التخلّق بالصبر وبالتقوى بجملة جواب الشرط: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ فاسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ يرجع إليهما، فالصبر على الابتلاء

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٤٤٩)، تفسير البحر المحيط (٣/٤٦٤)، فتح القدير للشوكاني (١/٤٦٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٩/٤٥٣)، تفسير البيضاوي (٢/٥٣)، التحرير والتنوير (٤/١٨٩).

في المال: وهو الاختبار والامتحان بالمصائب والإنفاقات الواجبة، وسائر التكاليف الشرعية، وكذلك الصبر على الابتلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفقد الأحاب، والقتل في سبيل الله، والصبر على ما يُسمع من الأذى الكثير والطعن في الدين والعرض من قبل أهل الكتاب والذين أشركوا، فالصبر على ذلك كله ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من عزائم الأمور التي يجب العزم عليها، أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه، وقيل من عزم الأمور: من أشدها وأحسنها وأصلحها. (١)



٤ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

نوع التعليل: جاء التعليل في هذه الآية بأداة التعليل: لعلّ.

دراسة التعليل: لما ذكر تعالى في سورة آل عمران أنواعاً كثيرة من علوم الأصول مما يتعلق بتقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وعلوم الفروع مما يتعلق بالتكاليف والأحكام نحو الحج والجهاد والزكاة وغيرها، ختم السورة بهذه الآية المشتملة على جميع الآداب؛ لأن أحوال الإنسان قسمان: منها ما يتعلق به وحده؛ فلا بد فيه من الصبر، ومنها ما يكون مشتركاً بينه وبين غيره؛ فلا بد فيه من المصابرة، فمن جمعهما فاز بنعيم الآخرة. (٢)

وقد أمر عزَّجَلَّ بالصبر: وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة: وهي حاله في الصبر مع خصمه، والمرابطة: وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرباط فهو انتقال من الأدنى إلى الأعلى، وقد يصبر ويصابر ويرباط من غير تعبد بالتقوى فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٥٥)، تفسير البحر المحيط (٣/ ٤٦٤)، تفسير البيضاوي (٢/ ٥٣)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٦٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٩/ ٤٧٣)، تفسير البحر المحيط (٣/ ٤٨٥).

موقوف عليها فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته^(١) "وكل منتظر قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها: مرابط"^(٢) ومنه قول النبي ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط"^(٣).

وعُمل الأمر بالصبر والمصابرة والرباط والتقوى بقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فمن صبر، وصابر، ورباط لأجل حماية الحق وأهله، واتفق ربه في سائر شؤونه فقد أعد نفسه بذلك للفلاح وهو: الفوز بكل مطلوب.^(٤)



٥- قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقْمِرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا مَّعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

نوع التعليل: التعليل بيان، "والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الأمر والنهي"^(٥).

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآية جملة من الوصايا التي حثّ عليها لقمان ابنه، فلما نهاه أولاً عن الشرك: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِيْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وأخبره ثانياً بعلمه تعالى وباهر قدرته: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

(١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٥٨/٢).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٥١/١) برقم: (٢٥١) (كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره).

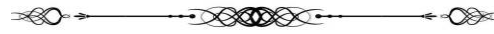
(٤) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٢٦١/٤).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٧٢/٧).

خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ [شمان: ١٦] أمره في هذه الآية بما يتوسل به إلى الله من الطاعات؛ فبدأ بأشرفها، وهو الصلاة، حيث يتوجه إليه بها، ثم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه إذا كمل في نفسه بعبادة الله كمل غيره، وهذا شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء، كما أمره بالصبر على ما يصيبه من المحن جميعها، أو على ما يصيبه بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قد يتعرض لأذى بعض الناس، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو شك أن يتركهما. (١)

ووجه تخصيص هذه الطاعات: أنها أمهات العبادات، وعماد الخير كله، وهذه الآية تدلّ على قِدَمِ هذه الطاعات، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم، وأن الصلاة لم تنزل عظمة الشأن، سابقةً على ما سواها، موصى بها في الأديان كلها. (٢)

وجاء التعليل في هذه الآية بجملة: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [فمان: ١٧] والإشارة بقوله ذلك إلى ما تقدم من الطاعات المذكورة، مما نهاه عنه وأمره به، وقيل: إشارة إلى الصبر، ومن عزم الأمور أي: مما جعله الله عزيمة، وأوجه على عباده من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة؛ فقد يتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه بنقص أو أذى، فليصبر وليحتسب فإن ذلك من أحسن الأمور وأصلحها لحاله وماله، وقد دلّ التأكيد بيان على الاهتمام. (٣)



(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٢١/٢٥)، تفسير البحر المحيط (٤١٥/٨) التحرير والتنوير (١٦٥/٢١).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤٩٧/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٥/٤).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤١٥/٨)، تفسير البيضاوي (٢١٥/٤)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٥/٤)، التحرير والتنوير (١٦٦/٢١).

٦ - قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف مجرداً عن فاء السببية.

دراسة التعليل: عُلِّل الصبر في هذه الآية بإناطة الحكم: وهو محبة الله سبحانه بوصف: وهو خلق الصبر الذي تحلى به أتباع الأنبياء لا سيما عند مواجهتهم للعدو وقتالهم في سبيل الله، وهو موقف عظيم لا يثبت فيه إلا من رُزق الصبر إيماناً بنصر الله ومعيته؛ لذلك علق سبحانه محبته بالصبر وجعلها لأهله.

والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم؛ ومن ذلك: خلق الصبر المذكور في هذه الآية، وإخبار الله تعالى عن محبته للصابرين فيه أعظم ترغيب للراغبين.^(١)

والمراد بالصابرين: أي على قتال عدوهم، أو على دينهم، والظاهر العموم لكل صابر على ما أصابه من قتل في سبيل الله، أو جرح، أو بلاء، أو أذى يناله بقول أو فعل أو مصيبة في نفسه، أو أهله أو ماله، أو ما يجري مجرى ذلك.^(٢)

والصراع بين الحق والباطل سنة كونية؛ لذلك صُدِّرت الآية بصيغة تفيد تكرر وقوع الابتلاء في سبيل الله فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ﴾ وأصلها أي، دخلت عليه كاف التشبيه وصارت في معنى كم التي للتكثير.^(٣)

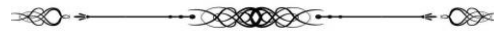
والرَبِيُونَ جماعات كثيرة من أتباع الأنبياء الذين ربوهم بالإيمان والأعمال الصالحة، واحدهم ربي وهو عابد الرب، فهم العباد الذين صبروا مع الأنبياء، وقد نفى

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/٢٥)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٢).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣/٣٧٣).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (١/٢٩٨)، التحرير والتنوير (٤/١١٦).

الله عنهم الوهن والضعف والاستكانة: فالوهن قلة القدرة على العمل، وعلى النهوض في الأمر، والضعف ضد القوة في البدن، فالأول أقرب إلى خور العزيمة، ودبيب اليأس في النفوس والفكر، والثاني أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة، وأما الاستكانة فهي الخضوع والمذلة للعدو، ومن اللطائف ترتيبها في الذكر على حسب ترتيبها في الحصول: فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء، وجاء الاستسلام، فتبعته المذلة والخضوع للعدو. (١)



٧- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفْسُكُمُوتَ تَذْهَبُ رِيحًا وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٤٦]

نوع التعليل: التعليل بجملة ﴿إِنَّ﴾.

دراسة التعليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ تعليل للأمر بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا﴾.

والصبر محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب؛ فقد أمر الله المؤمنين بالتزام طاعة الله عَزَّجَلَّ وطاعة رسوله ﷺ وعدم التنازع والاختلاف في الرأي، ثم أمرهم الله بما يعم نفعه المرء في نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفاً ألا وهو الصبر؛ لأن الصبر هو تحمل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك الأمور كلها تحتاج إلى تحمل المكاره، ولذلك كان قوله: واصبروا بمنزلة التذييل. (٢)

وعُلِّل الأمر بالصبر ببيان معية الله للصابرين؛ فجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قائمة

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٥٢٠)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٣٠)، تفسير البحر المحيط (٣/ ٣٧١)، تفسير البياضوي (٢/ ٤١)، التحرير والتنوير (٤/ ١١٨-١١٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحي (٢/ ٤٦٤)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٥)، التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢).

مقام التعليل للأمر، وقوله **وَاصْبِرُوا إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ**، تتميم في الوصية وعدة مؤنسة، فيها إيماء إلى منفعة إلهية للصبر، وهي معية الله لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذه المعية التي لا يغلب من رزقها غالب، ولا يؤتى صاحبها من جهة من الجهات وإن كانت كثيرة، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها، فهو تعالى مع الصابرين في كل أمر ينبغي الصبر فيه. (١)

ومعية الله تعالى للصابرين معية نصر وتأييد وتوفيق؛ لأن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه معية خاصة للمتقين والصابرين والمحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فهذه المعية الخاصة هي بالنصر والتوفيق ونحو ذلك.

أما المعية العامة هي بالإحاطة الكاملة، وإحاطته **جَلَّ وَعَلَا** بكل شيء معلومة، وهي المذكورة في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. (٢)

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۚ وَلَيْنِ أَدْقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْتِهٖ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [١٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١]

نوع التعليل: تعليق الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: علق في هذه الآية حصول الجزاء وهو: المغفرة والأجر الكبير، على وصف وهو: الصبر وعمل الصالحات، وقد وصف الله الإنسان في هذه الآيات بالقنوط واليأس عند زوال النعمة، وبالبطر والفرح والكبر عند حلولها مستثنياً من وفقه

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٥٣٧)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٦٠)، التحرير والتنوير (١٠/ ٣٢)، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٥/ ١٨٩).

(٢) العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥/ ٨٨).

الله فخرج من هذا الخلق الذميمة إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم ييطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات، شكرا لآلاء الله عزَّجَلَّ سابقها ولاحقها. (١)

والمراد بالإنسان في الآيات جنس الإنسان، والمعنى: إن هذا الخلق في سجايا الناس، ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح (٢) "وقد نسجت الآية على هذا المنوال من الإجمال لتذهب نفوس السامعين من المؤمنين في طرق الحذر من صفتي اليأس وكفران النعمة، ومن صفتي الفرح والفخر كل مذهب ممكن" (٣).

ودل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على أنهم متصفون بضد صفات المستثنى منهم؛ فالصبر في هذه الآية مقابل اليأس والقنوط من رحمة الله، وعمل الصالحات مقابل البطر وكفران النعمة؛ ولما تضمنه اليأس من عدم الصبر، والكفران من عدم الشكر؛ كان قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بمنزلة إلا الذين صبروا وشكروا، وذلك من صفات المؤمن فكفى بهما عنه (٤) وقد قال ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (٥).

والتعليل في هذه الآية مستفاد من وعد الله لمن تحلى بهذه الصفات بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأجر المتناهي في الكبر؛ تحريضا على هذه الصفات وحضا عليها،

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٣/١٢٩)، تفسير السعدي (ص: ٣٧٨).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/٣٦٠)، تفسير البحر المحيط (٦/١٢٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/١٥).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي (٥/٧٧)، التحرير والتنوير (١٢/١٥).

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩) (كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير).

فجمع لهم بين مطلوبين؛ أحدهما: زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ والثاني: الفوز بالثواب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ومن وقف على هذا التفصيل ظهر له أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه فهو معجز بحسب معانيه^(١).

والإتيان باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ تنبيه على أنهم استحقوا ما يذكر بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر قبله من الأوصاف كقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]^(٢).

ووصف الأجر بالكبير؛ لأنه مخلد مع ما معه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.^(٣)



٩ - قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِعُّ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]

١٠ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَ نَتُكَلِّمُكَ لِأَنَّكَ يَؤُسُفُ قَالَ أَنَا يُؤُسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِعُّ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف بفاء السببية.

دراسة التعليل: رُتِبَ في الآيتين على وصف وهو الصبر حكم وهو أنه تبارك وتعالى لا يضيع أجر المحسنين، ورُبط بالفاء التي جاءت في جواب الأمر وأفادت التعليل.^(٤)

والتعليل في الآية الأولى أفاد تعميم الحكم فالخطاب بها للنبي ﷺ لفظاً ولسائر

(١) تفسير الفخر الرازي (١٧/٣٢٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/١٥).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٥/٧٧).

(٤) حاشية الطيبي على الكشاف (٨/٢٢٥)، تفسير أبي السعود (٤/٢٤٦)، تفسير الألوسي (٧/٤٩٢)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/٥٦٧).

أمته بالمعنى "وتوجيه الخطاب إلى النبي ﷺ تنويه به، والمقصود هو وأمته بقرينة التعليل بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾" (١) فمن آثار التعليل في هذه الآية تعميم الحكم إرشاداً للاقتداء به عليه الصلاة والسلام. (٢)

وفي أمر النبي ﷺ بالصبر في الآية الأولى، وتحلي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ به في الآية الثانية دليل على أن الصبر من أجل مقامات الإيمان، وأن أخصّ الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياماً وتحققاً به، وأن الخاصة أحوج إليه من العامة. (٣)

وسمي الثواب في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أجراً؛ لوقوعه جزاء على الأعمال ولكونه موعوداً به فأشبهه الأجر، وحرف التأكيد ﴿إِنَّ﴾ مجلوب للاهتمام بالخبر. (٤)

وأتى باللفظ العام في قوله تعالى: ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ ليندرج فيه كل من أحسن بسائر خصال الإحسان مما يحتاج إلى الصبر فيه وما قد لا يحتاج كقطع من خلق كريمًا فلا يتكلف الإحسان إذ هو مركز في طبعه، وليكون دليلاً على أن الصبر إحسان وإيماء بأنه لا يعتد به دون الإخلاص. (٥)



(١) التحرير والتنوير (١٢/١٨٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٢١١)، تفسير الألوّسي (٧/٤٩٢)

(٣) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص: ٢٦٦)

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/١٨٢).

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٢٢٤)، تفسير البيضاوي (٣/١٥١)، التحرير والتنوير (١٣/٤٩).

١١ - قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْأَلْبَابَ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۗ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۗ﴾ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۗ﴾ (٢٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ﴾ (٢٣) سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۗ﴾ (٢٤) [الرعد: ١٩-٢٤].

نوع التعليل: في الآيات أنواع أربعة من التعليل؛ وهي:

١. تعليق الحكم على وصف.

٢. جملة صلة الموصول.

٣. المفعول له.

٤. باء السببية.

دراسة التعليل: ذكر في الآيات تعليقات عدة لما اتصف به المؤمنون من امتثال لأوامر الله تعالى، ولما تحلوا به من أخلاق فاضلة:

أولها: تعليق الحكم على وصف؛ وقد جاء تعليق الحكم على وصف في موضعين من الآيات:

أ/ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْأَلْبَابَ﴾ فعلق الحكم بكونهم أصحاب العقول السليمة على اتصافهم بما جرى ذكره لاحقاً في الآيات. (١)

ب/ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فعلق الجزاء والعاقبة الحسنة على اتصافهم بهذه الأوصاف. (٢)

والثاني: جمل صلة الموصول المتكررة في الآيات: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ

الْمِيثَاقَ ۗ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۗ﴾ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠٩)، تفسير البيضاوي (٣/١٨٦)، اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٢).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٩٤).

أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى
الدَّارِ ﴿٢٢﴾ .

وهما تعليان لخلق الصبر والأخلاق الأخرى المذكورة في الآيات: من الوفاء بالعهد وعدم الغدر، وصلة الرحم، والإنفاق سرًّا وعلانية، ودفع السيئة بالحسنة، إلى جانب ما اتصفوا به من خشية الله تعالى، وإقامة الصلاة. (١)

والثالث: المفعول له أو المفعول لأجله في قوله تعالى: ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾. (٢)

والرابع: باء السببية في قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾. (٣)

وهما تعليان لخلق الصبر.

وقد ذكر سبحانه في الآيات تسعة قيود للشرط، ورتب عليها أربعة قيود للجزاء (٤) أما

القيود المذكورة في الشرط فهي:

الأول: الوفاء بالعهد.

الثاني: عدم نقض الميثاق.

الثالث: صلة ما أمر الله به أن يوصل.

الرابع والخامس: خشية الله عزَّ وجلَّ والخوف من سوء الحساب.

السادس: الصبر ابتغاءً لوجه الله؛ والصبر لوجه الله يدخل في الصبر على الابتلاءات

وعلى العبادات وعن الشهوات ونحو ذلك، ولم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣-٢٩٥).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٠).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٧)، التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٩/٣٦).

خالصاً لوجهه. (١)

والابتغاء: الطلب. ومعنى ابتغاء وجه الله: طلب رضاه، فهو تعليل لصبرهم؛ والمعنى أنهم صبروا لأجل أن الصبر مأمور به من الله لا لغرض آخر كالرياء ليقال ما أصبره على الشدائد ولا لقاء شماتة الأعداء؛ كقول الشاعر:

وَتَجَأُ دِي لِّلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ أَنِّي لَرِيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ (٢)

فإذا كان صبره لأحد هذه الأغراض، لم يكن داخلياً في كمال النفس، أمّا إذا صبر على البلاء لعلمه أن البلاء قسمة الحكيم العلام، وأن تلك القسمة مشتملة على حكمة ومصالحة، ورضي بذلك؛ لأنه لا اعتراض على المالك في تصرفه في ملكه، فهذا هو الذي يصدق عليه أنه صبر ابتغاء وجه ربه؛ لأنه صبر لمجرد طلب رضوان الله. (٣)

وجاءت الصلوات ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ﴾ و﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وما عطف عليهما بصيغة المضارع لإفادة التجدد كنايةً عن الاستمرار، وجاءت صلة ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وما عطف عليها وهو ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ و﴿وَأَنفَقُوا﴾ بصيغة الماضي؛ لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم وتمكنها من أنفسهم؛ اعتناء بشأنها لأنها أصول لفضائل الأعمال، وقصد بالفعل الماضي ﴿صَبَرُوا﴾ تقدم الصبر على الصلتين وما عطف عليهما؛ لأن حصول تلك الصلوات إنما هي مترتبة على تحقق الصبر وتقدمه عليها، ولذلك لم تأت صلة الصبر في القرآن إلا بصيغة الماضي إذ هو شرط في حصول التكليف وإيقاعها. (٤)

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠٩)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١).

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو من بحر الكامل، ينظر: ديوان أبي ذؤيب الهذلي بتحقيق وشرح الدكتور: أنطونيوس بطرس (ص: ١٤٥).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٥٢٥)، زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٩٢)، الباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٤)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٩).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٠)، تفسير أبي السعود (٥/١٧)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٨).

السابع والثامن: إقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلانية، فذكر سبحانه العبادة البدنية، والعبادة المالية، إذ هما عمود الدين، والصبر عليهما أعظم صبر لتكرار الصلوات، ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال.

التاسع: درء السيئة بالحسنة.

وقد تناولت هذه الآيات مقامات الإسلام والإيمان كلها؛ فاشتملت على فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقوله ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] وقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الأمور الثلاثة؛ لأن حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور.^(١)

وأما القيود الأربعة المذكورة في الجزاء فهي:

الأول: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ وعقبى الدار: عاقبة الدنيا، وهي الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها، واجتلاب اسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [لقمان: ٥]، وقدم المجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عَقَبَى الدَّارِ﴾؛ للدلالة على القصر، أي لهم عقبى الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم.^(٢)

الثاني: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من عقبى الدار، والعدن: الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وذكر يدخلونها لاستحضار الحالة البهيجة.^(٣)

(١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٣٦/١٩)، تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، التحرير والتنوير (١٢٤/١٣).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، تفسير البيضاوي (١٨٦/٣)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣).

الثالث: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي ومن آمن منهم؛ وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة، وقد ألحق الله تعالى بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقرّ عينه بهم، وذكر الله هذا للبشرى كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وهذا كعكسه في قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] لأن مشاهدة عذاب الأقارب عذاب مضاعف. (١)

الرابع: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) وهذا من كرامتهم؛ فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة، وجملة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحية يقصد منها تأنيس أهل الجنة. (٢)

وعلّل تبارك وتعالى الجزاء بقوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي أن هذا الثواب بسبب صبركم؛ فلما كان الصبر هو الذي نشأ عنه تلك الطاعات السابقة، ذكرت الملائكة أن النعيم السرمدى إنما هو حاصل بسبب الصبر، ولم يأت التركيب بالإيفاء بالعهد، ولا بغير ذلك. (٣)

١٢ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُؤْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا نُجْزِيهِمْ إِلَّا خَيْرَ أَكْثَرٍ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢) [النحل: ٤١-٤٢].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٩٣)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٢)، التحرير والتنوير (١٣/١٣١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٥٢٧)، تفسير ابن عطية (٣/٣١٠)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٣).

دراسة التعليل: أنيط الحكم في الآية من حسن الثواب في الدنيا والآخرة بوصف وهو: الصبر على أذى الكفار وفراق الأوطان، وعلى مشاق الطاعات وأقدار المولى سبحانه، والتوكل على الله سبحانه وتفويض الأمور إليه.

وقد ذكر سبحانه أوصاف أوليائه الذين هاجروا لأجل مرضاته فنالوا عظيم الجزاء - وهو عام في المهاجرين يشمل أولهم وآخرهم - بقوله ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: والمراد: هم الذين صبروا، أو أعنى الذين صبروا، وكلاهما مدح، والمعنى: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن، وعلى احتمال الغربة بين أناس أجنب في النسب لم يألفهم، وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله، وعلى غير ذلك مما لقيه المهاجرون.^(١)

ووصفهم كذلك بالتوكل والاعتماد عليه وحده عزَّجَلَّ؛ ودلَّ على ذلك: تقديم المجرور ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ والذي أفاد القصر، أي: لا يتوكلون إلا على ربهم، والتعبير في جانب الصبر بالماضي ﴿صَبَرُوا﴾ وفي جانب التوكل بالمضارع ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: إيماء إلى أن صبرهم قد أذن بالانقضاء لانقضاء أسبابه، وأن الله قد جعل لهم فرجاً بالهجرة، وأن التوكل ديدنهم؛ لما يستقبلونه من أعمال جليلة لا تتم لهم إلا بالتوكل على الله في أمورهم فهم يكررونه، وفي هذا بشارة بضممان النجاح.^(٢)

فذكر تعالى في هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنات في الدنيا، والأجر في الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا جُرْأَلْآخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم وأشرف وأهم وأنفع، وهو الجنة، لأجل أنهم هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله، وذلك ترغيب لغيرهم في طاعة الله تعالى، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٦٠٧)، تفسير ابن عطية (٣/٣٩٥)، تفسير البحر المحيط (٦/٥٣١)،

تفسير الألوسي (٧/٣٨٥)، تفسير السعدي (ص: ٤٤٠).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٥/١١٦)، التحرير والتنوير (١٤/١٥٩ - ١٦٠).

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠٠﴾ [الزمر: ١٠٠].^(١)



١٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفِ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.^(٢)

دراسة التعليل: جاء تعليل الصبر في هذه الآية بجملة جواب الشرط ﴿لَهُوَ خَيْرٌ﴾ المقترنة باللام، فبين عز وجل خلقاً فاضلاً عاماً للأمة في حسن المعاملة والصفح، وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمن فقال: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ تنويهاً وحثاً على خلق الصبر وترك العقوبة، والعتو عن أساء.^(٣)

فآيات فيها جواز الانتقام والإرشاد إلى أفضلية العفو، وقد أمر تعالى في الآيتين برعاية العدل والإنصاف ورتب ذلك على مراتب:

المرتبة الأولى: التعريض بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ بمعنى: إن رغبتم في استيفاء القصاص، فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه؛ وهو دليل على أن الأولى ألا يفعل؛ كقول الطبيب للمريض: إن كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح، ومعناه: الأولى بك ألا تأكله، فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الأولى تركه.

المرتبة الثانية: الانتقال من التعريض إلى التصريح بقوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٦٠)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/ ٢٠٩)، التحرير والتنوير (١٤/ ١٦٠).

(٢) إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٣٨٦).

(٣) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١)، التحرير والتنوير (١٤/ ٣٣٦)، تمتة أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٤٣٤).

لِلصَّابِرِينَ ﴿١﴾ وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام؛ لأن الرحمة أفضل من القسوة.

المرتبة الثالثة: وهو الأمر بالجزم بالترك، بقوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾؛ ففي المرتبة الثانية ذكر أن الترك خير وأولى، وفي هذه المرتبة صرح بالأمر بالصبر في هذا المقام. (١)

ولما كان الصبر في هذا المقام شاقاً ذكر بعده ما يفيد سهولته؛ فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوفيقه ومعونته، وهذا هو السبب الكلي الأصلي في حصول جميع الطاعات، ثم ذكر بعده السبب الجزئي القريب فقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ وذلك لأن إقدام الإنسان على الانتقام وعلى إنزال الضرر بالغير دافعه هيجان الغضب، وشدة الغضب لا تحصل إلا لأمرين:

أحدهما: فوات نفع كان حاصلًا في الماضي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

والثاني: توقع ضرر في المستقبل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾. (٢)

وقد أطلق جَلَّ وَعَلَا في الآيات اسم العقوبة على الجناية الأولى في قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ والجناية الأولى ليست عقوبة؛ والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلتها أو المزوجة اللفظ، والمعاقبة: الجزاء على فعل السوء بما يسوء فاعل السوء. ومعنى الآية: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه.

والمشاكلتها بين الألفاظ من أساليب اللغة العربية فيستعمل لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلتها للفظ آخر مقترن به في الكلام، ومنه قول الشاعر:

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٠/٢٨٩)، الباب في علوم الكتاب (١٢/١٩٠).

(٢) ينظر: الباب في علوم الكتاب (١٢/١٩٠).

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبَخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا (١)

أي: خيطوا لي. (٢)

وقد رغب سبحانه في الصبر على الأذى، فإن العقوبة مباحة لكن تركها أفضل؛ معللاً ذلك بأن الصبر خير: ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُوَ خَيْرٌ﴾ أي خير من الأخذ بالعقوبة؛ لأن الصبر أجلب لقلوب الأعداء، كقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. (٣)

وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ وضع الصابرين موضع الضمير، والإظهار في مقام الإضمار هنا لزيادة التنويه بصفة الصابرين، أي الصبر خير لجنس الصابرين. (٤)

١٤ - قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف، وباء السببية.

دراسة التعليل: جاء التعليل في هذه الآية بترتيب الجزاء وهو: الفوز في الآخرة، على وصف وهو: الصبر، فذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه جزى المؤمنين المستضعفين في الدنيا بالفوز بالجنة في الآخرة، والفائزون: المنتهون إلى غايتهم التي

(١) البيت للشاعر العباسي أبي الرقعمق، وهو من الكامل، ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي (٢/ ٢٥٢).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٦٤٤)، تفسير النسفي (٢/ ٢٤٢)، تفسير ابن جزي (١/ ٤٣٩)، التحرير والتنوير (١٤/ ٣٣٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٦٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن جزي (١/ ٤٣٩)، التحرير والتنوير (١٤/ ٣٣٦).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٦٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٣)، التحرير والتنوير (١٤/ ٣٣٦).

كانت أملهم، ومعنى الفوز النجاة من هلكة إلى نعمة. (١)

والباء في "بما صبروا" للسببية أي: بسبب صبرهم في الدنيا واحتمالهم لأذى الكفار الذين اتخذوهم سخرياً، فإن الآية السابقة ذكرت سخرية الكفار من المؤمنين في الدنيا: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، وما دلت عليه هذه الآيات جاء مبيناً في مواضع أخر مع بيان أن المؤمنين يوم القيامة يهزؤون بالكفار ويضحكون منهم والكفار في النار كقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْتَبُّونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦] وفي هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين واحتقارهم والازراء عليهم، وأن ذلك مبعث من الله عزَّوجلَّ. (٢)

وفي التعليل بقوله: ﴿يَمَّا صَبَرُوا﴾ إدماج للتنويه بالصبر، والتنبيه على أن سخرية الكفار كانت سبباً في صبر المؤمنين الذي أكسبهم الجزاء، وفي ذلك زيادة تلهيف للمخاطبين بأن كانوا هم السبب في ضر أنفسهم ونفع من كانوا يعدونهم أعداءهم. (٣)

وضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ للاختصاص، فجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون. (٤)



(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/١٥٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/٣٦١).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/٢٧٣)، تفسير القرطبي (١٢/١٥٥) فتح القدير للشوكاني (٣/٥٩١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/٣٦١)، إعراب القرآن وبيانه (٦/٥٥٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/١٣٠). والإدماج هو في البديع أن يدمج المتكلم غرضاً في غرض، أو بديعاً في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحدهما كقوله تعالى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ) (القصص: ٧٠) فإن الغرض تفرده سبحانه بوصف الحمد فأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء. انظر: الكليات للكفوي (ص: ٨٢).

(٤) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٢)، التحرير والتنوير (١٨/١٣٠).

١٥ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠]

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: علّل الصبر في هذه الآية بما أنيط به من الإخبار أنه لا يُلقَى الأعمال الصالحة وجزائها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، فإن ما تشتمل عليه خرجة قارون، وما تدل عليه ملامحه من فتنة ببهرجته؛ دالة على قلة صبره عن لذائذ الدنيا ومفاخرها الباطلة، ففي الآية تنبيه على ذلك، وإزالة لما تستجلبه حالة قارون من نفوس المبتلين بزخارف الدنيا.^(١)

وقد أخبر الله تعالى عن ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبي أنهم زجروا الذين تمنوا حال قارون وأرشدوهم إلى الطريقة المثلى من أن النظر والتمني إنما ينبغي أن يكون في أمر الآخرة، وأن حالة المؤمن العامل الذي ينتظر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ مما تمنونه، فلا تمنوا عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم، ثم قال تعالى ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾: أي يُمكن هذه الحكمة؛ وهي معرفة ثواب الله إلا ﴿الصَّابِرُونَ﴾ على أداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات، وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار، وهذا هو جماع الخير كله.^(٢)

وتخصيص خصلة الصبر بالذكر والتعليل في هذا الموضع؛ لأن الصبر وسيلة لنوال الأمور العظيمة من الثبات على الإيمان والعمل الصالح وما يترتب عليها من ثواب وخير، فإن السعي إليها يحتاج إلى تجلّد لما يعرض خلاله من مصاعب وعقبات، فإن لم يكن المرء متخلّقًا بالصبر خارت عزيمته.^(٣)



(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٥٣)، التحرير والتنوير (٢٠/١٨٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/٣٠١)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٧)، تفسير النسفي (٢/٦٥٩)، تفسير البحر المحيط (٨/٣٢٨)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢١٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠/١٨٤).

١٦ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

نوع التعليل: إناطة الجزاء بوصف.

دراسة التعليل: أنيط الجزاء في الآية وهو الخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار بوصف وهو: الصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات، وعلى فراق الأوطان، وما قدره المولى جل شأنه، والتوكل على الله سبحانه وتفويض الأمور إليه.

فقال تعالى مبيناً ما ترتب لهم من جزاء ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: من المباءة وهي الإنزال، تقول العرب: (بوأه يبوئه) أي: اتخذ له مباءة، أي: منزلاً، والمبوء: هو المنزل. (١)
وَقُرئت (لنُتَوِيئَنَّهُم) (٢) من الثواء وهو الإقامة والاستقرار، يقال: ثوى الرجل إذا أقام. (٣)

﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ والغرف: جمع غرفة، وهو البيت المعتلي على غيره، والمراد: علالي الجنات، فعُلل الصبر بتبوء الصابرين للغرف وتنعمهم بالخلود في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، وجملة: ﴿نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ﴾: إنشاء ثناء وتعجيب على الأجر الذي أعطوه، فلذلك قُطعت عن العطف. (٤)

ووجه اختصاص الصبر والتوكل بالذكر والتعليل؛ أن الزمان ماضٍ وحاضر ومستقبل؛ أما الماضي فلا تدارك له ولا يؤمر العبد فيه بشيء، وأما الحاضر فاللائق به

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٥٨، لسان العرب (١/٣٨ - ٣٩)، اللباب في علوم الكتاب (١٥/٣٧٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (لنُتَوِيئَنَّهُم) بالثاء المثناة ساكنة بعد النون وإبدال الهمزة ياء، ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣٤٤).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ١٨١).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/٣٦٤)، التحرير والتنوير (٢١/٢٣)،

الصبر، وأما المستقبل فاللائق به التوكل، فيصبر على ما يصيبه في الحال، ويتوكل فيما يحتاج إليه في الاستقبال، وهما صفتان لا يحصلان إلا مع العلم بالله والعلم بما سوى الله، فمن علم ما سواه علم أنه زائل فيهن عليه الصبر إذ الصبر على الزائل هين، وإذا علم الله علم أنه باق فإن فاته شيء فإنه يتوكل على حي باق، وهذان جماع الخير كله: الصبر وتفويض الأمور إلى الله تعالى.^(١)



١٧ - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

نوع التعليل: ترتيب الحكم على وصف.

دراسة التعليل: رُتبت الإمامة هذه الآية على صبر بني إسرائيل على دينهم وما لاقوه من أذى عدوّهم، وعلى يقينهم بآيات المولى سبحانه وإيمانهم بها، "وفي لَمَّا معنى الجزاء، والتقدير: لما صبروا جعلناهم أئمة"^(٢).

وَقُرئت الآية بما يؤكد وجود التعليل بتخفيف الميم (لَمَّا)^(٣) على أنها مركبة من لام التعليل و(ما) المصدرية، أي: جعلناهم أئمة؛ لأجل صبرهم وإيقانهم.^(٤)

وفي القراءتين معنى المجازاة أي جعلهم أئمة بمعنى: قادة في الخير يقتدى بهم، جزاء على صبرهم عن الدنيا وكونهم موقنين بآيات الله وأوامره وجميع ما تورده الشريعة، وكذلك ليكون من هذه الأمة أئمة يهدون مثل تلك الهداية إذا صبروا على نصره الدين

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٧١/٢٥)، تفسير البحر المحيط (٣٦٥/٨).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٩٧/٤).

(٣) هكذا قرأها حمزة والكسائي (لَمَّا) مكسورة اللام خفيفة الميم، ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٥١٦).

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٣٦٥/٤)، التحرير والتنوير (٢٣٨/٢١).

وثبتوا على اليقين. (١)

وقد بين سبحانه أن إمامة الناس في أمر الدين يحصل بالصبر، وإمعان النظر في الآيات وكثرة تدبرها حتى يصل العبد إلى درجة اليقين، وإن كان المراد من الآيات ما في التوراة من الشرائع والمواعظ، فإطلاق اسم الآيات عليها؛ مشاكلة تقديرية لما هو شائع بين المسلمين من تسمية جمل القرآن آيات؛ لأنها معجزة في بلاغتها خارجة عن طوق تعبير البشر، فكانت دلالات على صدق محمد ﷺ، وتقديم ﴿بِأَيِّنَّا﴾ على ﴿يُوقِنُونَ﴾ لاهتمام بالآيات. (٢)

ففي الآية دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس، والمراد بصبر بني إسرائيل: كونهم صبروا على مشاق التكليف والخروج بهم من أرض مصر وما لقوه من فرعون وقومه من العذاب والاضطهاد وتيهيم في البرية أربعين سنة، وفي هذا تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله ﷺ بأنهم سيكونون أئمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين إن صبروا على ما لحقهم في ذات الله من أذى الكفار، وصبروا على مشاق التكليف. (٣)

وفي ذلك لطيفة وهي أن الفتنة نوعان: فتنة شبهات، وفتنة شهوات؛ ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيِّنَّا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فدل على أن الصبر واليقين سبب الإمامة في الدين، وجمع بينهما أيضًا في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] (٤)

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/٦٠٤)، تفسير الزمخشري (٣/٥١٦)، تفسير ابن عطية (٤/٣٦٥).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٥٠)، تفسير النسفي (٣/١١)، تفسير البيضاوي (٤/٢٢٣)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٩٧)، التحرير والتنوير (٢١/٢٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٥٠)، التحرير والتنوير (٢١/٢٣٧).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية (١٠/٣٩)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (٢/١٦٧).

١٨ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: رتب سبحانه توفية الأجر بغير حساب على وصف الصبر، وقد وقعت جملة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ موقع التذييل لما سبقها؛ لما في مفارقة الوطن وبلاء الغربة من مشاق لا يحتملها إلا صابر، وصيغة العموم في قوله: ﴿الصَّابِرُونَ﴾ تشمل كل من صبر على مشقة في القيام بواجبات الدين وامثال الأمور واجتناب المنهيات، ومراتب هذا الصبر متفاوتة وبقدرها يتفاوت الأجر. (١)

فبيّنت الآية أن الذين صبروا لأجل الله تعالى على ما نالهم سيعطون أجرهم وافيًا تامًا، وفي إضافة الأجر إلى ضميرهم ﴿أَجْرَهُمْ﴾ تأنيس لهم بأنهم استحقوا ذلك لا منة عليهم فيه، وإن كانت المنة لله على كل حال، ونحوه قول الله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]. (٢)

وقوله جلّ ذكره في تعليل الصبر بالأجر ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل معنيين، أحدهما: أن الصابر يوفي أجره ثم لا يحاسب عن نعيم ولا يتابع بذنوب، والثاني: أن أجور الصابرين توفى بغير مكيال وغير ميزان بل يغرف لهم غرفًا وهذه استعارة للكثرة التي لا تحصى؛ لأن الشيء الكثير لا يتصدى لعدده، فإن الإحاطة بالمقدار ضرب من الحساب وذلك شأن ثواب الآخرة الذي لا يخطر على قلب بشر، وإلى القول الثاني ذهب جمهور المفسرين. (٣)

والحاصل أن الآية تدل على أن ثواب الصابرين وأجرهم لا نهاية له؛ لأن كل شيء

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٩/ ١٩٠)، التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٠)، التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ١١٨)، تفسير ابن عطية (٤/ ٥٢٤)، التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٥).

يدخل تحت الحساب فهو متناهٍ، وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناهٍ، وهذه فضيلة عظيمة إذا تصورها العاقل علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بالأجر العظيم، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضم إلى مصيبتة مصيبة أخرى. (١)



١٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: عُلِّل الصبر في هذا الموضع بما أنيط به من الإخبار بأنه لا يُلْقَى الأخلاق الفاضلة من كظم الغيظ وترك الانتقام إلا أهل الصبر.

وقد بين سبحانه في آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، أن الحسنه والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فحث سبحانه على الأخذ بالحسنة وأن تدفع بها السيئة التي ترد من الأعداء. (٢)

ولما أرشد الله تعالى إلى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا والآخرة ونوّه بفضله وذلك بملازمة خصلة الصبر له، وهي في ذاتها خصلة حميدة وثوابها جزيل: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥) والضمير في ﴿يُلْقَاهَا﴾ عائد على الأخلاق التي تُفهم من السياق، وهو مستعار للسعي لتحصيلها؛ لأن التحصيل على الشيء بعد

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤/٥٢١).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٢٠٠)، تفسير ابن عطية (٥/١٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤/٥٢)، تفسير البحر المحيط (٩/٣٠٦)، تفسير الألوسي (١٢/٣٧٥)، التحرير والتنوير (٢٤/٢٩٠-٢٩١-٢٩٢).

المعالجة والتخلق يشبه السعي لملاقاة أحد فيلقاه؛ فكأن هذه الخصلة الشريفة غائبة، ما يصادفها ويلقيها الله إلا لمن كان صابراً. وفي ذلك مدح بليغ للصبر؛ لأن الصبر للطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها، وجيء في الصلة وهي ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ بالماضي للدلالة على أن الصبر خلق سابق فيهم هو العون على معاملة المسيء بالحسنى.^(١)

فتحصل من هذا أن التخلق بالصبر شرط في الاضطلاع بفضيلة دفع السيئة والتي هي أحسن، وأنه ليس وحده شرطاً فيها بل وراءه شروط أخرى يجمعها قوله: حظ عظيم، أي من الأخلاق الفاضلة، والصبر من جملة الحظ العظيم لأن الحظ العظيم أعم من الصبر، وإنما خص الصبر بالذكر لأنه أصلها ورأس أمرها وعمودها.^(٢)



٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]

نوع التعليل: جواب الطلب المقرون بالفاء التعليلية.^(٣)

دراسة التعليل: جاء تعليل الأمر بالصبر في هذه الآية بجواب الأمر المقرون بفاء السببية والتي تفيد معنى التعليل أيضاً، فلما كان معظم ما في سورة الطور إخبار عن إعراض الكفار ولكونه ﷺ في مقام الإعراض عن الكفار، اشتدت العناية هنا بالصبر فذكر معللاً باطلاع الله على ذلك وعلمه بأنه في مرضاته وذلك كافٍ في تسليته ﷺ عما يخالطه في نفسه من الكدر والأسف على ضلال قومه وبعدهم عما جاءهم به من الهدى.^(٤)

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١٦/٥)، تفسير الفخر الرازي (٥٦٥/٢٧)، تفسير البحر المحيط (٣٠٧/٩)، تفسير الألوسي (٣٧٥/١٢)، التحرير والتنوير (٢٩٤-٢٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٥/٢٤).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٣٤١/٩)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٥٦٧/١).

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٣٧/١٩)، التحرير والتنوير (٨٣/٢٧)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٥٦٧/١).

والمراد بحكم ربك: ما حكم به وقدره من إمهالهم وإبقائك في عنائهم وانتفاء إجابة بعضهم ومن إبطاء إجابة أكثرهم، وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة في ذلك. (١)

وسبب عن ذلك لما يغلب على الطبع البشري في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان بقوله: ﴿فَأَنكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: فإننا نراك بأعيننا ونراقبك ونلاحظك، ونعتني بك، وذلك كقول القائل لمن أشفق عليه وأحبه: أنت في عيني، ومن المعلوم أن مثل هذا الأسلوب لا يعني أن مخاطبه حال في عينه، بل المعنى أنت مني على مرأى ورقابة وعناية وحماية، وقد أذن بذلك قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ دون أن يقول: واصبر لحكمنا، أو لحكم الله، فإن المربوبة تؤذن بالعناية بالمربوب، وفي هذه الآية إثبات العين لله عزَّجَلَّ وهي حقيقية ولكنها لا تماثل أعين الخلق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢)

وجمع العين في هذا الموضع ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ لجمع الضمير وهو النون بخلاف الأفراد في قوله تعالى: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] حيث لما وحد الضمير وهو ياء المتكلم وحد العين، وأما من حيث المعنى إنه أفرد هنالك لإفراد الفعل: وهو حفظ موسى عليه السلام، وهاهنا لما كان لتصبير الحبيب ﷺ على المكاييد ومشاق التكليف والطاعات ناسب الجمع؛ لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عزَّجَلَّ، فجمعت العين مبالغة بكثرة أسباب الحفاظ، حيث اجتمع له ﷺ الناس وجمعوا له مكاييد وتشاوروا في أمره، وهذا الجمع على نحو قوله تعالى في قصة نوح: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وُدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤] لأن عناية الله بأهل السفينة تتعلق بإجرائها وتجنيب الغرق عنها مع كون كل البقاع مغمورة تحت الماء وسلامة ركاها واختيار الوقت لإرسائها وسلامة الركاب في هبوطهم وكل ذلك يحتاج إلى حفظ عظيم في نظر الخلق، فناسبه الجمع كذلك. (٣)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٤١٥)، تفسير البيضاوي (٥/١٥٦)، التحرير والتنوير (٢٧/٨٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/٣٨)، التحرير والتنوير (٢٧/٨٤)، تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٤١٥)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/٢٢٩)، تفسير البيضاوي (٥/١٥٦)،

وهذه الآية حري بأن يقررها كل مؤمن في نفسه، فإنها تفسح مضائق الدنيا^(١) وقال

الشاعر:

وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عِيُونُهَا نَمَّ فَالْمَخَافُفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ^(٢)

الفوائد من تعليل خلق الصبر:

١. اعتنى القرآن بتعليل الصبر؛ لأنه من الأسس العامة التي ترجع إليها مجموعة من الأخلاق، ويأتي في مقابله خلق عدم الصبر وإليه ترجع مجموعة من النقائص السلوكية في الخلق الإنساني؛ كسرعة الغضب وعدم الأناة، وغير ذلك.^(٣)

٢. المعية التي أوضحها الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] معللاً بها خلق الصبر فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب؛ فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال.^(٤)

٣. في تعليل الصبر: جمع الله تعالى للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم؛ وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].^(٥)

= تفسير الألوسي (٤٠ / ١٤)، التحرير والتنوير (٨٣ / ٢٧).

(١) تفسير ابن عطية (١٩٤ / ٥).

(٢) البيت للشاعر أبي علي عبد الرحيم بن أحمد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل، وهو من بحر الكامل، ينظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢ / ٢٢٤)، مجاني الأدب في حداثق العرب لرزق الله شيخو (٣١٠ / ٦).

(٣) ينظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن جنبكة الميداني (ص: ٣٧٥).

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١ / ١٨٤).

(٥) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٧٢).

٤. في تعليل الصبر تعليقاً للحكم على وصف بيان أن من سمة الصابرين تفويض أمرهم إلى الله بقلوبهم، وألستهم إذا أصابتهم المصائب؛ لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦). (١)

٥. جاء تعليل الصبر بجمل مستقلة تدل على الاعتناء بأمر المخبر عنه؛ إذ كل وصف له يبرز في جملة ثابتة، كما بدئ بذكر الصلوات والرحمة؛ كونها أهم في حصول الثواب، وأُخرت ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لأنها تنزلت مما قبلها منزلة العلة، لأن ذلك القول المترتب عليه ذلك الجزاء الجزيل لا يصدر إلا عمّن سبقت هدايته. (٢)

٦. علّل الصبر بأنه من الأمور التي عزمها الله وأوجبها على عباده، فدلل ذلك على ضرورة العناية به.

٧. علّل الصبر بترتيب محبة الله عليه فقد جعل الله عزّ وجلّ الصابرين محبوبيه تعظيماً لقدرهم؛ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. (٣)

٨. يحب الله تعالى الصابرين من عباده الذين يصبرون في القتال والجهاد في سبيل الله ولا يضعفون أو يهنون، وإنما يصمدون ويصبرون ويقاومون العدو ويحاربونه وجهاً لوجه؛ وهذه إحدى ثمرات الصبر التي علّل بها هذا الخلق العظيم في القرآن الكريم. (٤)

٩. في تعليق محبة الله تعالى على الصبر ترغيب بالتزام هذا الخلق العظيم والتحلي به.

١٠. في ذكر القرآن الكريم لصور من صبر من السابقين تلهيب للمسلمين وإذكاء

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٨١).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٢/ ٥٩).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ٨٩٩).

(٤) ينظر: مكارم الأخلاق في القرآن الكريم للمعلمي (ص: ٥٨).

لهممهم في الأخذ بما يلحقهم بأمثال السابقين من الأولين فيستكثر وامن تلك الأعمال. (١)
 ١١. أن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فإن الله يحبه. (٢)

١٢. الجهاد يستدعي الصبر، لأن الصبر هو سبب النجاح في الجهاد، وجالب الانتصار (٣) لذلك جاء الأمر بالصبر معللاً في أكثر آيات الجهاد لأن للتعليل أثر في توكيد المعنى وتقريره؛ فإثبات الشيء معللاً أكد من إثباته مجرداً من التعليل.

١٣. رتب سبحانه المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١] وهؤلاء ثنية الله من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة، ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح كما أن المغفرة والأجر الكبير لا يُنالان إلا بهما. (٤)

١٤. في تعليل الصبر بقوله تعالى: ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] دقيقة لطيفة وهي كما أن العاشق قد يرضى بالضرب لالتذاده بالنظر إلى وجه معشوقه، فكذلك العبد يصبر على البلاء والمحنة، ويرضى به لاستغراقه في معرفة نور الحق. (٥)

١٥. عُلل الصبر في عدة مواضع من سورة الرعد عند ذكر صفات أولي الألباب؛ لما فيه من العون على مصالح الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وبالصبر يستعين المؤمن على التحلي بأحسن الأخلاق.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٢٨٩)

(٢) تفسير الفخر الرازي (٩/٣٨١).

(٣) التحرير والتنوير (٤/١٠٧).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٧٣-٧٤).

(٥) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٩/٣٥).

١٦. في تعليل الصبر بأنه خير ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] وضع الصابرين موضع ضمير المخاطبين مجازاً؛ لأنهم عند الخطاب ما كانوا صابرين فسامهم الله به، إما لمجرد المدح والثناء؛ لأن الصبر من أعم أوصاف المتقين، وإما لاكتسائهم بلباس الصبر جعلوا صابرين ترغيباً على الصبر. (١)

١٧. علل الصبر بأنه خير من العقوبة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] لما في ذلك من قهر النفس الموجب لترقيتها إلى أعلى المقامات. (٢)

١٨. في تعليل الفوز بالصبر إشارة إلى فضل الصبر على الشكر ويكفي في فضل الصبر على الشكر قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١] فجعل فوزهم جزاء صبرهم. (٣)

١٩. جازى الله عباد الرحمن الغرفة والسلام في مقابل صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم، فكانت العلة مناسبة لمعلولها، كمناسبة الجزاء للفعل. (٤)

٢٠. من تعليل الصبر: الإخبار أنه ما يلقي الأعمال الصالحة وجزاءها والحفظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [الفصص: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] (٥)

(١) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٩/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (٧/ ٤٩٤).

(٣) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٣).

(٤) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (ص: ١٤٢).

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٥٣)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٧٤).

٢١. علل الصبر بإناطة جزائين به ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٤١] وقد دل القرآن في غير موضع على أن لكل من عمل خيراً أجرين: عمله في الدنيا ويكمل له أجره في الآخرة كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] وغيرها من الآيات. (١)

٢٢. تعليل الصبر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] يدل على أنهم إنما استحقوا تلك الدرجات العالية من الله تعالى بسبب الصبر.

٢٣. لما كان الصبر من أشق الأمور، وخصوصاً من فارق وطنه وعشيرته وصرير على بلاء الغربة، جاء تعليل الحث عليه بذكر أن الصابرين يوفون أجورهم بغير حساب. (٢)

٢٤. من تعليل الصبر: إخباره سبحانه أن مكارم الأخلاق لا يلقاها إلا الصابرون حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب، ثم قال: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. (٣)

٢٥. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ تعليل لتصبير الحبيب ﷺ على مكائد أعداء الدين، حيث قال في السورة: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢] وتشبثه على مشاق التكليف والعبادات، حيث عطف ﴿وَسَيْحٍ﴾ على ﴿وَأَصْبِرْ﴾. (٤)

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢/١٢٥).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحیط (٩/١٩٠).

(٣) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٧٤).

(٤) حاشية الطيبي على الكشاف (١٥/٦٦).

المطلب الثالث: تعليل خلق الشكر.

١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: رُتب في الآية الحكم وهو إخلاص العبادة لله سبحانه على وصف وهو الشكر، فأخبر ﷺ أن الشاكرين الحقيقيين له هم أهل عبادته.

وقد أمر سبحانه المؤمنين أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم وأحل لكم. وعلل هذا الأمر بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: إن صح أنكم تخلصونه بالعبادة، وتقرّون أنه مولى النعم؛ فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر، فالمعلّق بفعل العبادة هو الأمر بالشكر لإتمامه، وهو عدم عند
عدمه. (١)

و﴿إِن﴾ شرط، والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفس، كما يُقال: افعَل كذا إن كنت رجلاً، وقوله: واشكروا لله معطوف على الأمر بأكل الطيبات الدال على الإباحة والامتنان، والأمر في اشكروا للوجوب لأن شكر المنعم واجب، وإنما أدخل الأمر بالشكر على الأمر بالأكل لأن الأكل ذريعة إلى الشكر، والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر ﴿لِلَّهِ﴾؛ لأن في الاسم الظاهر إشعاراً بالإلهية فكأنه يومئ إلى ألا تشكر الأصنام لأنها لم تخلق شيئاً مما على الأرض باعتراف المشركين أنفسهم فلا تستحق شكراً. (٢)



(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/ ٢١٤)، تفسير البيضاوي (١/ ١١٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١/ ٢٣٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٩)، التحرير والتنوير (٢/ ١١٤).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٥].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: يطلق سبحانه جزاء الشاكرين إطلاقاً، ويعددهم بأحسن الجزاء وأوفاه، ويجعل أجرهم وجزاءهم عليه في موضعين متتالين من سورة آل عمران.

والمراد بالشاكرين في الآية الأولى: أصحاب النازلة الذين ثبتوا يومئذ فصدق فعلهم قولهم، فالآية تشير إلى ما كان من المسلمين من الاضطراب حين أرفج بموت الرسول ﷺ ووضع الشاكرين موضع الثابتين على الإسلام؛ تسميةً للشيء باسم سببه، إذ أصل الكلام: ومن ينقلب على عقبيه يكن كافرًا لنعمة الله التي أنعم عليه بالإسلام، فيضر نفسه حيث كفر نعمة الله، والله يجزيه ما يستحقه، ومن ثبت عليه يكن شاكرًا لتلك النعمة والله يجزيه الجزاء الأوفى، ثم يدخل في الآية الشاكرون إلى يوم القيامة، فهو لفظ عام يندرج فيه كل شاكر فعلاً وقولاً. (١)

وجاء التعليل بقوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ بعد قوله: ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ وهو اتصال وعد بوعيد، جاء بالسين التي هي في قول بعضهم: قرينة التفسير في الاستقبال، أي: لا يتأخر جزاء الله إياهم عنهم، ولم يذكر ما يجزي به ليدل على التعميم والتفخيم، وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإعلان بمزيد الاعتناء بشأن جزائهم. (٢)

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٥١٧)، حاشية الطيبي على الكشاف (٤/٢٨٩)، تفسير البحر المحيط (٣/٣٦٥).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٤/٢٢٦)، حاشية الطيبي على الكشاف (٤/٢٨٩)، تفسير البحر المحيط (٣/٣٦٥)، تفسير الألوسي (٢/٢٨٩).

ثم أخبر تعالى في الآية الثانية أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلق به إراداتهم،

وهذه الآية وإن وردت في الجهاد خاصة، لكنها عامة في جميع الأعمال؛ لأن المؤثر في جلب الثواب والعقاب: النية والقصد، لا ظواهر الأعمال.^(١)

وجاء تعليل الشكر في الموضع الثاني بقوله سبحانه: ﴿وَسَجِّزِ الشَّاكِرِينَ﴾ فهو وعد لمن شكر نعم الله فقصر همه ونيته على طلب ثواب الآخرة، وفيه إشارة إلى أنهم ينعمهم الله بنعيم الدنيا، ولا يقصرهم على نعيم الآخرة؛ لئلا يتوهم أن الشاكر يحرم ما قسم له مما يناله الكافر.^(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَسَجِّزِ الشَّاكِرِينَ﴾ تكرير للتأكيد الذي يوجب تمكين المعنى في النفس؛ لأنه قد قال في الآية الأولى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. وحذف الفاعل؛ لدلالة الكلام عليه، وفيه التفات، والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين، وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسنًا.^(٣)



(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٣٧٩/٩)، تفسير السعدي (ص: ١٥٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٢٧/٤)، تفسير البحر المحيط (٣/٣٦٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٥١٨/١)، التفسير البسيط للواحيدي (٤٥/٦)، تفسير البحر المحيط

(٣/٣٨١)، تفسير أبي السعود (٩٥/٢)، تفسير السعدي (ص: ١٥٠).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [النحل: ١١٢-١١٤].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: رُتب في الآية الحكم وهو إخلاص العبادة لله سبحانه على وصف وهو الشكر، فأخبر ﷺ أن الشاكرين الحقيقيين له هم أهل عبادته.

حيث إنه لما وعظهم بضرب المثل بحال القرية وما كان من كفرها وسوء صنيعها ومآلها، وصل بذلك بالفاء في قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١١٤﴾ وجاء بالفاء للإشعار بأن ذلك متسبب عن ترك الكفر، فأمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم؛ لبيانوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله، فلما تقدم: ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ﴾ جاء هنا: ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾. (١)

وعلل جل في علاه الأمر بالشكر بقوله: ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أي: إن كنتم تطيعونه ولا تعبدون غيره كما هو مقتضى الإيمان، وعلق أمره بالشرط؛ للبعث على الامتثال لإظهار صدق إيمانهم، كما يُقال لرجل: إن كنت من الرجال فافعل كذا، على معنى إقامة نفسه، وإظهار اسم الجلالة في قوله: ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ مع أن مقتضى الظاهر الإضمار؛ لزيادة التذكير، ولتكون جملة هذا الأمر مستقلة بدلالاتها بحيث تصح أن تجري مجرى المثل. (٢)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٦٤٠)، تفسير البحر المحيط (٦/٦٠٥)، تفسير البيضاوي (٣/٢٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٣٩).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٦٤٠)، تفسير ابن عطية (٣/٤٢٧)، التحرير والتنوير (١٤/٣٠٩).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط.

دراسة التعليل: جاء التعليل في هذه الآية بجملة جواب الشرط. (١)

فقد قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه حائثاً على شكر نعم الله: ﴿وَإِذ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] ومعنى تأذّن: أذن ربكم، ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قيل: وإذا أذن ربكم إيذاناً بليغاً ينتفي عنده الشكوك، وتنزاح الشبهة، فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والظاهر أن متعلق الشكر هو الإنعام أي: لئن شكرتم إنعامي، أما الزيادة ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: لأزيدنكم من طاعتي. والثاني: لأزيدنكم من فضلي، والثالث: لأزيدنكم خيراً في الدنيا: "والتحقيق أن الزيادة من النعم وطاعته من أجل نعمه" (٢) ولذلك حذف مفعول ﴿شَكَرْتُمْ﴾ ومفعول ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ليقدر عامّاً في الفعلين. (٣)

وفي قوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: كفران النعم. والثاني: كفر بالتوحيد. "والأول أرجح لمقابله بالشكر" (٤) واستغنى بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ عن لأعذبه عذاباً شديداً لكونه أعم وأوجز، كما جاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخبر أسند إليه تعالى، وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبه إليه، كما أن من عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد؛ لأن إفادة الوعيد بضرب من التعريض

(١) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٢٣/٢٣).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٤٥).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٥٠٥/٢) تفسير الفخر الرازي (٦٦/١٩) تفسير البحر المحيطة

(٤/٦) فتح القدير للشوكاني (١١٥/٣) التحرير والتنوير (١٩٣/١٣).

(٤) تفسير ابن جزي (٤٠٩/١).

أوقع في النفس. (١)

وقد دلت اللام المؤذنة بالقسم المضمّر على تأكيد الجزاء في الآية، مما ينوّه بأهمية الأمر وبيان أن الشكر معه المزيد أبداً. (٢)



٥ - قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط، ولام التعليل.

دراسة التعليل: جاء جواب الشرط في الآيتين مبيّناً أن منفعة شكر الله تعالى إنما تعود على صاحبها "وجيء به في صورة الشرط لتحقيق التعلق بين مضمون الشرط ومضمون الجزاء، فإن الشرط أدل على ذلك من الإخبار" (٣).

وجيء بصيغة حصر نفع الشكر في الثبوت للشاكر بقوله ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ﴾ أي ما يشكر إلا لفائدة نفسه، ولام التعليل مؤذنة بالفائدة؛ فإن اللام في قوله ﴿لِنَفْسِهِ ۗ﴾ لام الأجل وليست اللام التي يعدى بها فعل الشكر في نحو ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٧] أي: لأجل نفسه يفعل ذلك؛ لأن ثواب شكره يعود إليه فإن الله تعالى أعلى من أن يكون له في شيء نفع أو عليه ضرر. (٤)

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٠٥)، تفسير البحر المحيط (٦/ ٤١١)، تفسير البيضاوي (٣/ ١٩٣)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٩٤).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٣١).

(٣) التحرير والتنوير (٢١/ ١٥٢).

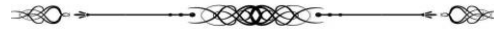
(٤) ينظر: التفسير البسيط (١٧/ ٢٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٧٣)، التحرير والتنوير (٢١/ ١٥٢).

وقد ضرب سبحانه في الآيتين حكمةً خلقيةً دينيةً فأخبر أن الشاكر حظّه عائد عليه وهو المنتفع بذلك، وعودة النفع إلى الشاكر من وجهين: أحدهما: أنه يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر، ويصون نفسه عن سمة الكفران، والثاني: أنه يستمد به المزيد لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].^(١)

ولبيان أهمية الشكر بعد الحث عليه زيد ذلك تبييناً بعطف ضده؛ فبيّن سبحانه أن غني عن الشكر فلا ينفعه شكر العباد بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فضل الله ونعمته عليه فترك الشكر فإن الله غني عن شكره كريم في ترك المعاجلة بالعقوبة بنزع نعمه عنه وسلبه ما أعطاه منها، كما أنه سبحانه حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد من خلقه، فإن كل موجود ناطق بحمده بلسان الحال.^(٢)

والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ دون أن يقول: فإنه غني كريم، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله: ﴿فَضِّلْ رَبِّي﴾.^(٣)

وفي آية لقمان قال سبحانه في الشكر: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾ بصيغة المستقبل، وفي الكفران: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾؛ وفي ذلك إشارة إلى معنى وإرشاد إلى أمر؛ وهو أن الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرار النعمة والكفر ينبغي أن ينقطع، ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النمل: ١٨] وأما الكفران فكل جزء يقع منه تام، فقال بصيغة الماضي.^(٤)



(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٣٦٨)، تفسير ابن عطية (٤/٣٤٨)، تفسير الفخر الرازي (٢٤/٥٥٧)، تفسير البيضاوي (٤/١٦١).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/٣٤٨)، تفسير البحر المحيط (٨/٢٤١)، تفسير البيضاوي (٤/٢١٤)، فتح القدير للشوكاني (٤/١٦١+٢٧٣)، التحرير والتنوير (٢١/١٥٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/٢٧٢).

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٥/١١٩).

٧- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [الزمر: ٧]

نوع التعليل: جملة جواب الشرط.

دراسة التعليل: جاء تعليل الشكر في الآية بجملة جواب الشرط ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، وقد بينت الآية غنى الله عن عباده إن كفروا، ورضاه عنهم إن شكروا.

ولما ذكر جلّ ذكره أنه لا يرضى لعباده الكفر بين أنه يرضى لهم الشكر، فقال: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ عموم، والشكر الحقيقي في ضمنه الإيمان ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: أي يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة، وإنما رضي لهم سبحانه الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فإذا ما كره الكفر ولا رضي الكفر إلا لما فيه مصلحة العباد؛ لا لأن منفعة ترجع إليه، فهو الغنى الذي لا يجوز عليه الحاجة. (١)

وقد جاء تعليل الشكر في الآية ببيان رضى الله تعالى عنه؛ ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فإن الله ﷻ موصوف بالرضى، وهو يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل، ومثال رضاه عن العمل قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾. (٢)

وأفعال العباد كلها منها ما هو محبوب لله وما هو مكروه له، خلقه لحكمة له؛ قال تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] مع أنه بمشيئته وقضائه وقدره، وقال تعالى ﴿إِنْ

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ١١٥)، تفسير ابن عطية (٤/ ٥٢١)، تفسير النسفي (٣/ ١٧١)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥١٨).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٢٣٣-٢٣٤)، (٨/ ٢١٥).

تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿[الزمر: ٧]﴾ فالكفر والشكر واقعان بمشيئته وقدره، وأحدهما محبوب له مُرضٍ، والآخر مبعوض له مسخوط. (١)

الفوائد من تعليل خلق الشكر:

١. علل الشكر بقوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] فإن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم فالشكر له واجب بأنه منعم عليكم. (٢)

٢. علل الشكر في موضعين متتالين من سورة آل عمران: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وفي ذلك التكرار تأكيد للمعنى في النفوس، أفاده أيضاً وجود التعليل الذي يقرر المعنى ويمكنه.

٣. في تعليل الشكر بوعده الزيادة ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] بيان أن من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه. (٣)

٤. علل الشكر في موضعين من القرآن الكريم ببيان أن من شكر الله سبحانه فإنما يشكر لنفسه مما يدل على أن ثواب الشكر لا يحصل إلا للشاكرين، إذ هو تعالى غني عن الشكر، فشكر الشاكر لا ينفعه سبحانه وكفر من كفر لا يضره. (٤)

٥. وقع تعليل الشكر ببيان رضا الرب عن عبده به في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، فأخبر سبحانه أن رضاه في شكره. (٥)

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٢٦٦).

(٢) ينظر: الوجيز للواحد (ص: ١٤٤).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٩/٦٦).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/٤١٣).

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٢٣٣)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٨).

المبحث الثاني

تعليل الأخلاق الفردية المذمومة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعليل خلق العجب وتزكية النفس.
- المطلب الثاني: تعليل خلق اليأس.
- المطلب الثالث: تعليل خلق الحسد.

* * * * *

المطلب الأول:

تعليل خلق العجب وتزكية النفس.

١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

نوع التعليل: الاستئناف البياني.

دراسة التعليل: جاء التعليل في هذه الآية بأسلوب الاستئناف البياني، فقد وقعت جملة: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ موقع البيان جواباً لسؤال مقدر عن سبب النهي أو عن أهم أسبابه. (١)

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ نهي عن أن يزكي المرء نفسه، والظاهر أنه خطاب عام، يقول جل ثناؤه: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي، ولا تنسبوا إلى زكاء الأعمال ولا تشنوا عليها واهضموها، وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء، فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح: لم يكن من المزكين أنفسهم؛ لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر، وكذلك ذكر ما فيه جلب مصلحة عامة فلا بأس بذكره كما قال يوسف: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. (٢)

وعُلل النهي بأن التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن لا يعلم حقيقتها إلا الله؛ فلهذا قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ولذلك لا تصلح التزكية إلا من الله، كما قال

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٢٦/٢٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٤٠/٢٢)، تفسير الزمخشري (٤٢٦/٤)، تفسير ابن عطية (٢٠٥/٥)، تفسير البحر المحيط (٢١/١٠).

سبحانه: ﴿بَلِ اللَّهِ يُرَكَّبُ مِنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩].^(١)

الفوائد من تعليل خلق العجب وتزكية النفس:

١. أمر سبحانه بترك تزكية النفس ومدحها وتبرئتها عن الآثام؛ وذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع.^(٢)
٢. علل النهي عن تزكية النفس بعلم الله الزكي والتقي قبل إخراج الناس من صلب آدم، وقبل إخراجهم من بطون أمهاتكم.^(٣)
٣. ينبغي للمسلم أن يتبغى بعمله الصالح زيادة التقرب إلى الله ولا يثق بأنه زكي؛ حتى لا يدخله العجب.

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٠/١٠٠)، الباب في علوم الكتاب (٦/٤١٩).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/١٣٦).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (١٠/٢١)، تفسير البيضاوي (٥/١٦١).

المطلب الثاني: تعليل خلق اليأس.

١ - قوله تعالى: ﴿يَبْتِئَ أَذْهَبُوا قَتَحَسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

نوع التعليل: التعليل بيان "وجملة إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون تعليل للنهي عن اليأس، فموقع إن التعليل" (١).

دراسة التعليل: في الآية نهي عن اليأس من روح الله؛ وفيه ثلاثة أقوال متقاربة: أحدها: من رحمة الله، والثاني: من فرج الله، والثالث: من توسعة الله، وعلل النهي بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فجعل اليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين بالله وصفاته، وإنما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلاً بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته، أمّا من آمن فيعلم أنه متقلب في رحمة الله ونعمته. (٢).

والياس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان إحدى ثلاث: أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم، أو ليس بكريم بل هو بخيل؛ وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحد هذه الثلاثة، وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً. (٣).

وفي خطاب يعقوب لبنيه بوصف البنوة؛ ترقيق لهم وتلطف ليكون أبعث على

(١) التحرير والتنوير (٤٦/١٣).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤٦٦/٢)، تفسير ابن عطية (٢٧٤/٣)، تفسير النسفي (١٣١/٢)، تفسير ابن جزي (٣٩٥/١)، تفسير البيضاوي (١٧٤/٣).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٥٠١/١٨).

الامتثال، ومعنى الآية: لا تأسوا من الظفر بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ معتلين بطول مدة البعد التي يبعد معها اللقاء عادة؛ فإن الله إذا شاء تفريج كربة هيأ لها أسبابها، ومن كان يؤمن بأن الله واسع القدرة لا يرى استحالة مثل ذلك فحقه أن يأخذ في سببه ويعتمد على الله في تيسيره، وأما القوم الكافرون بالله فهم يقتصرون على الأمور الغالبة في العادة وينكرون سواها. (١)

الفوائد من تعليل خلق اليأس:

١. عُلل النهي في الآية بأنه من صفة الكافرين، وسبب يأس الكافرين من رحمة الله لكونهم لا يعلمون بقدرة الله سبحانه، وعظيم صنعه، وخفي ألطافه. (٢)
٢. دَلَّ التعليل في الآية على أن المؤمن العارف لا يقنط من رحمة الباري سبحانه في شيء من الأحوال، بل يرجو الله تعالى في الشدائد وغيرها.
٣. ينبغي للمسلم أن يكون جامعاً بين الخوف من الله والطمع فيما عند الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يترك الرجاء لئلا يكون من القانطين: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. (٣)

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٤٦/١٣).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥٩/٣).

(٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤٠٧/٣).

المطلب الثالث: تعليل خلق الحسد.

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

نوع التعليل: جملة جواب الطلب " وهذه الجملة مسوقة مساق التعليل للنهي عن التمني قطعاً لعذر المتمنين، وتأنيساً بالنهي" (١).

دراسة التعليل: نهى سبحانه عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال؛ لأن ذلك التفضيل قسمة صادرة عن حكيم عالم بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تشتهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. (٢)

وجاء التعليل في هذه الآية-لتقرير ما تضمنه النهي مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالأمر- بجملة جواب الطلب: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ﴾ والمعنى يحتمل أن يكون: استحق كل من الرجال والنساء حظه من الأجر والثواب المنجر له من عمله، فلا فائدة في تمني فريق أن يعمل عمل فريق آخر؛ لأن الثواب غير منحصر في عمل معين، ويحتمل أن المعنى: استحق كل شخص، سواء كان رجلاً أم امرأة، حظه من منافع الدنيا المنجر له مما سعى إليه بجهد، فتمني أحد شيئاً لم

(١) التحرير والتنوير (٥/ ٣١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٦٠)، تفسير الزمخشري (١/ ٥٠٤)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٩٩).

يسع إليه هو تمنّ غير عادل، فحق النهي عنه.^(١)

وظاهر الآية يدلّ على النهي أن يتمنى الإنسان لنفسه ما فضل به عليه غيره، بل عليه أن يرضى بما قسم الله له، وظاهر النهي إنما يتناول ما فضل الله به بعضهم على بعض من نعيم الدنيا، أما تمنى أشياء من أحوال صالحة له في الدنيا وأعمال يرجو بها الثواب في الآخرة فهو حسن لم يدخل في الآية؛ وقد جاء في الحديث: "ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ، ثم أقتل ثم أحيأ، ثم أقتل" ^(٢) كما جاء في آخر الآية: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مما يدل أيضاً على جواز ذلك؛ فإن المقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له، وأنه تشبه لحصول الشيء له من غير طلب وهو المذموم.^(٣)

ولما نهى سبحانه عن الأمانى والتحاسد دلّ على ما هو خير منها فقال جلّ في علاه: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من زيادة إحسانه ونعمه؛ فلما نهاهم عن تمنى ما فضل به بعضهم، أمرهم بأن يعتمدوا في المزيد عليه تبارك وتعالى، وظاهر قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ العموم فيما يتعلق بأحوال الدنيا والآخرة.^(٤)

والتعليل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ مناسب لهذا التكليف؛ لأنه متعلق بعمل من أعمال القلوب لا يراقب فيه إلا الله ^(٥).



- (١) ينظر: تفسير أبي السعود (١٧٢/٢)، فتح القدير للشوكاني (١/٥٣٠)، التحرير والتنوير (٣٢/٥).
- (٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٧/١) برقم: (٣٦) (كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان)، ومسلم في "صحيحه" (٦/٣٥) برقم: (١٨٧٦) (كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله).
- (٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣/٦١٦-٦١٧)، تفسير البيضاوي (٢/٧١-٧٢)،
- (٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/٢٦٥)، بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ١١٨)، تفسير البحر المحيط (٣/٦١٨).
- (٥) ينظر: التحرير والتنوير (٣٢/٥).

٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

نوع التعليل: التعليل بفناء السببية. (١)

دراسة التعليل: ذم سبحانه الحسد في هذه الآية ببيان كونه خصلة ذميمة من خصال اليهود، حيث وبخهم بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ والمعنى: بل أيحسدون الناس، وقيل المراد بالناس: محمد ﷺ فيكون من العام الذي أريد به الخاص حسدوه على النبوة، أو إباحة تسع نسوة، وقيل المراد: العرب أو قريش حسدهم اليهود على بعثة النبي ﷺ منهم ونزول القرآن بلسانهم، أو جمعهم كمالات تقصر عنها الأماني، أو تهية سبب رشادهم ببعثة النبي ﷺ إليهم، ولا يقتصر حسد الكفار للمؤمنين على الهداية والإيمان، بل يحسدونهم على كل ما أنعم الله به عليهم من خير وفضل. (٢)

وإنما جاز أن يقع على النبي ﷺ لفظ الناس وهو واحد؛ لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في جماعة، ومثله قوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] ولأن اليهود لما نازعوه في نبوته ﷺ التي هي إرشاد لجميع الناس فكأنما حسدوهم جمع. (٣)

ثم جاءت الفاء التعليلية لتعليل للإنكار والاستقباح: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا﴾ والمقصود الرد على اليهود في حسدهم لمحمد ﷺ وإلزامهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلاي شيء يخصون محمداً ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم فإن ﴿آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ هم أسلاف محمد ﷺ وليس بدع أن يؤتاه الله مثل ما أتى أسلافه، فحسم مادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتي من

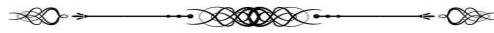
(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٢/ ١٩٠)، الجدول في إعراب القرآن (٥/ ٦٢).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى (٢/ ٦٧)، تفسير البغوي (١/ ٥٤٢)، تفسير الألوسي (٣/ ٥٥)، مكارم الأخلاق في القرآن الكريم للمعلمي (ص: ٦٧).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى (٢/ ٦٧)، تفسير أبي السعود (٢/ ١٩٠).

الفضل؛ بيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرًا عن كابر، وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات من الغيبة ﴿ءَاتَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى المتكلم ﴿ءَاتَيْنَا﴾ لإظهار كمال العناية بالأمر والمعنى: أن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فإننا قد آتينا من قبل هذا الكتاب والحكمة والملك.^(١)

والكتاب أي جنسه فيشمل صحف إبراهيم، وصحف موسى، وما أنزل بعد ذلك. أما الحكمة فهي النبوة، أو إتقان العلم والعمل، أو الأسرار المودعة في الكتاب. والملك: هو ما وعد الله به إبراهيم أن يعطيه ذريته وما آتى الله يوسف وداود وسليمان وملوك إسرائيل، وتكرير الإيتاء؛ لما يقتضيه مقام التفضيل، مع الإشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة، ووصف الملك بالعظيم وتنكيره التفخيمي فيه تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار؛ فإنعامه لم يزل مستمرًا على عباده المؤمنين، فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد ﷺ أفضل الخلق وأجلهم وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟^(٢)



٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ٣ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ٤ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥ [الفلق: ١-٥].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: أنيط الحكم في الآيات وهو الاستعاذة بأوصاف منها: الحسد، فعُلب النهي الحسد بيان أنه مما يشرع الاستعاذة منه.

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٥٢٢)، تفسير النسفي (١/٣٦٦)، تفسير ابن جزى (١/١٩٧)، حاشية الطيبي على الكشاف (٥/٣٣)، تفسير أبي السعود (٢/١٩٠)، تفسير الألوسي (٣/٥٥-٥٦)، إعراب القرآن وبيانه (٢/٢٣٧).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى (٢/٦٧)، تفسير ابن جزى (١/١٩٧)، تفسير أبي السعود (٢/١٩٠)، تفسير الألوسي (٣/٥٦)، تفسير السعدي (ص: ١٨٢)، التحرير والتنوير (٥/٨٨-٨٩).

الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وفساده للدين لذا أمر الله بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].^(١)

وقد أمر سبحانه بالاستعاذة وهي الالتجاء والاعتصام من جميع الشرور، فقال عزّوجلّ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢) وذكر خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عظمته وكثرة ضرره، ولم يخصص من قوله ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٥) حاسداً دون حاسد، بل عمّ أمره بالاستعاذة من شر كل حاسد، فيعم الحاسد من الجن والإنس.^(٢)

والمراد بشر الحاسد: شر عينه ونفسه، وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه، فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود؛ فقد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود، فهذا الحسد الغريزي الجبلي إذا لم يعمل بمقتضاه من الأذى بل عامل المتصف به أخاه بما يحب الله تعالى مجاهداً نفسه لا إثم فيه، بل يثاب صاحبه على جهاد نفسه وحسن معاملته أخاه؛ لما في ذلك من مشقة مخالفة الطبع؛ ولذلك نكر الحسد في الآية؛ فليس كل حاسد شريراً أو ضاراً.^(٣)

وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢) تعميم في كل ما يستعاذ منه، وخص بالذكر بعده الغاسق والنفاثات والحاسد: لخفاء أمرها، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به، كما أنها أعظم أنواع الشر.^(٤)

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٦٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧٠٦/٢٤)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٤٤)، اللباب في علوم الكتاب (٥٧٥/٢٠)، تفسير السعدي (ص: ٩٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٨٢٢/٤)، تفسير ابن عطية (٥٣٩/٥)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٣٦)، تفسير البيضاوي (٣٤٨/٥)، تفسير الألوسي (٥٢٣/١٥).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٨٢٢/٤)، تفسير الفخر الرازي (٣٧٥/٣٢).

الفوائد من تعليل خلق الحسد:

١. توسط التعليل بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢] بين المعطوف ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] والمعطوف عليه ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالأمر. (١)

٢. علل النهي عن الحسد ببيان أن إنعام الله عزَّجَلَّ لم يزل مستمراً على عباده المؤمنين من آل إبراهيم وغيرهم، فكيف يُنكر إنعامه على محمد ﷺ وعلى من آمن به.

٣. علل الحسد بأن ذكر الله سبحانه الاستعاذة منه في سورة الفلق، فبعد إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم، ذكر بعض الشرور على الخصوص؛ لزيادة شره ومزيد ضره، وهو الغاسق والنفاثات والحاسد، فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر. (٢)

٤. اعتنى القرآن الكريم بتعليل الحسد؛ لأنه يكاد يكون طبيعة في النفوس كلها، وعلاجه يكون بتأديب النفس، وتبصيرها بخطر هذه الرذيلة مما دلت عليه الآيات. (٣)

٥. الواجب على المرء إذا رأى أن الله أنعم على غيره نعمة أن يسأل الله من فضله، ولا يكره ما أنعم الله به على الآخرين، أو يتمنى زواله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. (٤)

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٢/ ١٧٢)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٣٠).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٤٠).

(٣) ينظر: الأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك (ص: ٢٠٤).

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥٩).

٦. ليعلم العبد أن الله أعلم بالمصالح، فليرض بقضاء الله، ولتكن أمانيه الزيادة من
عمل الآخرة.^(١)



(١) زاد المسير في علم التفسير (١/٣٩٩).

الفصل الثالث

تعلييل الأخلاق الأسرية

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول: تعليل الأخلاق الأسرية المحمودة.

❖ المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الأسرية المذمومة.

* * * * *

المبحث الأول

تعليل الأخلاق الأسرية المحمودة

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: تعليل خلق بر الوالدين.
- المطلب الثاني: تعليل التربية الأخلاقية للأسرة.
- المطلب الثالث: تعليل خلق صلة الرحم.
- المطلب الرابع: تعليل خلق حسن العشرة الزوجية.
- المطلب الخامس: تعليل خلق القوامة.
- المطلب السادس: تعليل خلق الصلح بين الزوجين.
- المطلب السابع: تعليل خلق العفو، وحفظ الفضل بين الزوجين.
- المطلب الثامن: تعليل خلق الإحسان إلى المطلقات.

* * * * *

المطلب الأول: تعليل خلق بر الوالدين.

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بـ"لعل".

دراسة التعليل: لما بين تعالى في سورة الأنعام فساد ما يقول الكفار انتقل من إبطال تحريم ما ادعوا تحريمه من لحوم الأنعام إلى دعوتهم لمعرفة المحرمات، ومناسبة هذا الانتقال أن المقام مقام تعليم وإرشاد، ولذلك ابتداءً بأمر الرسول ﷺ بفعل القول استرعاء للأسماع، وعقب بفعل الأمر: ﴿تَعَالَوْا﴾ اهتماماً بالعرض المنتقل إليه بأنه أجدى عليهم من تلك السفاسف التي اهتموا بها.^(١)

وكان مما أوجبه سبحانه في هذه الآية: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ والمعنى: أوصى بالوالدين إحساناً وحذف أوصى وأمر؛ لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه، وإنما ثنى تبارك وتعالى بهذا التكليف؛ لأن أعظم أنواع النعم على الإنسان نعمة الله تعالى وبتلوها نعمة الوالدين؛ فالمؤثر الحقيقي في وجود الإنسان هو الله سبحانه وفي الظاهر هو الأبوان ثم نعمهما على الإنسان عظيمة وهي نعمة التربية والشفقة والحفظ عن الضياع والهلاك في وقت الصغر، وغير ذلك، والإحسان إليهما: البر بهما، وامتنال أمرهما ونهيهما.^(٢)

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٧)، التحرير والتنوير (٨-أ/١٥٥-١٥٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٢/٢١٥)، تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٨)، فتح القدير للشوكاني

وقوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ معطوف على قوله: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فوجب أن يكون قوله: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مفسراً لقوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا بِآيَاتِهِ وَإِذَا سَأَلَ عَنْ آيَاتِهِ إِحْسَانًا﴾ فيلزم أن يكون الإحسان بالوالدين حراماً وهذا باطل! والجواب: أنه سبحانه لما أوجب الإحسان إليهما فقد حرم الإساءة إليهما، ووضع الإحسان في الآية موضع النهي عن الإساءة؛ للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما، وقد كان كثير من العرب في جاهليتهم أهل جلافة، فكان الأولاد لا يوقرون آباءهم إذا أضعفهم الكبر؛ فلذلك كثرت وصاية القرآن بالإحسان بالوالدين.^(١)

ثم إنه تعالى لما بين هذه المحرمات أتبعها بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ وفي لفظ وصاكم من اللطف والرفقة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول.^(٢)

ولما كان العقل مناط التكليف عللت هذه الوصايا بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لتعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا، وتعقلوا عظمها عند الله، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ رجاء أن يعقلوا ويصيروا ذوي عقول؛ لأن ملابسة بعض هذه المحرمات ينبئ عن خساسة عقل، بحيث ينزل ملابسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رجي أن يعقلوا.^(٣)



= (٢/٢٠١).

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٧-١٧٨)، تفسير البيضاوي (٢/١٨٨)، التحرير والتنوير (٨-١٥٨/أ).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير النسفي (١/٥٤٧)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّيًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤) [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

نوع التعليل: في الآية نوعان من التعليل: الأول: تعليق الحكم على وصف في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾. والثاني: الكاف في قوله تعالى: ﴿ كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾. (١)

دراسة التعليل: علق في الآية الحكم: وهو القول الموجّه للوالدين، بوصف: وهو أن يكون قولاً كريماً؛ أي: ليناً، سهلاً، لطيفاً، جامعاً للمحاسن من البر وجودة اللفظ، مع التأدب والحياء والاحتشام. (٢)

ولما كان أمره سبحانه في أول الآية بالإحسان إلى الوالدين أمراً مجملاً بينه تعالى بما ذكر بعده، وهو مشتمل على أمرين ونهيين:

فالأمران: أمر بالقول الحسن والفعل الحسن، وهما: الأمر بأن يقول القول الكريم لهما، والأمر بخفض الجناح لهما.

والنهيان: نهي عن القول المؤذي والفعل المؤذي، وهما: النهي عن قول ﴿ أُمَّيًا ﴾ لهما، والنهي عن نهرهما، فإن النهر وإن امتزج بالقول لكن حقيقته الفعل وهو الزجر والغلظة والصياح في وجوههما المصاحب للقول، وقد سيقت الآية لقصد معلوم وهو: الحث على توقير الوالدين واحترامهما والبر والإحسان إليهما، والتأفف إيذاء، والإيذاء ينافي التعظيم الواجب لذلك كان الضرب وأنواع التعذيب يشتمل على مثل ذلك الإيذاء فهو بمناقضة الواجب أولى؛ فقد وجد فيها العلة وزيادة، فهو اعتبار بطريق الأولى. (٣)

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٧٣/١٥).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١٩/٣)، تفسير البحر المحيط (٣٧/٧)، فتح القدير للشوكاني (٢٦٠/٣).

(٣) ينظر: شفاء الغليل (ص: ٣١).

ثم لما كان الإحسان إلى الوالدين لا يقتصر على الإحسان بحضرتهما بل يعم الإحسان في غيبتهما؛ وذلك بالدعاء لهما بالرحمة، أمر تعالى به بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فجاءت الكاف بمعنى التعليل في دعاء الولد لوالديه بالرحمة: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ومعنى التعليل: لأجل تربيتهما لي كقوله جل ذكره: ﴿وَأذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] أي ارحمهما رحمة تكافئ ما ربباني صغيراً، والأمر يقتضي الوجوب، وأما مواقع الدعاء لهما فلا تنضبط وهو بحسب حال كل امرئ في أوقات ابتهاله، وهذا الدعاء المطلق نُسَخ منه الدعاء لأهل الشرك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] فهو مختص بالأبوين المسلمين، وقيل: إذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان، وأن يدعو الله لهما بالهداية. (١)

• فالإحسان المأمور به مع الوالدين في الآية ينقسم إلى قسمين:

الأول: الإحسان إليهما بحضرتهما، وهذا ينقسم إلى أمرين ونهيين على ما مر ذكره.

الثاني: الإحسان إليهما في غيبتهما، وهو الدعاء لهما.



٣- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

نوع التعليل: الاستئناف البياني.

دراسة التعليل: وصى الله تعالى الإنسان وأمره بأن يحسن إلى والديه بالفعل والقول فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ونكر ﴿حُسْنًا﴾ ليدل على الكمال، فمعنى الآية: التوصية للإنسان بوالديه بالبر بهما، والعطف عليهما، وأن يحافظ على ذلك ولا يعقهما، وقد جاءت هذه الآية؛ لقصد تقرير حكم الإحسان للوالدين في كل حال إلا

(١) ينظر: ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/١٩)، تفسير النسفي (٢/٢٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٦١)، التحرير والتنوير (١٥/٧٣).

في حال الإشراف حتى لا يلتبس على المسلمين وجه الجمع بين الأمر بالإحسان للوالدين وبين الأمر بعصيانهما إذا أمرا بالشرك لإبطال قول أبي جهل: أليس من دين محمد البر بالوالدين ونحوه، وهذا من أساليب الجدل وهو الذي يسمى القول بالموجب وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع.^(١)

ثم عللت هذه الوصية من الله تعالى بالوعد المستأنف في آخر الآية: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهذه الجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً لزيادة تحقيق ما أشارت إليه مقدمة الآية من قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ لأن بقية الآية لما آذنت بفضاعة أمر الشرك وحذرت من طاعة المرء والديه فيه كان ذلك مما يثير سؤالاً في نفوس بعض الأبناء أنهم هل يعاملون الوالدين بالإساءة لأجل إشراكهما؟ فأنبئوا أن جزاءهم مفوض إلى الله تعالى فهو الذي يجازي المحسنين والمسيئين؛ فإن إليه سبحانه مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عقى ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أخبركم بصالح أعمالكم وطالحها، فأجازي كلا منكم بما يستحقه.^(٢)

وفي التعليل بهذه الجملة المستأنفة لطيفتان: الأولى: أن الجزاء إلى الله سبحانه، فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما، ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا. والثانية: التحذير من متابعتهم على الشرك، والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد؛ فإن الله تعالى يقول: لا تظنوا أني غائب عنكم وأباؤكم حاضرون، فتوافقون الحاضرين اعتماداً على غيبيتي وعدم علمي بمخالفتكم إياي؛ فإني حاضر معكم أعلم ما تفعلون ولا أنسى فأنبئكم بجميعه، ولا شك أن من يعلم أن مجالسته مع واحد خالية منقطعة، وحضوره بين يدي غيره دائم غير منقطع لا يترك

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٤٢)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/٣١)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٢٣)، تفسير السعدي (ص: ٦٢٧)، التحرير والتنوير (٢٠/٢١٣).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/١٨٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٢٣)، التحرير والتنوير (٢٠/٢١٤) - (٢١٥).

مراضى من تدوم معه صحبته لرضا من يتركه في زمان آخر. (١)



٤ - قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

نوع التعليل: في الآية جملتان معللتان:

الأولى: الجملة الاعتراضية ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾. (٢) والثانية: الاستئناف البياني ﴿إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾.

دراسة التعليل: يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببرِّ والديه ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفا على ضعف، وشدّة على شدّة؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً، فلما خص الأم بالمشقات من الحمل والنفاس والرضاع والتربية نبّه على السبب الموجب للإيضاء؛ وذلك بذكر الجملة الاعتراضية التعليلية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ بين الوصية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ والموصى به: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ توكيداً لأمر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكيراً لولدها بحقها وما قاسته من حملة ووضعه. (٣)

وفي جعل الشكر للوالدين مقترناً بالشكر لله: دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد، وأكبرها وأشدّها وجوباً، وفي هذه الآية شرك الله تعالى الأم والأب في رتبة الوصية بهما، ثم خصص الأم بدرجة ذكر الحمل ودرجة ذكر الرضاع فتحصل للأم

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٤٢)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/٣٢).

(٢) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١٢/٢٩٢)، التحرير والتنوير (٢١/١٥٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/١٣٦-١٣٧)، تفسير ابن جزى (٢/١٣٨)، تفسير البحر المحيط

(٨/٤١٣)، التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٢٤)، تفسير البيضاوي (٤/٢١٤).

عليه من البرّ واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ في بطنها مشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وولדתه مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وفصاله أي: فطامه من الرضاع؛ فذكرت مدة الحمل والإرضاع لأنها لطولها تستدعي صبر الأم على تحمل كلفة الجنين والرضيع. (١)

وقد دلّ تعليل الأمر على أن حق الأم أعظم؛ لأنه تعالى قال أولاً: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ فذكرهما معاً ثم خص الأم بالذكر فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ، وذلك يدل على أن حقها أعظم، وأن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر. (٢)

وعلى تعالّى كذلك الحث على بر الوالدين في الآيات بتعليق الجزاء عليه فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦) والمقصود بيان أنه تعالى يعامل من كان الإحسان إلى الوالدين وصفه بهذا الجزاء، وذلك وعد من الله تعالى فبين أنه صدق ولا شك فيه، واسم الإشارة أولئك؛ إشارة إلى الإنسان، وذكر بالجمع؛ لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه، وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليل تتقبل عنهم أحسن ما عملوا من الطاعات، ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم عليها وهم ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ مثابين أو معدودين فيهم. (٣)

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١٢/٢٢)، زاد المسير في علم التفسير (١٠٧/٤)، التحرير والتنوير (٣٠/٢٦).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٥/٢٨)، اللباب في علوم الكتاب (٣٩٤/١٧).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢١/٢٨)، تفسير البحر المحيط (٤٤١/٩)، تفسير البيضاوي (١١٤/٥)، تفسير أبي السعود (٨٣/٨)، فتح القدير للشوكاني (٢٣/٥).

الفوائد من تعليل خلق بر الوالدين:

١. دلّ تعليل الحثّ على الإحسان إلى الوالدين بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به، من برّه بوالديه وغير كذلك. (١)

٢. علّل تلطيف القول إلى الوالدين وتليينه بوصفه بالقول الكريم؛ حثاً على العناية به.

٣. العلة الموجبة للإحسان إلى الوالدين والبر بهما واسترحام الله لهما هي: تربيتهما له صغيراً، وتلك الحالة مما تزيده إشفاقاً ورحمة لهما إذ هي تذكير لحالة إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه. (٢)

٤. علّل الأمر بالإحسان إلى الوالدين وتقديم طاعتهما في غير معصية الله ورسوله بذكر المرجع والمعاد تهديباً للنفوس وحثاً لها على التزام الأمثل.

٥. أفاد التعليل بذكر حمل الأم ووضعها تأكيد وجوب الإحسان إليها الذي وصى الله به. (٣)

٦. يشير التعليل إلى كون الأمهات أكثر إشفاقاً وأوفر حباً لما باشرن من الولادة وعانين من التربية فإنهن أرق قلوباً وألين نفوساً، وبحسب ذلك وجب أن يكون التعطف عليهن أوفر جزاء لفعالهن، وكفاءً لحقهن، وإن كان الله تعالى قد أشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصية. (٤)

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٧٩).

(٢) تفسير البحر المحيط (٣٩/٧).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/٢٢).

(٤) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٠).

٧. أكد البر بالأم بعدة معلّلات لما قد يقع من التفريط في الوفاء بواجبها؛ اعتماداً على ما يلاقيه الابن من اللين منها، بخلاف جانب الأب؛ فإنه قوي ولأبنائه توقُّق من شدته عليهم.^(١)



(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥٨/٢١).

المطلب الثاني: تعليل التربية الأخلاقية للأسرة.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: ٥٣]

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، ويصح أن يكون تعليلًا بجملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآيات آدابًا عدة، وعلل سبحانه أمره للمؤمنين باتخاذ الحجاب بينهم وبين أزواج النبي ﷺ فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ بمعنى: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعًا؛ وهو الحاجة من الأناث وغيره، فاسألوهن من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن، والعلّة: أن سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل؛ فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أطهر.^(١)

وقد أفاد التعليل في الآية عموم هذا الحكم وهو الحجاب في نساء المؤمنين - وإن كان أصل اللفظ خاصًا بأزواج النبي ﷺ - لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه؛

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/٣١٣-٣١٤)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٨٠)، تفسير ابن جزي (٢/١٥٧)، اللباب في علوم الكتاب (١٥/٥٨٣)، التحرير والتنوير (٢٢/٩١).

فإن تعليله تعالى لهذا الحكم بكونه أظهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة، قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي ﷺ لا حاجة إلى أظهيرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن. (١)

وكذلك فإنه إذا كانت علة إيجاب الحجاب على المخاطبين - وهم أمهات المؤمنين والأصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - هي إرادة حصول الأظهيرية الواجبة في قلوبهم؛ فإرادة حصول ذلك في قلوب من بعدهم من باب أولى؛ إذ من المعلوم بالضرورة أن قلوب المخاطبين أقرب إلى الأظهيرية من قلوبهم.



٢- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩]

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل.

دراسة التعليل: هذه الآية تسمى آية الحجاب وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر به النساء عموماً ويبدأ بزوجاته وبناته؛ لأنهن أكد من غيرهن فذكرهن من ذكر بعض أفراد العام للاهتمام به، ولأن الأمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله قبل غيرهم كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦] فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ أي: يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا خرجن لحاجة، ثم ذكر سبحانه حكمة ذلك، فقال: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] أي: أنه أولى وأجدر بأن يعرفن لتسترهن بالعفة، فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن؛ لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر لم يُقدّم عليها، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها. (٢)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٢٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/٣٢٤)، تفسير الزمخشري (٣/٥٦٠)، تفسير البيضاوي (٤/٢٣٨)، تفسير البحر المحيط (٨/٥٠٤)، تفسير السعدي (ص: ٦٧١)، التحرير والتنوير (٢٢/١٠٦).

الفوائد من تعليل التربية الأخلاقية للأسرة:

١. كلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر فإنه أسلم له وأطهر لقلبه،
فلهذا كانت جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة، ويُشرع البعد عنها بكل
طريق. (١)

٢. ورود التعليل في التوجيهات الإلهية للبيت النبوي يفيد تعميم الحكم لبيوت
المؤمنين كافة؛ لا سيما عند عموم العلة.

٣. دل التعليل بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّتْ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾ [الأحزاب: ٥٩] على وجود
أذية، إن لم يحتجب النساء؛ وذلك لأنهن إذا لم يحتجبن ربما ظن أنهن غير عفيفات
فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن وظن أنهن إماء، فتهاون بهن
من يريد الشر، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن. (٢)

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٧٠).

المطلب الثالث: تعليل خلق صلة الرحم.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن.

دراسة التعليل: افتتح تعالى سورة النساء بالأمر بتقواه والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والأزواج عموماً، ثم فصل هذه الأمور أتم تفصيل من أول السورة إلى آخرها؛ فكانها مبنية على هذه الأمور المذكورة مفصلة لما أجمل منها، ولكثرة ما يعرض من مراعاة حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة - ويدق ذلك ويغمض - جاء الأمر فيها بلفظ الاتقاء، وبه افتتحت ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ والمعنى: واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقد عطف ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ على لفظ ﴿اللَّهِ﴾ تعظيماً لأمر الرحم، فإن المراد بقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي اتقوا عقوبته على طريق الجملة، ثم قال: والأرحام، أي عقوبته في قطع الأرحام، وخصّها بالذكر تعظيماً لأمرها، وكأنه قيل: اتقوا عقوبات الله عامة، وعقوبته في قطع الأرحام خاصة، وذلك لتعظيمه أمر الرحم. (١)

ثم إنه تعالى ختم هذه الآية معللاً بما يكون كالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريداً لمجازاتكم بذلك، ومن هذا صفة فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به، وفي إظهار الاسم الجليل

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٢٠)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٠٧٦ + ١٣٢٥)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ١٩٢)، تفسير السعدي (ص: ١٦٣).

تأكيد لهذا التعليل. (١)

٢- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَرُ أُولَئِكَ الْآلَتَبِ ١٩﴾
 الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
 سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

نوع التعليل: في الآيات نوعان من التعليل؛ أولهما: تعليق الحكم على وصف،
 والثاني: جملة صلة الموصول.

دراسة التعليل: ذكر في الآيات تعليقات عدة لما اتصف به المؤمنون من امثال
 لأوامر الله تعالى، ولما تحلوا به من أخلاق فاضلة:

أولها: تعليق الحكم على وصف؛ وقد جاء تعليق الحكم على وصف في موضعين
 من الآيات:

أ/ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَرُ أُولَئِكَ الْآلَتَبِ﴾ فعلق الحكم بكونهم أصحاب العقول السليمة على
 اتصافهم بما جرى ذكره لاحقاً في الآيات. (٢)

ب/ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فعلق الجزاء والعاقبة الحسنة على اتصافهم بهذه
 الأوصاف. (٣)

والثاني: جمل صلة الموصول المتكررة في الآيات: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
 الْمِيثَاقَ ٢٠ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٤٨٢/٩)، تفسير أبي السعود (١٣٩/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣٠٩/٣)، تفسير البيضاوي (١٨٦/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٢٩٢/١١).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣).

أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ [الرعد: ٢٠-٢٢].

وهما تعليان للأخلاق الأخرى المذكورة في الآيات: من الصبر، والوفاء بالعهد وعدم الغدر، وصلة الرحم، والإنفاق سرًّا وعلانية، ودفع السيئة بالحسنة، إلى جانب ما اتصفوا به من خشية الله تعالى، وإقامة الصلاة.^(١)

وقد ذكر ﷺ في الآيات تسعة قيود للشرط، ورتب عليها أربعة قيود للجزاء^(٢) أما القيود المذكورة في الشرط فهي:

الأول: الوفاء بالعهد.

الثاني: عدم نقض الميثاق.

الثالث: صلة ما أمر الله به أن يوصل؛ أي صلة الرحم، وإنما أطنب في التعبير عنها بطريقة اسم الموصول ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ لما في ذلك من التعريض بأن واصلها آت بما يرضي الله.^(٣)

وصلة الرحم من أجل الأعمال وأعظم القربات فقد قال رسول الله ﷺ قال: "من سره أن يبسط له رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه".^(٤)

وجاءت الصلوات ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ﴾ و﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وما عطف عليهما بصيغة المضارع لإفادة التجدد كنايةً عن الاستمرار.^(٥)

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣-٢٩٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٦/١٩).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣)، تفسير البغوي (٣/١٧)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/٥٦) برقم: (٢٠٦٧) (كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق)، ومسلم في "صحيحه" (٨/٨) برقم: (٢٥٥٧) (كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها).

(٥) ينظر: تفسير البحر المحیط (٦/٣٨٠)، تفسير أبي السعود (٥/١٧)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٨).

الرابع والخامس: خشية الله عَزَّجَلَّ والخوف من سوء الحساب.

السادس: الصبر ابتغاءً لوجه الله.

السابع والثامن: إقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلانية.

التاسع: درء السيئة بالحسنة.

وأما القيود الأربعة المذكورة في الجزاء فهي:

الأول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُبَى الدَّارِ﴾ وعقبى الدار: عاقبة الدنيا، وهي الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها، واجتلاب اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، وقدم المجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عُقُبَى الدَّارِ﴾؛ للدلالة على القصر، أي لهم عقبى الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم.^(١)

الثاني: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من عقبى الدار، والعدن: الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وذكر يدخلونها لاستحضار الحالة البهيجة.^(٢)

الثالث: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي ومن آمن منهم؛ وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة، وقد ألحق الله تعالى بالمؤمن أهله المؤمنين إكرامًا له، لتقر عينه بهم، وذكر الله هذا للبشرى كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وهذا كعكسه في قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] لأن مشاهدة عذاب الأقارب عذاب مضاعف.^(٣)

(١) ينظر: تفسير الرازي (٣٦/١٩)، تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، التحرير والتنوير (١٢٤/١٣).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، تفسير البيضاوي (١٨٦/٣)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤٩٣/٢)، تفسير البحر المحيط (٣٨٢/٦)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣).

الرابع: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد: ٢٣-٢٤] وهذا من كرامتهم؛ فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة، وجملة ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ تحية يقصد منها تأنيس أهل الجنة. (١)



٣- قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٨) [الروم: ٣٨].

نوع التعليل: في الآية تعليان: الأول: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، والثاني: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: يقول تعالى ذكره لنيبه محمد ﷺ: فأعط يا محمد ذا القرباة منك حقه عليك والمراد: الإحسان إليهم بالصدقة والصلة والبرّ والمودة ولو بالكلام الطيب، والخطاب للنبي ﷺ على أنه المقصود أصالة وغيره من المؤمنين تبعاً، وقد ذكر الأقارب في جميع المواضع بهذا اللفظ وهو ذوو القربى، ولم يذكر المسكين بلفظ ذي المسكنة؛ لأن القرباة لا تتجدد فهي شيء ثابت، فقال ذا القربى إشارة إلى أن هذا حق متأكد ثابت، وأما المسكنة فتطراً وتزول، وللاهتمام بذي القربى قدم على المسكين وابن السبيل؛ لأن بره صدقة وصلّة، وقال: ﴿فَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ ثم عطف المسكين وابن السبيل، ولم يقل فأت ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقهم؛ كأنه يقول أعط ذا القربى حقه ثم يذكر المسكين وابن السبيل بالتبعية ولهذا المعنى إذا قال الملك: خل فلان يدخل وفلاناً أيضاً، يكون في التعظيم فوق ما إذا قال: خل فلاناً وفلاناً يدخلان (٢) وإلى هذا أشار النبي ﷺ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠٣/٢٠)، تفسير الفخر الرازي (١٠٣/٢٥)، تفسير ابن جزى (١٣٤/٢)، تفسير البحر المحيط (٨/٣٩٣)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٦١)، تفسير الألوسي (٤٤/١١).

بقوله: "بئس الخطيب أنت" حيث إن رجلا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ: "بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله".^(١)

وعلّل سبحانه ما أوجبه من صلة الرحم بقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢) فإيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾^(٣) [الليل: ٢٠]، والإشارة بقوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ إلى الإيتاء المأخوذ من قوله ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٤) واسم الإشارة للتنويه بالمأمور به و﴿خَيْرٌ﴾ اسم تفضيل والمفضل عليه مفهوم من السياق أن ذلك خير من صنيع أهل الجاهلية الذين يعطون الأغنياء البعداء للرياء والسمعة، أو المراد ذلك خير من بذل المال في المراباة التي ستذكر بعد في الآية التالية من قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْتَدُّ إِلَيْكُمْ﴾^(٥) [الروم: ٣٩].^(٦)

ومناسبة فات ذا القربى لما قبله: أنه لما ذكر أنه تعالى هو الباسط القابض، وجعل في ذلك آية للمؤمن، ثم نبه من بسط الله له في رزقه بأداء حق الله من المال، وصرفه إلى من يقرب منه، ولأنّ السورة مكية، فالظاهر أن الحق ليس الزكاة، وإنما يصير حقًا بجهة الإحسان والمواساة.^(٧)

الفوائد من تعليل خلق صلة الرحم:

١. قد يعلّل سبحانه أحكامه وأفعاله بأسمائه؛ والتعليل بأسمائه سبحانه يورث في نفس المتلقي الهيبة والإجلال لهذا الأمر، ويدعو إلى امتثاله.^(٨)

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٢/٣) برقم: (٨٧٠) (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠٣/٢٠)، تفسير الزمخشري (٤٨١/٣)، التحرير والتنوير (١٠٤/٢١).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣٩٣/٨)، فتح القدير للشوكاني (٢٦١/٤).

(٤) ينظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص: ١٧٣).

٢. عُلِّل الحث على الإحسان إلى ذي القربى بأنه خيرٌ لمن يطلب ثواب الله، وفي ذلك تحفيز للنفوس لتسارع إلى القيام بهذا الواجب، لا سيما وقد قُرِن بالوعد بالفلاح.



المطلب الرابع: تعليل خلق حسن العشرة الزوجية.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٩].

نوع التعليل: في الآية معللان: إناطة الحكم بوصف، والفاء الرابطة لجواب الشرط.

دراسة التعليل: أنيط الحكم في هذه الآية وهو المعاشرة بوصف وهو أن تكون بالمعروف، فأمر بحسن المعاشرة، والظاهر أنه أمر للأزواج؛ لأن التلبس بالمعاشرة غالبا إنما هو للأزواج،

والمعاشرة بالمعروف: الإجمال في القول والمبيت والنفقة وذلك يختلف باختلاف الأزواج في الغنى، والفقير، والرفاعة، والوضاعة، وقيل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].^(١)

وقد قال رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"^(٢) وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، يداعب أهله ويتلطف لهم ويضاحك نساءه.

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/ ٥٨٨)، تفسير البحر المحيط (٣/ ٥٧٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٢)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٦/ ١٨٨) برقم: (٣٨٩٥) (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل أزواج النبي ﷺ) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك، فلذلك قال سبحانه معللاً لوجوب وإحسان العشرة مع الكراهة: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وجملة فعسى أن تكرهوا نائبة مناب جواب الشرط، وهي علة له فعلم الجواب منها، وقد أقيمت مقامه للإيدان بقوة استلزامها إياه كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه، ومن بلاغة القرآن العموم الذي في لفظة ﴿شَيْئًا﴾ لأنه يطرد هذا النظر في كل ما يكرهه المرء مما يجمل الصبر عليه، فيحسن الصبر؛ إذ عاقبته إلى خير إذا أريد به وجه الله، وسياق الآية يدل على أن المعنى الحث على إمساكهن وعلى صحبتهن، وإن كره الإنسان منهن شيئاً من أخلاقهن. (١)

والتعليل في هذه الآية دليل على أن المقاصد الشرعية والمصالح وإن كان ظاهر بعضها المشقة والصعوبة، لكن باطنها المنفعة والرحمة، والصلاح في الدنيا والآخرة. (٢)

الفوائد من تعليل خلق حسن العشرة الزوجية:

١. عللت العشرة بإناطتها بوصف المعروف فدل ذلك على أن العلاقة الزوجية كلها ينبغي أن تقوم على المعروف وحسن الصحبة.
٢. كل مؤتمن على حق فتصرفه فيه منوط بالمصلحة بحسب اجتهاده، وليس له أن يكون في تصرفه جباراً ولا مضياً؛ لذا قال الله تعالى للأزواج: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. (٣)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٤٩١)، تفسير ابن عطية (٢/٢٨)، تفسير البحر المحيط (٣/٥٧٠)، تفسير أبي السعود (٢/١٥٨)، التحرير والتنوير (٤/٢٨٧).

(٢) ينظر: التعارض والترجيح بين المصالح والمفاسد للدكتور: عبدالرحمن السديس (ص: ٤٥).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/٥٣٤).

٣. قد تكون المرأة المكروهة سبباً للخيرات؛ من رضا الله سبحانه وعظيم ثوابه،
كما تكون سبباً في الولد الصالح فيقتضي أن لا يتعجل الرجل في فراقها، وأن يحسن
عشرتها.



المطلب الخامس: تعليل خلق القوامة.

١ - قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

نوع التعليل: باء السببية " والباء في بما للسبب" (١).

دراسة التعليل: الرجال قوامون على نساءهم، بتفضيل الله إياهم عليهن، وبإنفاقهم عليهن من أموالهم؛ والقوام هو الذي يقوم بأمر المرأة ويحفظها، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، والقيام عليهن بالأمر والنهي، وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيذان بعراققتهم في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه كشأن قيام الولاية على الرعية. (٢).

ولما قال سبحانه في الآيات السابقة: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] بعد بيان أحكام الميراث؛ ذكر تعالى في هذه الآية سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث: وهو أن الرجال قوامون على النساء، فلا إسناد للقوامة إلى الرجل أسبابها من التكوين والاستعداد، ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات، ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية وتكليف كل طرف بالجانب الميسر له، والذي يصلح له فطرة، فإنهما وإن اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالآخر، إلا أن الله أمر الرجال

(١) تفسير البحر المحيط (٣/ ٦٢٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٣)، التفسير البسيط للواحيدي (٦/ ٤٨٥)، تفسير البغوي (١/ ٦١١)،

تفسير أبي السعود (٢/ ١٧٣).

بالقوامة عليهن؛ فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر، فكأنه لا فضل البتة. (١)

وعلّل سبحانه قوامة الرجل على المرأة بأمرين:

- وهبي؛ فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء في أصل الخلقة، بكمال العقل وحسن التدبير، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد، وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والفروسية، والرمي، وأنّ منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب في الميراث، والحماله، والقسامه، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، وهم أصحاب اللحى والعمائم.

- وكسبي؛ فقال: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات، وجاء قوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ بصيغة الماضي؛ للإيماء إلى أن ذلك أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، فالرجال هم العائلون لنسائهم، وأضيفت الأموال إلى ضمير الرجال؛ لأن الاكتساب من شأن الرجال، ويندر أن تتولى النساء مساعي من الاكتساب. (٢)

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٧٠ / ١٠)، تفسير أبي السعود (١٧٣ / ٢)، القوامة في القرآن الكريم حق من حقوق المرأة لفهد الرومي (ص: ١٠).

(٢) تفسير الزمخشري (٥٠٥-٥٠٦ / ١)، تفسير البيضاوي (٧٢ / ٢)، تفسير المنار (٥٥ / ٥-٥٦)، التحرير والتنوير (٣٩ / ٥).

الفوائد من تعليل خلق القوامة:

١. عللت القوامة مع ما يتفق مع طبيعة كل من الرجل والمرأة؛ فالرجل أقدر على اكتساب وسائل العيش مع ما يلاقيه من الصعاب والمشاق التي لا تتلائم مع طبيعة المرأة.^(١)

٢. تعليل القوامة بالفضيلة والنفقة يقتضي أن للرجال على النساء درجة؛ فله تأديبها بالأمر والنهي، وعليها الطاعة والامتثال.^(٢)

٣. الشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة - وهي المهر والنفقة - عن أمر تقتضيه الفطرة، ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيماً عليها، فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لأجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة، ورضيت بعوض مالي عنها.^(٣)

(١) ينظر: القوامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية لرشيد كهوس (ص: ٥٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٤٧/٢).

(٣) تفسير المنار (٥٦/٥).

المطلب السادس: تعليل خلق الصلح بين الزوجين.

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل.

دراسة التعليل: يذكر سبحانه في الآية أولاً قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ مما يوهم أن الصلح بين الزوجين رخصة والغاية فيه ارتفاع الإثم، فبين تعالى أن هذا الصلح كما أنه لا جناح فيه ولا إثم فكذلك فيه خير عظيم ومنفعة كثيرة، فإن الزوجين إذا تصالحا على شيء فذاك خير: بمعنى أفعال التفضيل، والمفضل عليه: الفرقة، وقيل: النشوز والإعراض وسوء العشرة، والظاهر أن يكون ذلك عامًا فيهما وفي غيرهما، فإن الناس مدعوون إلى التآلف والتحاب، وكل موضع يمكن فيه الصلح أحرى بالصلاح على ما يقتضيه العقل والشرع.

فقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ تعليل للأمر بالصلح والترغيب فيه، وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة وهي:

- (١) المصدر المؤكد في قوله: ﴿صُلْحًا﴾.
- (٢) الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.
- (٣) والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة: ﴿وَالصُّلْحُ﴾ فإنها تدل على فعل سجية. (١)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ١٨٢)، تفسير الزمخشري (١/ ٥٧١)، تفسير الفخر الرازي (١١/ ٢٣٦)، تفسير البحر المحيط (٤/ ٨٦-٨٧)، التحرير والتنوير (٥/ ٢١٦-٢١٧).

الفوائد من تعليل خلق الصلح بين الزوجين:

١. التعليل بكلمة خير التي تدل على التفضيل مع عدم ذكر المفضل عليه يفيد شمول الخيرية لكل أنواع الإصلاح بين الزوجين.
٢. الصلح خير من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة، وإثبات الخيرية للمفضل عليه على سبيل الفرض والتقدير؛ أي إن يكن فيه خير فهذا أخير منه وإلا فلا خيرية فيما ذكر. ^(١)
٣. الزوجان هما لبنة المجتمع، فإن تصالحا وتصافت نفوسهما كان ذلك خيراً على المجتمع بأسره.



(١) تفسير الأوسى (٣/١٥٦).

المطلب السابع: تعليل خلق العفو، وحفظ الفضل بين الزوجين.

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

نوع التعليل: في الآية تعليان:

الأول: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، وقيل أيضاً: إن اللام للتعليل، فيدل على علة ازدياد قرب العفو على تركه؛ وذلك لما يحققه من التقوى^(١).

الثاني: تعليل النهي عن نسيان الفضل بجملة إن.

دراسة التعليل: حث الله الزوج والمرأة على الفضل والإحسان، وأمرهما جميعاً أن يستبقا إلى العفو؛ وعلل ذلك بما في قرب العافي من تقوى الله تعالى، وذلك بسبب مسارعتة في عفو ذلك إلى ما ندبه الله إليه، فكان فعله ذلك ابتغاء مرضاة الله وإيثار ما ندبه إليه على هوى نفسه، وبعد أن حثهما على التسامح بقوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ﴾ والفضل أعم من العفو، لأنه يتناول ترك ما وجب لك، وإعطاء ما لا يلزمك، فلما حث فيما تقدم على استعمال العدالة، نبه بقوله: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ﴾ وليس المراد منه النهي عن النسيان لأن ذلك ليس في الوسع بل المراد منه الترك، فالنسيان هنا مستعار للإهمال وقلة الاعتناء كما في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [السجدة: ١٤]، ومعنى هذه الآية - وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ - هو إفضال بعضهم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، وفي ذلك

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٢/٥٤٠).

حثُّ لهما جميعاً على الإحسان؛ لأنه من شيم الأخلاق. (١)

وقد ندب جلّ ذكره إلى المجاملة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ وذلك لأن الرجل إذا تزوج بالمرأة فقد تعلق قلبها به، فإذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سبباً لتأذيها منه، وأيضاً إذا بذل الرجل لها مهراً من غير أن يكون قد انتفع بها البتة صار ذلك سبباً لتأذيها منها، فندب تعالى كل واحد منهما إلى فعل يزيل ذلك التأذي عن قلب الآخر، فندب الزوج إلى أن يطيب قلبها بأن يسلم المهر إليها بالكلية، وندب المرأة إلى ترك المهر بالكلية. (٢)

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تعليل للترغيب في عدم إهمال الفضل وتعريض بأن في العفو مرضاة الله تعالى، فهو عليم بما في ضمائرهم بصير بأحوالهم فيجازي عليه، ونظيره قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. (٣)



٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَنَصَّفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

نوع التعليل: جواب الشرط المقرون بالفاء.

دراسة التعليل: يبين سبحانه في الآية أن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً لصاحبه يصدّه عن الدين، ويلهيه افتتانه به عن طاعة الله، كما بيّن سبحانه في الآية التي تليها: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] كما أن الزوج والولد قد يعادي هذا الرجل

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦٤/٥)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٩١-٤٩٢)، تفسير البغوي

(١/٣٢٢)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٨١)، التحرير والتنوير (٢/٤٦٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٣٢٢)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٨١).

(٣) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٣/٤٤٢)، تفسير البحر المحييط (٢/٥٤١)، التحرير والتنوير

(٢/٤٦٥).

ويعقّه، فيحث تبارك وتعالى على العفو والصفح عنهم وعدم المقابلة بالمثل فيقول سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة، ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بالإعراض وترك الشريب عليها، ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها، فإن الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويفضل عليكم؛ والجزاء من جنس العمل.^(١)

والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد، وإن كانت نزلت بسبب قوم تأخروا عن الهجرة بسبب تشييط أولاهم وأزواجهم لهم عن ذلك؛ فإن لفظ الآية على عمومها في التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.^(٢)

الفوائد من تعليل خلق العفو:

١. يدل التعليل بكون العفو أقرب للتقوى على أن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد، لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه، لكثرة أسبابها فيه.^(٣)

٢. يقع التعليل بذكر أسماء الله تعالى وصفاته، وتكون مناسبة للسياق الذي ذكرت فيه.

٣. في الطباع السليمة حب الفضل؛ لذلك حث الله الزوجين على ألا ينسيان التفضل من كل واحد منهما على الآخر، وعلله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٥٥٠)، تفسير ابن عطية (٥/ ٣٢٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢١٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن جزى (٢/ ٣٨١)، الباب في علوم الكتاب (١٩/ ١٣٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٤٦٤).

وفيه من ترغيب المحسن وترهيب غيره ما لا يخفى؛ فهو خبر في ضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغيره.^(١)

٤. الإخبار عن بعض الأزواج والأولاد بأنهم عدو يجوز أن يحمل على الحقيقة فإن بعضهم قد يضمم عداوة لزوجه وبعضهم لأبويه، ويكثر أن تأتي هذه العداوة من اختلاف الدين ومن الانتماء إلى الأعداء، ويجوز أن يكون على معنى التشبيه البليغ، أي كالعدو في المعاملة بما هو من شأن معاملة الأعداء كما قيل في المثل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو لعدوه، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه.^(٢)



(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٣٢٢)، فتح القدير للشوكاني (١/٢٩٢)، التحرير والتنوير (٢/٤٦٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/٢٨٤).

المطلب الثامن:

تعليل خلق الإحسان إلى المطلقات.

١- قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا إِذَا بَعَثَ الْمَرْءُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١]

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْ تَعَرُّوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: ٤٩]

٤- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٠٠﴾﴾ [الطلاق: ٢٠٠]

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: أنيط في الآيات الحكم وهو: إمساك المرأة بوصف وهو: أن يكون ذلك الإمساك إمساكاً بمعروف، كما أنيط حكم آخر: وهو التسريح أو مفارقة المرأة بعدة أوصاف وهي: أن يكون ذلك التسريح والفراق بإحسان وبمعروف وأن يكون تسريحاً جميلاً.

والإمساك بمعروف: هو حسن اللقاء والاعتذار لها عما فرط والعود إلى حسن المعاشرة فيما للزوجة على الزوج من حق، وأن أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة، وفسر المعروف بالإشهاد على الرجعة، وقيل: هو أن ينفق عليها، فإن لم يجد

طلقها، فإذا لم يفعل خرج عن حد المعروف؛ فالمعروف هنا هو ما عرفه الناس في معاملاتهم من الحقوق التي قررها الإسلام أو قررتها العادات التي لا تنافي أحكام الإسلام، والمفارقة بمعروف أو التسريح بإحسان: كف اللسان عن غيبتها وإظهار الاستراحة منها وأداء المهر والإمتاع حين الطلاق ودفع جميع الحقوق الواجبة والوفاء بالشرط، وأن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار؛ بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وقدم الإمساك على التسريح والمفارقة إيماءً إلى أنه أرضى الله تعالى وأوفق بمقاصد الشريعة، والسراح الجميل: الحسن حسناً بمعنى قبوله وهو الطلاق دون غضب ولا كراهية؛ لأنه طلاق مراعى فيه اجتناب تكليف الزوجة ما يشق عليها.^(١)

والمعروف يناسب الإمساك لأنه يشتمل على أحكام العصمة كلها من إحسان معاشرة وغير ذلك، فهو أعم من الإحسان، وأما التسريح فهو فراق ومعروفه منحصر في الإحسان إلى المفارقة بالقول الحسن والبذل بالمتعة، كما أن المعروف أخف من الإحسان إذ فيه إعطاء حقوق الزوجية، والإحسان يقتضي الإعطاء؛ وبذل المال أشق على النفوس من حسن المعاشرة فجعل المعروف مع الإمساك المقتضي دوام العصمة إذ لا يضر تكرره وجعل الإحسان الشاق مع التسريح الذي لا يتكرر.^(٢)

وقوله في الآية الثانية: ﴿أَوْسَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] قيّد التسريح بالمعروف، وكان قيده في قوله السالف ﴿أَوْتَسَرِّحُ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] تنبيهاً أنه إن لم تراعوا في تسريحها الإحسان، فراعوا فيه المعروف، وقد أعاد أحوال الإمساك والتسريح في الثانية ليبيّن عليها النهي عن المضارة، والذي تخاف مضارته بمنزلة بعيدة عن أن يطلب منه الإحسان، فطلب منه الحق وهو المعروف، كما خيف أن يتوهم أن الأمر بالإحسان عند

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٢٧٧)، تفسير ابن عطية (٥/٣٢٤)، زاد المسير في علم التفسير (١/٢٠٥)، تفسير ابن جزّي (٢/٣٨٤)، تفسير البحر المحيط (٢/٤٨٩) (١٠/١٩٨)، التحرير والتنوير (٢/٤٠٦-٤٠٧) (٢١/٣١٦) (٢٨/٣٠٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن عرفة (٢/٦٥٨)، التحرير والتنوير (٢/٤٠٦).

تسريحهن للوجوب فعقبه بهذا تنبيهاً على أن الأمر للندب لا للوجوب.^(١)

ووجه تكرير الحكم في الآيات في سورة البقرة ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]: أن الآية الأولى أفادت التخيير بين الإمساك والتسريح في مدة العدة، والثانية أفادت التخيير في آخر أوقات العدة، تذكيراً بالإمساك وتحريضاً على تحصيله، كما أن فيه إشارة إلى الترغيب في الإمساك، من جهة إعادة التخيير بعد تقدم ذكره، كما أنه سيبنى عليه في الآية الثانية ما قصد من النهي عن الإضرار وما تلا ذلك من التحذير والموعظة وذلك كله مما أبعده عن تذكره الجمل السابقة التي اقتضى الحال الاعتراض فيها.^(٢)

والفرق بين قوله ﴿أَوْ تَسْرِيحُ﴾ في سورة البقرة، وقوله ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ في سورة الطلاق: أن آية البقرة قد اكتنفها النهي عن مضارة النساء وتحريم أخذ شيء منهن وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن حالي الاتصال والانفصال لم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ أو فارقوهن؛ لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة وهو لفظ التسريح وليجري مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لعضل ولا ذكر مضارة ورد التعبير بلفظ: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ٢] عن الانفصال ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾.^(٣)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٧٧)، تفسير ابن عرفة (٢/٦٦٣)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٢).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٦/٤٥١-٤٥٢)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٢).

(٣) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي (١/٦٧).

الفوائد من تعليل خلق الإحسان إلى المطلقات:

١. لما عُلل الإحسان للمطلقات وقُيّد بوصف المعروف؛ فهم منه أنه إن كان إمساك دون المعروف فهو غير مأذون فيه وهو الإمساك الذي كان يفعله أهل الجاهلية أن يطلق الرجل امرأته فإذا قاربت انتهاء عدتها راجعها أياما ثم طلقها يفعل ذلك ثلاثا ليطلق عليها من العدة فلا تتزوج عدة أشهر إضراراً بها.^(١)

٢. في تكرار التعليل في آيات الطلاق إعادةً للحكم في بعض صورته اعتناءً بشأنه ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه، وليدل ذلك التكرير على أن في تلك الصورة من الاهتمام ما ليس في غيرها.^(٢)

٣. المعروف في الحالين -الإمساك والتسريح- من عمل الرجل لأنه هو المخاطب بالإمساك أو الفراق، وأما المعروف الذي هو من عمل المرأة فمقرر من أدلة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَلَهْنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].^(٣)

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠٨/٢٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٤٥٢/٦)، تفسير البيضاوي (١٤٣/١)، تفسير أبي السعود (٢٢٨/١).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠٨/٢٨).

المبحث الثاني

تعليل الأخلاق الأسرية المذمومة

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: تعليل خلق العقوق.
- المطلب الثاني: تعليل خلق قتل الأبناء.
- المطلب الثالث: تعليل خلق قطيعة الرحم.
- المطلب الرابع: تعليل خلق ظلم الزوجات.
- المطلب الخامس: تعليل خلق العضل.
- المطلب السادس: تعليل خلق الإضرار بالمطلقة.

* * * * *

المطلب الأول: تعليل خلق العقوق.

١ - قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدَيْهِ أَفٍ لِّكُمْ أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧-١٨].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف في جملة: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ "والجملة تعليل للحكم" (١).

دراسة التعليل: ذكر الله تعالى قبل هذه الآيات من بر والديه وعمل بوصية الله عزَّجَلَّ، ثم أردف بذكر من لم يعمل بالوصية ولم يطع ربه ولا والديه، ومن صفات العاق لأبويه في الآيات: أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق؛ وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر، وعول في ذلك الإنكار على شبهات واهية، وأف: هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره، وهو هنا مستعمل كناية عن أقل الأذى فيكون الذين يؤذون والديهم بأكثر من هذا أوغل في العقوق الشنيع وأحرى بالحكم بدلالة فحوى الخطاب. (٢).

ثم ذكر سبحانه ما ترتب على ذلك العقوق والكفر من جزاء فقال سبحانه في الجملة التعليلية: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ومعناها: وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص: ٨٥] وتعريف القول تعريف العهد فهو قول معهود عند

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٨٤)، وينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١١٤).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٠٩)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٢٢)، تفسير البيضاوي

(٥/ ١١٤)، تفسير أبي السعود (٨/ ٨٣)، التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٨).

المسلمين لما تكرر في القرآن من التعبير عنه بالقول في نحو آية: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)، ونحو قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، فإن الكلمة قول، ونحو قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) [يس: ٧]، وقوله: ﴿كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨] دون أن يقال: إنهم خاسرون، للإشارة إلى أن خسراهم محقق فكني عن ذلك بجعلهم كائنين فيه، وتأكيد الكلام بحرف ﴿إِنَّ﴾ ليدفع ظنهم أن ما حصل لهم في الدنيا من التمتع بالطيبات فوز ليس بعده نكد لأنهم؛ لا يؤمنون بالبعث والجزاء. (١)

الفوائد من تعليل خلق العقوق:

١. كما عُلل الأمر بالإحسان إلى الوالدين بذكر المرجع والمعاد؛ كذلك عُلل النهي عن عقوقهما بذكر عاقبته وهي الخسران والهلاك؛ فذكر بالعواقب تهنيداً للنفوس وحثاً لها على التزام الأمثل.

٢. دلت الآية على أن من صور العقوق أن يخيب الابن والديه فيما يرجوانه منه من اتباع شرع الله والقيام بما أوجبه سبحانه، والعقوق في ذلك درجات أفضعها ما ذكر في الآية من كفر الابن واستكباره عن قبول الدين الحق.

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٥)، التحرير والتنوير (٢٦/ ٤٠).

المطلب الثاني: تعليل خلق قتل الأبناء.

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُوكِهِمْ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَنَلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٣١].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية الأولى بمن التعليلية: ﴿مِمَّنْ أَمْلَقِي﴾ "ومن هنا للتعليل تقديره: من أجل إملاق" (١) وبـ "لعل" الواقعة في ختام الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وجاء التعليل في الآية الثانية بالمفعول لأجله: ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، وبجمله إن: ﴿إِنْ قَنَلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً﴾.

كما جاء التعليل في الآيتين بالاستئناف البياني: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. (٢)

دراسة التعليل: جاءت معللات النهي عن قتل الأبناء في الآيات كالتالي:

المعلل الأول: كان العرب يقتلون البنات بسبب وقوع الفقر: ﴿مِمَّنْ أَمْلَقِي﴾ أو خوفاً من وقوع الفقر: ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ وذلك لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه، كما كانوا يخافون أن فقرها ينفر الكفاء عن الرغبة في نكاحها؛ فيضطرون إلى تزويجها من غير الأكفاء وفي ذلك عار شديد؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ واللفظ عام فالولد

(١) تفسير ابن جزى (١/ ٢٨٠)، وينظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٦٨٧)، التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٥٨).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ١٩٨)، التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٥٩).

يعم الذكر والأنثى من البنين، والمعنى: أن الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدًا، وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور وبين الإناث، وأما ما يخاف من الفقر من البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر، وقد يخاف أيضا في العاجزين من البنين.^(١)

المعلل الثاني: كما علّل النهي في الآيتين بالاستئناف البياني فقال في الأنعام: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال في الإسراء: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] مبيّنا تعالى أنه هو الرازق لهم ولأولادهم، فالاستئناف في الآيتين مسوق لتعليل النهي وإبطال ما اتخذوه سببًا لقتل أولادهم، وضمان منه تعالى لأرزاقهم، أي: نحن نرزق الجميع لا أنتم فلا تخافوا الفقر، وتقديم المسند إليه ﴿تَحْنُ﴾ على المسند الفعلي، لإفادة الاختصاص: أي نحن نرزق الجميع لا أنتم ترزقون أنفسكم ولا ترزقون أبناءكم.^(٢)

ووجه الاختلاف في الآيتين مع اتحاد المقصد فيهما: أن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حال قتلهم فقيل: ﴿مَنْ أَمَلَقَ﴾ أي من أجل الاملاق الحاصل ثم قيل لهم: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فبدأ أولاً بقوله: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ خطابًا للآباء وتبشيرًا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق، ثم عطف عليهم الأولاد، وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون وأن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه فبدأ فيه بقوله: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ إخبارًا بتكفله تعالى برزقهم فليستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الآباء ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ فقدم ما كان الأهم في كل موضع على ما يجب ويناسب.^(٣)

المعلل الثالث: لما بيّن تعالى تحريم قتل الأبناء في سورة الأنعام جاء في ختام الآية

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١٧/١٢)، تفسير البغوي (١٣١/٣)، تفسير الزمخشري (٧٩/٢)، تفسير ابن عطية (٣٦٢/٢)، تفسير الفخر الرازي (٣٣١/٢٠).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦٨٧/٤)، تفسير أبي السعود (١٩٨/٣)، التحرير والتنوير (٨-١٥٩).

(٣) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١٧٣-١٧٢/١) تفسير البحر المحيط (٦٨٧/٤)، تفسير أبي السعود (١٦٩/٥)، التحرير والتنوير (٨٨/١٥).

بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١] وفي لفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول. (١)

فلما كان العقل مناط التكليف عللت هذه الوصية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي فوائد هذا التكليف ومنافعها في الدين والدنيا، وتعقلوا عظمها عند الله، وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ رجاء أن يعقلوا ويصيروا ذوي عقول لأن ملابسة بعض هذه المحرمات ينبئ عن حساسة عقل، بحيث ينزل ملابسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رجي أن يعقلوا. (٢)

المعلل الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٣١] في ختام آية سورة الإسراء تعليل آخر؛ ببيان أن المنهي عنه في نفسه منكر عظيم، ومعنى: ﴿خِطْأً كَبِيراً﴾ ذنباً وإثماً كبيراً؛ لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع، وأكَّد بـ ﴿إِنَّ﴾ رداً على أهل الجاهلية إذ كانوا يزعمون أن وأد البنات من السداد، ويقولون: دفن البنات من المكرات، كما أكَّد بفعل ﴿كَانَ﴾ للإشعار بأن كونه إثماً أمراً قد استقر. (٣)

الفوائد من تعليل خلق قتل الأبناء:

١. نهى عزَّجَلَّ عن قتل الأولاد لعلَّ الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب ولا يُفهم من هذا التعليل إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه. (٤)

٢. قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضد

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير النسفي (١/٥٤٧)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (٥/١٦٩)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/٣٣١)، تفسير البيضاوي (٣/٢٥٤)، التحرير والتنوير (١٥/٨٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن جزى (١/٢٨٠).

الشفقة على خلق الله تعالى وكلاهما مذموم.^(١)

٣. قرابة الأولاد قرابة الجزئية والبعضية، وهي من أعظم الموجبات للمحبة فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلظ شديد في الروح وقسوة في القلب، وذلك من أعظم الأخلاق الذميمة؛ فرغب الله في الإحسان إلى الأولاد إزالةً لهذه الخصلة الذميمة.^(٢)

٤. أشار التعليل في الآيات إلى أنه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعاً، كذلك يرزق الأبناء، على أن الفقر إنما اعترى الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء؟.^(٣)

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٠/٣٣٠-٣٣١).

(٢) المرجع السابق (٢٠/٣٣١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٨-أ/١٥٩).

المطلب الثالث: تعليل خلق قطيعة الرحم.

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: أنيط الحكم في الآيات وهو الفسق بعدة أوصاف كتنقض عهد الله من بعد ميثاقه، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام، والإفساد في الأرض بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ " وجملة الذين ينقضون إلى آخره صفة للفاسقين لتقرير اتصافهم بالفسق؛ لأن هاته الخلال من أكبر أنواع الفسوق بمعنى الخروج عن أمر الله تعالى" (١).

وأنيط بهذه الأوصاف كذلك حكم آخر وهو: الخسارة فهم الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية، واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها، واشتراء النقص بالوفاء، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب. (٢).

والخلق المذموم في الآية هو قطيعة الرحم وذلك قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ "والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية: الرحم. وقد بين ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٣٢) [محمد: ٢٢] وإنما عنى بالرحم، أهل الرحم الذين جمعتهم وإياه رحم والدة واحدة، وقطع

(١) التحرير والتنوير (١/٣٦٧).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (١/١٠٠)، تفسير البيضاوي (١/٦٥).

ذلك: ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها، وأوجب من برها، ووصلها: أداء الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجب لها، والتعطف عليها بما يحق التعطف به عليها" (١).



٢- قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه، وأنه لا يتولى إلى خير بل إلى شر، فقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) فهما أمران: إما التزام لطاعة الله، وامثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك وتول عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام، و﴿ هَلْ ﴾ في الآية دالة على التحقيق لأنها في الاستفهام بمنزلة ﴿ قَدْ ﴾ في الخبر، فالاستفهام للتقرير المؤكد، فإنه لو قال على سبيل الإخبار: عسيتم إن توليتم؛ لكان للمخاطب أن ينكره، فإذا قال بصيغة الاستفهام كأنه يقول أنا أسألك عن هذا وأنت لا تقدر أن تجيب إلا بلا أو نعم، فهو مقرر عندك وعندني. (٢)

وجاء مصداق هذه الآية فيما روي عن رسول الله ﷺ: "خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك"، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]. (٣)

(١) تفسير الطبري (١/٤١٥).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٨/٥٤)، تفسير السعدي (ص: ٧٨٨)، التحرير والتنوير (٢٦/١١٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦/١٣٤) برقم: (٤٨٣٠) (كتاب تفسير القرآن، باب وتقطعوا
← =

ثم علل سبحانه ذم من اتصف بهذه الأوصاف بذكر الجزاء على ذلك: ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات؛ إيداناً بأن ذكر هئاتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أبعدهم من رحمته لإفسادهم وقطعهم الأرحام، فمنعهم اللطافة وخذلهم ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وسائر ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وفيه ترتيب حسن، وذلك من حيث إنهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه فهم بالنسبة إليه صم أصمهم الله وعند الأمر بالعمل تركوه وعللوا بكونه إفسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهي عنه فلم يروا حالهم عليه وتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالإصلاح وصلة الأرحام ولو دعاهم من يأمر بالإفساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي أعماهم الله. (١)

واستعير الصمم لعدم الانتفاع بالمسموعات من آيات القرآن ومواعظ النبي ﷺ، كما استعير العمى هنا لعدم الفهم على طريقة التمثيل، وجاء التركيب ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ ولم يأت فأصم آذانهم كما جاء ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ولم يقل أعماهم قيل: لأن الأذن لو أصيبت بقطع أو قلع لسُمع الكلام فلم يحتج إلى ذكر الأذن، والبصر وهو العين لو أصيب لامتنع الإبصار فالعين لها مدخل في الرؤية والأذن لا مدخل لها في السمع، والآفة في غير هذه المواضع لما أضافها إلى الأذن سماها وقرأ، كما قال تعالى: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] وقال: ﴿كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧] والوقر دون الصمم. (٢)

= أرحامكم).

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى (٤/ ١٢٧)، تفسير الزمخشري (٤/ ٣٢٥)، تفسير الفخر الرازي

(٢٨/ ٥٥)، تفسير أبي السعود (٨/ ٩٩)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٥٥)، تفسير الألوسي (١٣/ ٢٢٥)، التحرير والتنوير (٢٦/ ١١٣).

الفوائد من تعليل خلق قطيعة الرحم:

١. الإسلام سبب لوصل الأرحام وحفظ الحقوق لذلك كأن الله تعالى يذكر منته عليهم بالإسلام حين جمعهم به وأكرمهم بالألفة، بعدما كانوا عليه من القتل والبغي وقطيعة الرحم، فيقول: لعلكم إذا كرهتم الإسلام تريدون أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه. (١)
٢. يدخل في حكم الآيات كل من كان بالصفة التي وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار، في نقض العهد وقطع الرحم والإفساد في الأرض. (٢)
٣. أخبر تعالى عما له في ضرب تلك الأمثال من الحكمة وهي إضلال من شاء وهداية من شاء ثم كأن سائلاً سأل عن حكمة الإضلال لمن يضل به بذلك فأخبر تعالى عن حكمته وعدله وأنه إنما يضل به الفاسقين: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧] فكانت أعمالهم هذه القبيحة التي ارتكبوها سبباً لأن أضلهم وأعمالهم عن الهدى. (٣)
٤. في الآيات إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما. (٤)

(١) التفسير الوسيط للواحي (٤/١٢٧).

(٢) تفسير الطبري (١/١١٤).

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/١٣٦).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦/١١٣).

المطلب الرابع: تعليل خلق ظلم الزوجات.

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ نُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

نوع التعليل: جملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: عذر جل ثناؤه الناس في شأن النساء فقال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي تمام العدل، وقيل: معناه أن تعدلوا في المحبة؛ لأن ذلك مما لا تملكونه وليس إليكم، فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته، وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبدلوا فيه وسعكم وطاقتم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حدّ الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وجاء سبحانه بـ ﴿لَنْ﴾ للمبالغة في النفي؛ لأن أمر النساء يغالب النفس؛ لأن الله جعل حسن المرأة وخلقها مؤثراً أشد التأثير، فرب امرأة لبية خفيفة الروح وأخرى ثقيلة حمقاء، فتفاوتهن في ذلك وخلو بعضهن منه يؤثر لا محالة تفاوتاً في محبة الزوج بعض أزواجه، ولو كان حريصاً على إظهار العدل بينهن، فلذلك قال ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (١).

ثم نهى عن: الميل كل الميل؛ وهو أن يفعل فعلاً يقصده من التفضيل وهو يقدر أن لا يفعله، فهذا هو ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ وإن كان في أمر حقير، فكأن الكلام ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ النوع الذي هو كل الميل وهو المقصود من قول أو فعل، أي لا يفرط أحدكم بإظهار الميل إلى إحداهن أشد الميل حتى يسوء الأخرى؛ وعلل ذلك بحيث تصير الأخرى كالمعلقة، والمعلقة: هي المرأة التي يهجرها زوجها طويلاً، فلا هي مطلقة ولا هي زوجة، وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء؛ لأنه لا على الأرض استقر ولا على ما علق

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٨٤)، تفسير الزمخشري (١/ ٥٧٢)، تفسير ابن عطية (٢/ ١٢٠)، التحرير والتنوير (٥/ ٢١٨).

منه انحمل^(١) ومنه قول المرأة في حديث أم زرع: "زوجي العشنق، إن انطلق أطلق، وإن أسكت أعلق"^(٢).

الفوائد من تعليل خلق ظلم الزوجات:

١. علل النهي عن ظلم الزوجات بذكر ما يؤول إليه من جناية على المرأة التي مال عنها الزوج؛ بحيث يصبح حالها كالمعلقة فلا هي مطلقة ولا هي متزوجة.

٢. الإنسان إذا لم يستطع العدل بينه وبين امرأته مع أن حقها معلوم، فكيف يستطيع أن يعدل بينه وبين رب العزة ونعمه لا تحصى وحقوقه لا تستقصى، كما قال تعالى: ﴿وَأِنْ نَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها﴾ [النحل: ١٨]، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "استقيموا ولن تحصوا"^(٣).

٣. علل تعالى عدم استطاعة الرجل التسوية بين نساءه في الأقوال والأفعال؛ بأن التفاوت في الحب يوجب التفاوت في نتائج الحب، والرجل ليس منهيًا عن حصول التفاوت في الميل القلبي؛ لأن ذلك خارج عن وسعه، ولكنه منهي عن إظهار ذلك التفاوت في القول والفعل.^(٤)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ١٨٤)، تفسير الزمخشري (١/ ٥٧٣)، تفسير ابن عطية (٢/ ١٢٠)، التحرير والتنوير (٥/ ٢١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧/ ٢٧) برقم: (٥١٨٩) (كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل)، ومسلم في "صحيحه" (٧/ ١٣٩) برقم: (٢٤٤٨) (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ١٨٤)، والحديث أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١/ ١٣٠) برقم: (٤٤٦) (كتاب الطهارة، لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولست أعرف له علة يعلل بمثله مثل هذا الحديث" ووافقه الذهبي.

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١١/ ٢٣٧).

المطلب الخامس: تعليل خلق العضل.

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَعَضُّوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل.

دراسة التعليل: نزلت هذه الآية دلالة على نهي الرجل مضارة وليته من النساء بعضلها ومنعها عن النكاح، وقد عرف من شأن الأولياء في الجاهلية وما قاربها الأنفة من أصهارهم عند حدوث الشقاق بينهم وبين ولاياهم، وربما رأوا الطلاق استخفافاً بأولياء المرأة وقلة اكرات بهم فحملتهم الحمية على قصد الانتقام منهم عند ما يرون منهم ندامة ورغبة في المراجعة، فالآية خطاب للأولياء بدلالة ما روي: "أن الآية نزلت في معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، فكانت عنده ما كانت، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويتها، ثم خطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع، أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبداً آخر ما عليك، قال: فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلمها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَعَضُّوهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ﴾ فلما سمعها معقل قال: سمعاً لربي وطاعة، ثم دعاه فقال: أزوجك وأكرمك".^(١)

فالمراد من هذه الآية مخاطبة أولياء النساء بالألا يمنعهن من مراجعة أزواجهن إذ قد علم أن المرأة إذا رأت الرغبة من الرجل الذي كانت تألفه وتعاشره لم تلبث أن تقرن

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٨٨/٥) برقم: (٢٩٨١) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

رغبته برغبتها؛ فإن المرأة سريعة الانفعال قريبة القلب، والخطاب الواقع في قوله ﴿طَلَقْتُمْ﴾ و﴿تَعْضُلُونَهَا﴾ ينبغي أن يحمل على أنه موجه إلى جهة واحدة دون اختلاف التوجه، فيكون موجهاً إلى جميع المسلمين، لأن كل واحد صالح لأن يقع منه الطلاق إن كان زوجاً، ويقع منه العضل إن كان ولياً.^(١)

وعُلل النهي بقوله عزَّجَلَّ: ﴿ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ والإشارة في ﴿ذَلِكَمُ﴾ إلى ترك العضل، ومعنى: ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أطيب للنفس وأنزه للعرض والدين، وذلك لعدة أسباب:

الأول: العلاقات التي تكون بين الأزواج وربما لم يعلمها الأولياء فيؤدي العضل إلى الفساد والمخالطة على ما لا ينبغي، والثاني: أنه لا يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون، والثالث: أنه أوفر للعرض؛ فأزكى دال على النماء والوفرة، وذلك أنهم كانوا يعضلونهم حميةً وحفاظاً على المروءة فأعلمهم الله أن عدم العضل أوفر للعرض؛ لأن فيه سعيًا إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالصهر والنسب فإذا كان العضل إباية للضميم، فالإذن لهن بالمراجعة حلم وعفو ورفاء للحال وذلك أنفع من إباية الضميم. والرابع: أنه أقطع لأسباب العداوات والإحسان والأحقاد بخلاف العضل الذي قصدتم منه قطع العود إلى الخصومة، والخامس: قوله: ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ إشارة إلى استحقاق الثواب الدائم، وقوله: ﴿وَأَطْهَرُ﴾ إشارة إلى إزالة الذنوب والمعاصي التي يكون حصولها سبباً لحصول العقاب، والسادس: أنه أزكى أي في أحوال الدنيا، وأطهر بمعنى السلامة من الذنوب في الآخرة، وجعل تعالى الدلالة على أن ذلك أزكى وأطهر أنه قد حكم بذلك وهو عالم بالأشياء كلها وأنتم غير عالمين بها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإذا علم وحكم فحق عليكم أن تقبلوا منه حكمه، ففي هذا التذييل إزالة لاستغرابهم حين تلقي هذا الحكم، لمخالفته

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/٥)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٧٨-٤٧٩)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٥-٤٢٦).

لعاداتهم القديمة، وما اعتقدوا نفعًا وصلاحًا وإبَاءً على أعراضهم، فعلمهم الله أن ما أمرهم به ونهاهم عنه هو الحق؛ لأن الله يعلم النافع، وهم لا يعلمون إلا ظاهراً، فمفعول يعلم محذوف أي والله يعلم ما فيه كمال زكاتكم وطهارتكم وأنتم لا تعلمون ذلك.^(١)



٢- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

نوع التعليل: لام العلة في قوله: ﴿لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ﴾.

دراسة التعليل: يعني بالآية جل ثناؤه: لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم، واختلف المفسرون في المنهي عن العضل في الآية ف قيل: المنهي عن العضل الزوج إذا لم يحتج إلى المرأة، فيمسكها رغبة في مالها، وقيل: بل الوارث المانع لها من التزوج على سنة الجاهلية، وقيل: بل الولي "وكل هؤلاء منهيون في الشرع عن العضل، فيصح أن يكون خطاباً لجماعتهم"^(٢) وتكرر ﴿لَا﴾ في الآية لتأكيد النفي أي لا ترثوهن ولا أن تمنعهن من التزويج.^(٣)

وذكر العلة من ذلك؛ وهي خشية أنهن إذا تزوجن يلدن فيرثهن أزواجهن وأولادهن ولم يكن للولي العاصب شيء من أموالهن، كما أن الأزواج كانوا يكرهون أزواجهم ويأبون أن يطلقوهن رغبةً في أن يمتن عندهم فيرثوهن فذلك إكراه لهن على

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٧٩)، تفسير البغوي (١/٣١٢)، تفسير ابن عطية (١/٣١٠)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٥٧)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٨).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١١٥١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/١١٥)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١١٥١)، تفسير البيضاوي (٢/٦٦)، تفسير النسفي (١/٣٤٣).

البقاء على حالة الكراهية إذ لا ترضى المرأة بذلك مختارة، والذهاب في قوله: ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مجاز في الأخذ. (١)

الفوائد من تعليل خلق العضل:

١. علل النهي عن العضل ببيان أن رد النساء إلى أزواجهن أفضل من التفرقة بينهم، فهو أطهر وأنقى لقلوبكم من الريبة لثلا يكون هناك نوع محبة، فيجتمعان على غير وجه صلاح. (٢)

٢. دلّ التعليل في قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على أن له أن يعضلها على غير هذه الصفة لمصلحة لها تتعلق بها أو بمالها. (٣)

٣. زكاة الإنسان وطهارته في حقيقة كونه يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة عظيم المثوبة، ولهذا قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَوَّجَ﴾ [الأعلى: ١٤]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشمس: ٩]. (٤)

٤. إذا جاء منع للمرأة عن النكاح فإنما يجيء من قبل الأولياء ولذلك لم يذكر الله ترغيب النساء في الرضا بمراجعة أزواجهن ونهى الأولياء عن منعهن من ذلك، رغم أمره المفارقين بإمساكهن بمعروف وترغيبهم في ذلك. (٥)

٥. قوله: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] شرط للنهي، لأن الولي إذا علم عدم التراضي بين الزوجين، ورأى أن المراجعة ستعود إلى دخل وفساد فله أن يمنع مولاته نصحا لها، وفي هذا الشرط إيماء إلى علة النهي: وهي أن الولي لا يحق له منعها مع

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٠٦).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣/ ٦٠٦).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٧٩).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٤٢٥-٤٢٦).

تراضي الزوجين بعود المعاشرة، إذ لا يكون الولي أدرى بميلها منها.^(١)

٦. عطف النهي عن العضل على النهي عن إرث النساء كرها لمناسبة التماثل في الإكراه وفي أن متعلّقه سوء معاملة المرأة، وفي أن العضل لأجل أخذ مال منهن.^(٢)



(١) المصدر السابق (٢/٤٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (٤/٢٨٤).

المطلب السادس:

تعليل خلق الإضرار بالمطلقات.

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْنُدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ [البقرة: ٢٣١].

نوع التعليل: في الآية ثلاثة معلّلات: الأول: المفعول لأجله ﴿ضِرَارًا﴾، والثاني: اللام ﴿لِنَعْنُدُوا﴾، والثالث: جواب الشرط ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

دراسة التعليل: كانوا يطلقون المرأة فيتركونها حتى تشارف انقضاء العدة، ثم يراجعونها لا عن حاجة، ولكن لتطويل العدة عليها فهذا هو الإمساك ضرارًا، والنهي عنه كالتوكيد لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وحكمة ذكر النهي: أن الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة، فلا يتناول كل الأوقات، أما النهي فإنه يتناول كل الأوقات، فلعله يمسكها بمعروف في الحال، ولكن في قلبه أن يضارها في الزمان المستقبل، ولينبه على ما كانوا يفعلونه من الرجعة ثم الطلاق ثم الرجعة ثم الطلاق على سبيل الضرار، فلما كان هذا أعظم أنواع المضارة أعيد حكم هذه الصورة تبيينًا على أن هذه الصورة أعظم الصور اشتمالًا على المضارة وأولاها بأن يحترز المكلف عنها.^(١)

فعلّ النهي عن الإمساك بالمرأة بقصد إضرارها بالمفعول له ﴿ضِرَارًا﴾ كما جاء تعليله باللام في قوله: ﴿لِنَعْنُدُوا﴾ وهي لام كي تعلقت بضرارًا فكانت علة للعلة، أي لتظلموهن بمجاوزتكم في أمرهن حدودي التي بيئتها لكم، أو لتلجئوهن إلى الافتداء، فلا

(١) تفسير الطبري (٨/٥)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٧٦-٤٧٧)، تفسير الزمخشري (١/٢٧٧)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٥٢-٤٥٣)، تفسير البحر المحيط (٢/٤٨٩).

تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فحينئذ تصيرون عصاة الله وتكونون متعمدين قاصدين لتلك المعصية ولا شك أن هذا أعظم أنواع المعاصي، وحذف مفعول تعتدوا؛ ليشمل الاعتداء عليهن وعلى أحكام الله تعالى، فتكون اللام مستعملة في التعليل والعاقبة، والاعتداء على أحكام الله لا يكون علة للمسلمين، فنزل منزلة العلة مجازاً في الحصول، تشبيهاً على المخالفين، فحرف اللام مستعمل في حقيقته ومجازاً. (١)

كما علل النهي في الآية بما ترتب عليه من جزاء فقال جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعني الإمساك على سبيل الضرار والعدوان ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ لأنه عرضها لعقاب الله وسخطه؛ لأن إتيان ما نهى الله عنه تعرض لعذاب الله، وجعل سبحانه ظلمهم نساءهم ظلماً لأنفسهم، لأنه يؤدي إلى اختلال المعاشرة واضطراب حال البيت وفوات المصالح بشغل الأذهان في المخاصمات. (٢)



٢- قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْكُمْ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَاطِرُكُمْ لِهُنَّ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦].

نوع التعليل: لام العلة وهي بمعنى كي؛ لدخولها على المضارع.

دراسة التعليل: نهى الله تعالى عن مضارة المطلقة وإيذائها في عدتها، بالتضييق عليها - مع وجود السعة - في المسكن والنفقة وقد يراد بالتضييق كذلك: التضييق المجازي وهو الحرج والأذى، وكلاهما مما يؤدي إلى خروجها من بيت زوجها وعدم

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/٥)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٥٣)، تفسير النسفي (١/١٩٢)، تفسير البحر المحيط (٢/٤٩٠)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٣).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (١/١٩٢)، تفسير البحر المحيط (٢/٤٩٠)، فتح القدير للشوكاني (١/٢٧٨)، التحرير والتنوير (٢/٤٢٣).

اعتدادها فيه، ومن صور المضارة في ذلك: إنزال من لا يوافقهن، أو يشغل مكانهن، أو غير ذلك، فأتبع سبحانه الأمر بإسكان المطلقات بالنهي عن الإضرار بهن في شيء مدة العدة من ضيق محل أو تقدير في الإنفاق "واللام في لتضييقوا عليهن لتعليل الإضرار وهو قيد جرى على غالب ما يعرض للمطلقين من مقاصد أهل الجاهلية، كما تقرر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِنَعْدُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣١] وإلا فإن الإضرار بالمطلقات منهي عنه وإن لم يكن لقصد التضييق عليهن"^(١) والمضارة: الإضرار القوي فكأن المبالغة راجعة إلى النهي لا إلى المنهي عنه، أي هو نهي شديد كالمبالغة في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] في أنها مبالغة في النفي، ومثله كثير في القرآن.^(٢)

الفوائد من تعليل الخلق الإضرار بالمطلقات:

١. دلّ التعليل في الآيات على أن كل إمساك لأجل الضرر والعدوان منهي عنه.^(٣)
٢. يظلم العاضل نفسه بتعريضها العذاب، أو بأن يفوت على نفسه منافع الدين من الثواب الحاصل على حسن العشرة، ومنافع الدنيا من عدم رغبة التزويج به لاشتهاره بهذا الفعل القبيح.^(٤)
٣. ما أشار إليه التعليل في آيات أحكام المطلقات من الإشفاق والتجمل؛ جدير بالتأمل.

(١) التحرير والتنوير (٣٢٧/٢٨).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحي (٣١٥/٤)، تفسير البغوي (١١١/٥)، تفسير الزمخشري (٥٥٨/٤)، زاد المسير في علم التفسير (٣٠١/٤)، تفسير البحر المحيط (٢٠١/١٠-٢٠٢)، التحرير والتنوير (٣٢٧/٢٨).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤٨٩/٢).

(٤) المصدر السابق (٤٩٠/٢).

الفصل الرابع

تعلييل الأخلاق الاجتماعية

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول: تعلييل الأخلاق الاجتماعية المحمودة.

❖ المبحث الثاني: تعلييل الأخلاق الاجتماعية المذمومة.

* * * * *

المبحث الأول

تعليل الأخلاق الاجتماعية المحمودة

وفيه واحد وعشرون مطلباً:

- المطلب الأول: تعليل خلق التثبث في الأحكام.
- المطلب الثاني: تعليل خلق رد الأمر إلى أولي الأمر، وعدم نشر الشائعات.
- المطلب الثالث: تعليل خلق غض الصوت.
- المطلب الرابع: تعليل خلق التشفع الحسن.
- المطلب الخامس: تعليل خلق التحية وردّها.
- المطلب السادس: تعليل خلق إصلاح ذات البين.
- المطلب السابع: تعليل خلق الكلمة الطيبة.
- المطلب الثامن: تعليل خلق التناصح.
- المطلب التاسع: تعليل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.
- المطلب العاشر: تعليل خلق غض البصر.

- المطلب الحادي عشر: تعليل خلق الاستئذان، والرجوع عند عدم الإذن.
- المطلب الثاني عشر: تعليل خلق إيفاء الكيل والميزان.
- المطلب الثالث عشر: تعليل خلق العدل.
- المطلب الرابع عشر: تعليل خلق الوفاء بالعهد.
- المطلب الخامس عشر: تعليل خلق الثبات والوحدة، وعدم التنازع.
- المطلب السادس عشر: تعليل خلق التفسح في المجالس.
- المطلب السابع عشر: تعليل خلق العفو عند المقدرة.
- المطلب الثامن عشر: تعليل خلق الإجارة.
- المطلب التاسع عشر: تعليل خلق الإحسان لليتامى.
- المطلب العشرون: تعليل الإنفاق بإحسان والتحلي بأخلاق المتصدقين.
- المطلب الحادي والعشرون: تعليل التحلي بأخلاق عباد الرحمن.

* * * * *

المطلب الأول: تعليل خلق التثبيت في الأحكام.

١ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ
فُصِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ [الحجرات:٦]

نوع التعليل: التعليل بأن؛ بمعنى: كراهة أو مخافة أن تصيبوا، أو لأجل ألا تصيبوا،
أو لئلا تصيبوا.^(١)

دراسة التعليل: تميّزت سورة الحجرات بما فيها من إرشاد المؤمنين إلى مكارم
الأخلاق، لا سيما في مجال الأخلاق الاجتماعية؛ وفي هذا النداء تحقّق السورة هذا
الغرض من أغراضها وهو آداب جماعات المؤمنين بعضهم مع بعض، وإعادة الخطاب بـ
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفصله بدون عاطف لتخصيص هذا الغرض بالاهتمام، وجاء
الشرط بحرف ﴿إِنْ﴾ الذي الأصل فيه أن يكون للشرط المشكوك في وقوعه؛ تنيهاً على
أن شأن فعل الشرط أن يكون نادر الوقوع لا يقدم عليه المسلمون.^(٢)

وتنكير فاسق ونباً للتعميم، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأيّ نبأ، والفسق: الخروج
عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة، كلها مظنة للكذب وموضع تثبت وتبين؛ لذا قال
سبحانه: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشف الحقيقة، ولا تعتمدوا
قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه، وقرأ
الجمهور ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبين، وقرئت (فتثبتوا) من التثبيت^(٣) والتثبت والتبين:

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحد (٤/١٥٢)، تفسير ابن عطية (٥/١٤٧)، تفسير البحر المحيط
(٩/٥١٣).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٣٦٠)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/٩٧)، تفسير البحر المحيط
(٩/٥١٣)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٢٨-٢٢٩).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (فتبينوا) بالياء والنون، وقرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا)
بالتاء والتاء. ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٢٣٦).

متقاربان، وهما طلب الثبات والبيان والتعرّف. (١)

ثم علّل الأمر بالتبين بالمفعول من أجله: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ أي: كراهة إصابتكم قوماً بجهلٍ أي جاهلين بحقيقة الأمر معتمدين على خبر الفاسق؛ ﴿فَنُصِّحُوا﴾: فتصيروا، ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من إصابة القوم بعقوبة بناء على خبر الفاسق، وتقديم المجرور على متعلقه ﴿نَادِمِينَ﴾ للاهتمام بذلك الفعل؛ وهو الإصابة بدون تثبت والتنبيه على خطر أمره، والندم: ضرب من الغم، وهو: أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام، ففي هذه الآية إشارة إلى أنه يجب عليه كلما تذكره أن يندم، لأن لفظ الندم ينبئ عن اللزوم، من الندام: وهو لزام الشريب ودوام صحبته؛ وفي التعليل بذكر الندم فوائد: إحداها: تقرير التحذير وتأكيده، ووجهه هو أنه تعالى لما قال: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ قال بعده وليس ذلك مما لا يلتفت إليه، ولا يجوز للعاقل أن يقول: هب أني أصبت قوماً فماذا علي؟ بل عليكم منه الهم الدائم والحزن المقيم، ومثل هذا الشيء واجب الاحتراز منه. والثانية: مدح المؤمنين، أي لستم ممن إذا فعلوا سيئة لا يلتفتون إليها بل تصبحون نادمين عليها. والثالثة: أنه تحذير من الوقوع فيما يوجب الندم شرعاً، أي ما يوجب التوبة من تلك الإصابة، فكان هذا كناية عن الإثم في تلك الإصابة، والخطاب في الآية وإن كان يتوجه ابتداءً للمؤمنين المخبرين - بفتح الباء - ولكن هذا الخطاب لا يترك المخبرين - بكسر الباء - بمعزل عن المطالبة بهذا التبين فيما يتحملونه من الأخبار، وبتوخي سوء العاقبة فيما يخلقونه من المختلقات. (٢)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٣٦٠)، تفسير ابن عطية (٥/١٤٧)، تفسير البيضاوي (٥/١٣٤)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٣١).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٣٦٠-٣٦١)، تفسير ابن عطية (٥/١٤٧)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/١٠٠)، حاشية الطيبي على الكشاف (١٤/٤٦٧) تفسير البحر المحيط (٩/٥١٣)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤).

الفوائد من تعليل خلق التثبث:

١. مما يترتب على تعليل الأمر بالتثبث في الآية أن المسلمين إذا كانوا بمنزلة عالية التبين والتثبث، كف الفاسق عن مجيئهم بما يريد.^(١)
٢. معنى تعليله بإصابة يقع آخرها الندم أن الإصابة علة تحمل على التثبث للتفادي منها؛ فلذلك كان معنى الكلام على انتفاء حصول هذه الإضافة؛ لأن العلة إذا صلحت لإثبات الكف عن فعل تصلح للإتيان بضده لتلازم الضد.^(٢)
٣. في قوله تعالى معللاً: ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ لطيفة، وهي أن الإصابة تستعمل في السيئة والحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩] لكن الأكثر أنها تستعمل فيما يسوء، لكن الظن السوء يذكر معه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [النساء: ٧٨] ثم حقق ذلك بقوله: ﴿فَنُصِِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] بيانا لأن الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً.^(٣)
٤. إنما كان الفاسق معرضاً خبره للريبة والاختلاق؛ لأن الفاسق ضعيف الوازع الديني في نفسه، وضعف الوازع يجرئه على الاستخفاف بالمحذور، وبما يخبر به في شهادة أو خبر يترتب عليهما إضرار بالغير أو بالصالح العام، ويقوي جرأته على ذلك دوماً إذا لم يتب ويندم على ما صدر منه ويقلع عن مثله.^(٤)
٥. لم يأمر سبحانه برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة، وإنما أمر بالتبين؛ فإن قامت قرائن وأدلة تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر.^(٥)

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٩/٥١٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٢٣٢).

(٣) تفسير الفخر الرازي (٢٨/٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦/٢٣١).

(٥) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٤٧٩).

**المطلب الثاني: تعليل خلق رد الأمر
إلى أولي الأمر، وعدم نشر الشائعات.**

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط "فقلوه" ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هو دليل جواب ﴿وَلَوْ﴾ وعلته " (١).

دراسة التعليل: في الآية تأديب من الله لعباده عن فعل غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن أو بالخوف فعليهم أن يشبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، وأهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، فالآية تحذر من نشر الشائعات في المجتمع المسلم ونقل الأخبار من غير توثق وفي الحديث: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" (٢).

وذكر سبحانه علة رد تلك الأخبار المهمة إلى أولي الأمر والعلم: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وهي صفة لأولي الأمر، وقد أوجب الله تعالى على الذين يجيئهم أمر من الأمن أو الخوف أن يرجعوا في معرفته إليهم؛ لكونهم هم الذين يبينونه للناس، وهم الذين يعرفون صحة هذا الأمر، وهل هو مما يذاع أو لا يذاع، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو أن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي:

(١) التحرير والتنوير (٥/ ١٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في "مقدمة صحيحه" (٨/ ١) برقم: (٥) مقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وقوله: ﴿مَنْهُمْ﴾ وصف للذين يستنبطونه وهم خاصة أولي الأمر من المسلمين، أي يردونه إلى جماعة أولي الأمر فيفهمه الفاهمون من أولي الأمر، وإذا فهمه جميعهم فأجدر.^(١)

فانتشار الشائعات والأخبار في المجتمع الإسلامي سبب للضرر من وجوه:

الأول: أن مثل هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب في الكثير الغالب.

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن ولم يتحقق يورث شبهة للضعفاء في صدق الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ - لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجافات عن الرسول ﷺ - وإن كان ذلك في جانب الخوف تشوش الأمر على المسلمين، ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب، فتكون تلك الإرجافات سبباً للفتنة من هذا الوجه.

والثالث: أن الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام، وذلك سبب لظهور الأسرار، وذلك مما لا يوافق المصلحة السياسية.

والرابع: أن العداوة قائمة بين المسلمين وبين الكفار، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين فإن انتشر الخبر وصل في أسرع مدة إلى الكفار، فأخذوا في التحصن من المسلمين، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم، وإن وقع خبر الخوف للمسلمين. فلهذه الوجوه وغيرها ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير، ومنعهم منه.^(٢)

الفوائد من تعليل خلق رد الأمر إلى أولي الأمر وعدم نشر الشائعات:

١. في التعليل نهي لمذيعي الأخبار وناشري الشائعات عن الاستنباط بالتخمين والنظر، وحث للمسلمين على رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم.^(٣)

(١) ينظر: ينظر: تفسير الزمخشري (١/٥٤١)، تفسير السعدي (ص: ١٩٠)، التحرير والتنوير (٥/١٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٠/١٥٣-١٥٤).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١٣٥٢).

٢. التعليل في الآية دليل لقاعدة أخلاقية: وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.^(١)



(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٩٠).

المطلب الثالث: تعليل خلق غض الصوت.

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

[لقمان: ١٩].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن.

دراسة التعليل: لما نهى لقمان ابنه عن الخلق الذميم: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨] - وعدم ذلك قد يكون بضده وهو الذي يخالف غاية الاختلاف، وهو مشي المتماوت الذي يرى من نفسه الضعف ترهدًا - أمره بالخلق الكريم؛ فقال: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: كن وسطا بين الطرفين المذمومين، بحيث لا يبطئ، كما يفعل المتعاجبون، ولا يسرع، كما يفعل الخرق المتهور، كما أمره بغض صوته: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ وخفض من صوتك، فاجعله قصداً إذا تكلمت، والغض: نقص قوة استعمال الشيء. يقال: غض بصره، إذا خفض نظره فلم يحدق، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فغض الصوت: جعله دون الجهر، وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت ومنه قول الشاعر مادحاً:

جَهْرُ الْكَلَامِ جَهْرُ الْعَطَا سِ جَهْرُ الرُّوَاءِ جَهْرُ النَّغَمِ^(١)

فنهى الله تعالى عن هذه الخلق الجاهلي، وجيء بـ ﴿مِنْ﴾ الدالة على التبعية؛ لإفادة أنه يغض بعضه، أي بعض جهره، أي ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار.^(٢)

(١) البيت للعماني الراجز، شاعر عباسي، وهو من بحر المتقارب. ينظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد (١٢١/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤٦/٢٠)، تفسير ابن عطية (٣٥١/٤-٣٥٢)، تفسير الفخر الرازي (١٢٢/٢٥)، تفسير البحر المحيط (٤١٦/٨)، التحرير والتنوير (١٦٨/٢١).

وجملة: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ تعليل للأمر على أبلغ وجه باعتبارها متضمنة تشبيهاً بليغاً؛ أي لأن صوت الحمير أنكر الأصوات، ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير فله حظ من النكارة، ومعنى ﴿أَنْكَرَ﴾: أقبح وأخشن، وسبب تخصيص صوت الحمار بالذكر إضافة إلى فظاعة صوت نهيقه؛ هو أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور، و﴿أَنْكَرَ﴾ عبارة تجمع المذام اللاحقة للصوت الجهير، وإنما جمع الحمير في نظم القرآن مع أن صوت مفرداً ولم يقل الحمار؛ لأن المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيد، والحمار مثلاً في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نُهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديه من اسمه أنهم يكون عنه ويرغبون عن التصريح به، فيقولون: "الطويل الأذنين" كما يكنى عن الأشياء المستقدرة. (١)

وقد جاء في الحديث الشريف الأمر بالتعود عن سماع نهيق الحمار فقال ﷺ: "إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً". (٢)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٩٨)، تفسير ابن عطية (٤/٣٥١)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٢٣)، تفسير أبي السعود (٧/٧٣)، التحرير والتنوير (٢١/١٦٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/١٢٨) برقم: (٣٣٠٣) (كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال)، ومسلم في "صحيحه" (٨/٨٥) برقم: (٢٧٢٩) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك).

الفوائد من تعليل خلق غض الصوت:

١. في التعليل بتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة؛ مبالغةً شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التشييط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبه على أنه من كراهة الله بمكان. (١)

٢. سبب ذكر العلة المانعة من رفع الصوت وعدم ذكر العلة المانعة من سرعة المشي: أن المشي والصوت كلاهما موصلان إلى شخص مطلوب إن أدركه بالمشي إليه فذاك، وإلا فيوقفه بالنداء، فنقول رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن وأما السرعة في المشي فلا تؤذي أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار، كما أن المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك المشي. (٢)

٣. غض الصوت أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه. (٣)

٤. الجواب عن قولهم: كيف يفهم كون صوت الحمير أنكر مع أن مس المنشار بالمبرد وحت النحاس بالحديد أشد تنفيراً؟ من وجهين أحدهما: أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم، والثاني: أن ما ذكرتم في أكثر الأمر لمصلحة وعمارة فلا ينكر، بخلاف صوت الحمير فلذلك علل به. (٤)

٥. كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات، فرد عليهم بأنه لو كان خيراً، فُضِّل به الحمير. (٥)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٩٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٢٣).

(٣) تفسير ابن عطية (٤/٣٥١).

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٢٣).

(٥) تفسير البحر المحيط (٨/٤١٧).

٦. واقصد في مشيك: إشارة إلى الأفعال، واغضض من صوتك: إشارة إلى الأقوال، فنبه على التوسط في الأفعال، وعلى الإقلال من فضول الكلام.^(١)



(١) المصدر السابق.

المطلب الرابع: تعليل خلق التشفع الحسن.

١- قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ [النساء: ٨٥]

نوع التعليل: جملة جواب الشرط.

دراسة التعليل: في الآية حث على التشفع الحسن وتحذير من التشفع السيء، بيان ما يلقاه كل من المتشفعين من الجزاء، والشفاعة: هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع أو خلاصه من مضرة ما سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا، والشفاعة الحسنة: هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير، وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق. والسيئة: ما كانت بخلاف ذلك، فمن شفّع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير كان له نصيب وثواب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومن عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل - وهو النصيب - من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ أي: مقتدرًا شهيدًا حافظًا، الجملة تذييل مقرر لما قبلها لإفادة أن الله يجازي على كل عمل بما يناسبه من حسن أو سوء.^(١)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٥٤٣)، تفسير الفخر الرازي (١٠/١٦٠)، تفسير البيضاوي (٢/٨٧)، تفسير أبي السعود (٢/٢١٠)، تفسير السعدي (ص: ١٩٠)، التحرير والتنوير (٥/١٤٣-١٤٤).

الفوائد من تعليل خلق التشفع الحسن:

١. في التعليل الوارد في الآية دليل على تحمل العبد عواقب أفعاله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

٢. في التعليل تنبيه على أن الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عند الله تعالى.^(١)

٣. التعليل في الآية يفيد الترغيب في قبول الشفاعة الحسنة ورد الشفاعة السيئة.^(٢)



(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٠/١٦٠).

(٢) المصدر السابق (٥/١٤٥).

المطلب الخامس: تعليل خلق التحية وردّها.

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

[النساء: ٨٦].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن.

دراسة التعليل: هذه الآية من آداب الإسلام: علم الله بها أن يردوا على المسلم بأحسن من سلامه أو بما يماثله، وقد دل قوله: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ على الأمر بوجوب رد السلام لأن الأمر يدل على الوجوب، وذيلت الآية بالتعليل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ وفي معنى الحسيب أقوال^(١):

الأول: أنه بمعنى المحاسب على العمل، كالأكيل والشريب والجلس بمعنى المؤاكل والمشارب والمجالس، يكون التذليل وعدًا بالجزاء على قدر فضل رد السلام، أو بالجزاء السيء على ترك الرد من أصله، فهو سبحانه يحاسب على كل شيء من الأعمال التي من جملتها التحية.

الثاني: أنه بمعنى الكافي في قولهم: حسيب كذا أي كافي، ومنه قوله تعالى: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩، الزمر: ٣٨]، والمقصود منه الوعيد، فقد بين تعالى في سورة النساء أن الواحد منهم قد كان يسلم على الرجل المسلم، ثم إن ذلك المسلم ما كان يتفحص عن حاله، بل ربما قتله طمعا في سلبه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/٦٦٩)، تفسير الزمخشري (١/٥٤٤)، تفسير الفخر الرازي (١٠/١٦٣ -

١٦٦)، تفسير أبي السعود (٢/٢١١)، التحرير والتنوير (٥/١٤٥-١٤٧).

خَيْرًا ﴿٩٤﴾ [النساء: ٩٤] فالله تعالى زجر عن ذلك وبين أنه الكافي في إيصال جزاء الأعمال وهذا يدل على شدة العناية بحفظ الدماء والمنع من إهدارها.

الثالث: أنه بمعنى العليم وهو صفة مشبهة: من حسب - بكسر السين - الذي هو من أفعال القلب، فيكون التذييل لقصد الامتنان بهذه التعليمات النافعة.



٢- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ [النور: ٦١].

نوع التعليل: المصدر المفعول له ﴿تَحِيَّةً﴾.

دراسة التعليل: حث سبحانه في الآية على التحية وإلقاء السلام عند دخول البيوت، في معنى قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على أهله ومن في بيته. القول الثاني: أن معنى الآية: ليسم بعضكم على بعض إذا دخلتم بيوتكم. القول الثالث: أن هذا في دخول البيوت الخالية، والسلام مشروع في الحالات الثلاث، فلا تناقض بين الأقوال ويمكن الجمع بينها، والسلام: تحية الإسلام، وهو من جوامع الكلم؛ لأن المقصود من التحية أحد أمرين: تأنيس الداخل إما بتأمينه إن كان لا يعرفه، أو باللطف له إن كان معروفًا، ولفظ السلام يجمع المعنيين.^(١)

وعُمل الأمر بالسلام بالمصدر: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ووصفها بالبركة والطيب؛ لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير

(١) ينظر: التفسير البسيط (١٦ / ٣٨١-٣٨٣)، تفسير البحر المحيط (٧٣ / ٨).

وطيب الرزق، والبركة: ووفرة الخير، وإنما كانت هذه التحية مباركة؛ لما فيها من نية المسالمة وحسن اللقاء والمخالطة وذلك يوفر خير الأخوة الإسلامية. والطيبة: ذات الطيب، وهو النزاهة والقبول في نفوس الناس ووجه طيب التحية: أنها دعاء بالسلامة وإيدان بالمسالمة والمصافاة.^(١)

الفوائد من تعليل خلق التحية وردّها:

١. علل الأمر برد التحية بمثلها أو أحسن منها بكون الله يجازي على كافة الأعمال، ومنها رد التحية.

٢. قول الإنسان لغيره: السلام عليك فيه بشارة بالسلامة، وقوله: حياك الله لا يفيد ذلك، فكان هذا أكمل، ولذا جاء التعليل مؤكداً عليه.^(٢)

٣. إذا قال: السلام عليكم كان الابتداء واقعاً بذكر الله، فإذا قال المجيب: وعليكم السلام كان الاختتام واقعاً بذكر الله، وهذا يطابق قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وأيضاً لما وقع الابتداء والاختتام بذكر الله فإنه يرجى أن يكون ما وقع بينهما يصير مقبولاً ببركته، ولذا جاء التعليل مؤكداً على هذا اللفظ.^(٣)

٤. علل حث المسلم على السلام بما فيه من البركة والأجر والثواب من الله تعالى.

(١) ينظر: تفسير البحر المحیط (٧٣/٨)، التحرير والتنوير (١٨/٣٠٤-٣٠٥).

(٢) تفسير الفخر الرازي (١٠/١٦١).

(٣) المصدر السابق (١٠/١٦٣-١٦٤).

المطلب السادس: تعليل خلق إصلاح ذات البين.

١ - قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

نوع التعليل: ترتيب الحكم والجزاء على وصف.

دراسة التعليل: رتب الحكم وهو عدم الخيرية على وصف وهو النجوى المذمومة، والاستثناء فيه يدل على خيرية النجوى المحمودة، ورتب الجزاء وهو الأجر العظيم على من يفعل ما ذكر من الأمور الصالحة، ومنها الإصلاح بين الناس.

والنجوى: الكلام الخفي أو الذي يكون في خلوة وغالبًا ما يكون بين اثنين أو ثلاثة أو خمسة أو نحو ذلك، وقد نفى الخير عن كثير من نجواهم ثم استثنى تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ النَجْوَى المذمومة: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وإنما ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة من أعمال الخير عموماً؛ لأن عمل الخير إما أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة.

أما إيصال النفع فإما أن يكون مادياً وهو إعطاء المال وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ وإما أن يكون معنوياً وهو الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ ثم أخبر جل ثناؤه بجزاء من فعل ذلك فقال معللاً: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس طالباً رضى الله بفعله ذلك فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغ ما سمى الله عظيمًا، واسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه؛ للإيدان ببعد منزلة هذه الأعمال ورفعة شأنها. (١)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠١/٩-٢٠٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (١٤٨/٤-١٥٠)، تفسير الفخر الرازي (٢١٨/١١)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٢)، التحرير والتنوير (١٩٩/٥).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْنِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن " وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تعليل للأمر بالإصلاح بين الطائفتين من المؤمنين والتعليل إنما يؤتى به فيثبت المعلل ويقرره" (١).

دراسة التعليل: لما حذر الله المؤمنين في الآيات السابقة من النبأ الصادر من الفاسق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦] أشار إلى ما يلزم من سماع خبره من اقتتال طائفتين من المؤمنين، فأمر سبحانه بإزالة ما أثبتته ذلك الفاسق وذلك بالإصلاح بين الطائفتين، ومقاتلة الباغية منهما، وأشارت جملة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ إلى وجه وسبب وجوب الإصلاح بين الطائفتين ببيان أن الإيمان قد عقد بين أهله ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية، ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاققة بين الأخوين نهض بقية الإخوة إلى إزاحتها فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما، فالأخوة في الدين أحق بذلك وجيء بصيغة القصر ﴿إِنَّمَا﴾ المفيدة لخصر حالهم في حال الإخوة؛ مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين. (٢)

وقد أكدت هذه الأخوة بقول النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة". (٣)

(١) حاشية الطيبي على الكشاف (١٤/٤٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٣٦٤-٣٦٦)، تفسير الرازي (٢٨/١٠٥-١٠٦)، تفسير أبي السعود (٨/١٢٠-١٢١)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٤٣-٢٤٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/١٢٨) برقم: (٢٤٤٢) (كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، ومسلم في "صحيحه" (٨/١٨) برقم: (٢٥٨٠) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم).

الفوائد من خلق إصلاح ذات البين:

١. دل التعليل بترتيب الخيرية، والأجر العظيم على إصلاح ذات البين عند وقوع المشاقة والمعادة بينهم على عظم شأن هذه الخصلة، وشدة تحريض الشارع عليها.
٢. لما كان التناجي مكروها في الأصل حتى قال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠] صار ذلك من الأفعال التي تقبح ما لم يقصد به وجه محمود؛ ومن أجل الأوجه المحموده: إصلاح ذات البين. (١)
٣. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة. (٢)
٤. في التعليل بـ ﴿إِنَّمَا﴾ دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين؛ لأن شأن ﴿إِنَّمَا﴾ أن تجيء لخبر لا يجمله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل منزلة ذلك. (٣)
٥. تخصيص الاثنین بالذكر ﴿أَخَوِيكُمْ﴾ لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بالطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه. (٤)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/١٤٩)

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٢٤٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/٢٤٣).

(٤) تفسير أبي السعود (٨/١٢٠-١٢١).

المطلب السابع: تعليل خلق الكلمة الطيبة.

١ - ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا ﴾

مُيِّنًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣]

نوع التعليل: التعليل بجملته إن "قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يكون تعليلًا للأمر" (١).

دراسة التعليل: في الآية تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه، حيث أمر سبحانه المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب وخفض الجناح وإلانة القول، بأن يقولوا أقوالاً تعرب عن حسن النية وعن نفوس زكية، وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقيل في معنى القول الحسن: القول للمؤمن يرحمك الله وللكافر هداك الله، وقد أمر جل في علاه عباده أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، وأن يجتنبوا قبيحها، والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول؛ لأن القول ينم عن المقاصد، بقرينة التعليل في قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ والنزغ: أصله الطعن السريع، واستعمل هنا في الإفساد السريع الأثر. كما قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠] ومعنى التعليل: أن الشيطان يسوء محاوره بعضهم بعضاً، ليهيج الشر، ويلقى بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والنزاع وإفساد ذات البين، والمقصود من التعليل: أن لا يستخفوا بفساد الأقوال فإنها تثير مفسد من عمل الشيطان، ولما كان ضمير ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عائداً إلى عبادي كان المعنى التحذير من إلقاء الشيطان العداوة بين المؤمنين تحقيقاً لمقصد

(١) حاشية الطيبي على الكشاف (٣١٦/٩)، وينظر: تفسير أبي السعود (٥/١٧٨)، التحرير والتنوير (١٣٢/١٥).

الشريعة من بث الأخوة الإسلامية.^(١)

ومما يؤكد أهمية حفظ اللسان ما ورد في الحديث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: "أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروته سنامه فالجهاد في سبيل الله، وإن شئت أنبأتك بملاك ذلك كله قال: فقلت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فأهوى بإصبعه إلى فيه قال: فقلت: يا رسول الله، وإننا لنؤاخذ بما نقول بألسنتنا؟ قال: ثكلتك أمك ابن جبل هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟"^(٢)

الفوائد من تعليل خلق الكلمة الطيبة:

١. المقصود من تعليل الأمر بالكلمة الطيبة: أن لا يستخفوا بفساد الأقوال فإنها تثير مفسد من عمل الشيطان.^(٣)

٢. بين التعليل ما يتلمسه الشيطان من سقطات اللسان، ليغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تقطع عليه الطريق، وتحفظ جناب الأخوة آمناً من نزعاته ووسوسته ونفثاته.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٦٩/١٧)، تفسير ابن عطية (٤٦٤/٣)، تفسير النسفي (٢/٢٦١)، تفسير البحر المحيط (٦٧/٧)، التحرير والتنوير (١٥/١٣١-١٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٤١٢/٢) برقم: (٣٥٦٩) (كتاب التفسير، ذكر معظمات الأعمال الصالحات وجزائها من الله تعالى) مطولاً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) التحرير والتنوير (١٥/١٣٢).

المطلب الثامن: تعليل خلق التناصح.

١- قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف، "ويجوز جعل جملة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حالاً من أمة، والواو للحال".^(١)

دراسة التعليل: رتب الجزاء في الآية وهو الفلاح الديني والأخروي، على وصف وهو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيقول جل ثناؤه: ولتكن منكم أيها المؤمنون جماعة يدعون الناس إلى الخير، وهو: الإسلام وشرائعه، ويأمرون بالمعروف وهو ما يستحسنه العقل ويرد به الشرع، وينهون عن المنكر وهو ما يستقبحه العقل ويحظره الشرع، والدعاء إلى الخير عام في التكليف من الأوامر والنواهي فهو عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه مع اندراجهما فيه؛ إيداناً بفضلهما، كقوله: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وهو من عطف الخاص على العام، ثم يرتب سبحانه الجزاء على من التزم ذلك بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني: المُنَجِّحُونَ عند الله الباقون في جناته ونعيمه، وجملة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ معطوفة على صفات أمة وهي التي تضمنتها جمل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والتقدير: وهم مفلحون: لأن الفلاح لما كان مسبباً على تلك الصفات الثلاث جعل بمنزلة صفة لهم، والمقصود بشارتهم بالفلاح الكامل إن فعلوا ذلك، وأشير إليهم بـ: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ وما فيه من معنى البعد؛ للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل،

(١) التحرير والتنوير (٤/٤٢).

وضمير الفصل في: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يؤكد نسبة الفلاح إليهم، ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، أي هم الأخصاء بكمال الفلاح، فمفاد هذه الجملة قصر صفة الفلاح عليهم.^(١)



٢- قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف "هذا كلام مستأنف، والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية.... وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف، فهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات.... فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات".^(٢)

ويصح أن تكون الجملة الحالية كذلك معللة في هذه الآية "قوله ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حال من ضمير كنتم، فهو مؤذن بتعليل كونهم خير أمة، فيترتب عليه أن ما كان فيه خيريتهم يجدر أن يفرض عليهم، إن لم يكن مفروضا من قبل، وأن يؤكد عليهم فرضه، إن كان قد فرض عليهم من قبل"^(٣).

دراسة التعليل: يخاطب تعالى الأمة بأنكم كنتم في اللوح المحفوظ فيما قضيت وقدرت وبنيت عليه الشرائع خير الأمم وأفضلهم، وعلة تخصيص هذه الأمة بخصائص

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/٩٠-٩١)، تفسير الراغب الأصفهاني (٢/٧٧٠-٧٧١)، تفسير الزمخشري (١/٣٩٦-٣٩٨)، تفسير أبي السعود (٢/٦٧-٦٨)، التحرير والتنوير (٤/٣٧ + ٤٠-٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٨/٣٢٥).

(٣) التحرير والتنوير (٤/٤٨)، وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/٧٩٣).

الاعتناء والتكريم ظاهرة في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ولتقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان في الآية وجهان:
الأول: أن الإيمان بالله أمر مشترك فيه بين جميع الأمم المُحَقَّقة، والمؤثر في حصول الخيرية هو كون هذه الأمة أقوى حالاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الأمم، فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان.

أما الثاني: لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما الأهم في هذا المقام المسوق للتبويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاهتمام الذي هو سبب التقديم يختلف باختلاف مقامات الكلام ولا ينظر فيه إلى ما في نفس الأمر لأن إيمانهم ثابت محقق من قبل.^(١)



٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ لِّرَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

نوع التعليل: في الآية تعليان:

١/ المفعول لأجله "﴿مَعذِرَةٌ﴾ أي نعظهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له".^(٢)

٢/ لعل "وقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ علة ثانية للاستمرار على الموعدة أي رجاء لتأثير الموعدة فيهم بتكرارها".^(٣)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٩٠)، تفسير الفخر الرازي (٨/ ٣٢٣-٣٢٥)، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١/ ٢٠)، التحرير والتنوير (٤/ ٥٠-٥١).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/ ٢٨٥).

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ١٥١).

دراسة التعليل: يذكر تعالى في الآية علتين من العلل التي حملت الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر على الإقدام على هذه الشعيرة وهما^(١):

الأولى: العذر من رب العالمين ﷻ، فمعنى كلامهم: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله، قيام منا بعذر أنفسنا إليه، ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط.

الثانية: رجاء تقوى المنصوحين لعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فنيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم في السبت.



٤ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَبْنَا آلَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

نوع التعليل: التعليل بترتيب الحكم على الوصف، ويصح أن يكون التعليل بجملة صلة الموصول.

دراسة التعليل: في الآية ترتيب الحكم وهو النجاة على وصف وهو النهي عن المنكر والسوء، وفيها كذلك ما تفيد جملة صلة الموصول من العلية وبيان سبب النجاة. فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها به، من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها، فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن ﴿السُّوءِ﴾ يعني عن معصية الله واستحلال حرمه، وأخذ الله الظالمين المرتكبين للمنكر الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله، وأهلكهم بعذاب شديد بئس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو الفسق، فكان سبب إنجاء الناجين إذن هو نهيمهم عن السوء وقيامهم بتلك الشعيرة العظيمة وهي: الأمر

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/١٨٥)، تفسير الزمخشري (٢/١٧١)، تفسير الفخر الرازي (١٥/٣٩٢)، التحرير والتنوير (٩/١٥١-١٥٢).

بالمعروف والنهي عن المنكر، فلفظ الآية يدل على أن الفرقة المتعدية هلكت، والفرقة
الناهية عن المنكر نجت. (١)



٥ - قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَعْمَرَ الصَّلَاةَ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ
إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن "والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من
الأمر والنهي". (٢)

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآية جملة من الوصايا التي حثَّ عليها لقمان ابنه،
فلما نهاه أولاً عن الشرك: ﴿وإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لِأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وأخبره ثانياً بعلمه تعالى وباهر قدرته: ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]
أمره في هذه الآية بما يتوسل به إلى الله من الطاعات؛ فبدأ بأشرفها، وهو الصلاة، حيث
يتوجه إليه بها، ثم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه إذا كمل في نفسه بعبادة الله
كامل غيره، وهذا شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء، كما أمره بالصبر على ما يصيبه من
المحن جميعها، أو على ما يصيبه بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قد
يتعرض لأذى بعض الناس، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر أو شك أن يتركهما. (٣)

ووجه تخصيص هذه الطاعات: أنها أمهات العبادات، وعماد الخير كله، وهذه
الآية تدلُّ على قِدَمِ هذه الطاعات، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم، وأن الصلاة لم

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/١٩٩)، تفسير الزمخشري (٢/١٧١)، تفسير الفخر الرازي (١٥/٣٩٢).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٧/٧٢).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٢٥/١٢١)، تفسير البحر المحيط (٨/٤١٥) التحرير والتنوير (٢١/١٦٥).

تزل عظيمة الشأن، سابقةً على ما سواها، موصى بها في الأديان كلها. (١)

وجاء التعليل في هذه الآية بجملة: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ والإشارة بقوله ذلك إلى ما تقدم من الطاعات المذكورة، مما نهاه عنه وأمره به، ومن عزم الأمور أي: مما جعله الله عزيمة، وأوجبه على عباده من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة؛ فقد يتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه بنقص أو أذى، فليصبر وليحتسب فإن ذلك من أحسن الأمور وأصلحها لحاله وماله، وقد دلّ التأكيد بأنّ على الاهتمام. (٢)



٦- قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على وصف.

دراسة التعليل: رتب الحكم وهو عدم الخسران، على وصف وهو الإيمان وعمل الصالحات والتواصي على الخير.

فقد أقسم سبحانه في الآيات على أن ابن آدم لفي هلكة ونقصان، فقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ والخسر: مصدر وهو ضد الربح في التجارة، استعير هنا لسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقبة حسنة، واستثنى تعالى من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق: أي بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه. والتواصي بالصبر، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور؛ وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذكره التواصي بالحق والتواصي بالصبر وإن كان ذلك من عمل الصالحات،

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٩٧)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٥).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/٤١٥)، تفسير البيضاوي (٤/٢١٥)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٥)، التحرير والتنوير (٢١/١٦٦).

عطف الخاص على العام؛ للاهتمام به لأنه قد يغفل عنه، وقال سبحانه ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ ولم يقل: ويتواصون؛ لئلا يقع أمراً بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي، وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل.^(١)

الفوائد من تعليل خلق التناصح:

١. علل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتعليق الفلاح عليه، وجعله حصراً على أهله، مما يدل على عظيم فضله.

٢. مما يدل على خيرية الأمة التزامها بالسبب الذي فضلت فيه على الناس: وهو شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. قد يكون المستفهم عنه من نوع العلل كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَعْظُونَنَّا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] والاستفهام فيها إنكاري في معنى النفي، يدل على انتفاء جميع العلل التي من شأنها أن يوعظ لتحصيلها.^(٢)

٤. دل التعليل في سورة العصر على أن الناس فريقان: فريق يلحقه الخسران، وفريق لا يلحقه، فالذين تواصوا بالحق من الذين لا يلحقهم الخسران بحال.

٥. معنى تفضيل الأمة بالأمر بالمعروف مع كونه من فروض الكفايات لا تقوم به جميع أفراد الأمة أن لا يخلو مسلم من القيام بما يستطيع القيام به من هذا الأمر، أو لوجود طوائف القائمين بهذا الأمر في مجموع الأمة أو جب فضيلة لجميع الأمة، لكون هذه الطوائف منها كما كانت القبيلة تفتخر بمحامد طوائفها، وفي هذا ضمان من الله تعالى بأن ذلك لا ينقطع من المسلمين إن شاء الله تعالى.^(٣)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/٥٩٠)، تفسير الزمخشري (٤/٧٩٤)، تفسير الفخر الرازي (٣٢/٢٨٢)، التحرير والتنوير (٣٠/٥٣١-٥٣٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٥١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٤/٤٩).

المطلب التاسع: تعليل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

١- قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

نوع التعليل: في الآية جملتان معللتان:

الأولى: جملة صلة الموصول وإناطة حكم الجدال بالوصف الوارد فيها ﴿بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

الثانية: جملة إن "﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾" هذه الجملة تعليل للأمر بالاستمرار على الدعوة بعد الإعلام بأن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله، وبعد وصف أحوال تكذيبهم وعنادهم" (١).

دراسة التعليل: جعل الله سبحانه مراتب الدعوة في الآية بحسب مراتب الخلق (٢):

- فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة أي بوحى الله وكتابه، والحكمة: المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة.

- والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة وهي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير. وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها، ووصفها بالحسن تحريض

(١) التحرير والتنوير (١٤/٣٣٢)، وينظر: تفسير أبي السعود (٥/١٥١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٣٢١-٣٢٢)، تفسير الزمخشري (٢/٦٤٤)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/٢٨٦-٢٨٨)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٣٥٩)، التحرير والتنوير (١٤/٣٢٦-٣٣٠).

على أن تكون لينة مقبولة عند الناس، أي حسنة في جنسها، وإنما تتفاضل الأجناس بتفاضل الصفات المقصودة منها.

- والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن، والمجادلة: الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك، وقد دلت الصلة على أن الجدل المأمور به هو الجدل بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولم يعطف مصدر المجادلة على الحكمة والموعظة بأن يقال: والمجادلة بالتي هي أحسن، بل جيء بفعلها؛ تنبيهاً على أن المقصود تقييد الإذن فيها بأن تكون بالتي هي أحسن، والمعنى: إذا ألجأتك الدعوة إلى محاجة المشركين فحاججهم بالتي هي أحسن، والمفضل عليه المحاجة الصادرة منهم، فإن المجادلة تقتضي صدور الفعل من الجانبين، فعلم أن المأمور به أن تكون المحاجة الصادرة منه أشد حسناً من المحاجة الصادرة منهم، كقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقد عللت هذه الطرق الثلاث بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ والمعنى: إنك مكلف بالدعوة إلى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة، فأما حصول الهداية فلا يتعلق بك، لأن ربك هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل وحاد الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكاً قصد السبيل ومحجة الحق، وهو مجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه.

الفوائد من تعليل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

١. لما كان غرض الداعي إلى الله هداية المدعوين، علل سبحانه وجوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بأن الهداية في يده عزَّجَلَّ، وليس على الداعي سوى البلاغ ملتزماً بتلك المراتب الثلاث وآدابها.

٢. من الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات وهي المقبولة من الصناعات، وأما السفسطة والشعر فيربأ عنهما الحكماء الصادقون بله الأنبياء والمرسلين.^(١)



(١) التحرير والتنوير (١٤/٣٣١).

المطلب العاشر: تعليل خلق غض البصر.

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]

نوع التعليل: في الآية معلان: أولهما: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، والثاني: جملة إن.

دراسة التعليل: يرشد سبحانه عباده في الآية إلى غض البصر؛ وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباحة النفس عن التطلع إلى ما قد يقعها في الحرام، أو ما يكلفها صبراً شديداً عليها، فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل للمؤمنين يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه مما قد نهاهم الله عن النظر إليه، ويحفظوا فروجهم عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها، وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته.^(١)

ثم علل الأمر بغض البصر بأنه أزكى؛ أي أظهر لهم من الذنوب وأنمي للأعمال الصالحة، وكيف لا يكون أظهر وهو سد لباب الفواحش والمفاسد، فالمقصود بهذا الحكم وتعليله: حماية النسل، والأعراض، والأنفس.^(٢)

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥٤/١٩)، تفسير البحر المحيط (٣٣/٨)، تفسير السعدي (ص: ٥٦٦)، التحرير والتنوير (٢٠٤/١٨).

(٢) ينظر: تعليل الأحكام لشليبي (ص: ١٩)، المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي للدكتور: محمد عبد العاطي (ص: ٤٨).

فقوله: ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أي تمسكهم بذلك أطهر لهم عند الله وأفضل؛ لأنه من باب ما يزكون به ويستحقون الثناء والمدح، كما أنه أنفع لهم أو أطهر؛ لما فيه من البعد عن الريبة، واسم الإشارة إلى المذكور، أي ذلك المذكور من غض الأبصار وحفظ الفروج. (١)

كما ذُيلت الآية بتعليل آخر فيه ترغيب وترهيب وهو قوله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وذيل بهذه الجملة؛ لأنها كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض والحفظ لأن المقصد من الأمر الامتثال، فهو جل قدره لا يخفى عليه إجماله أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون. (٢)

الفوائد من تعليل خلق غض البصر:

١. عُلِّل الأمر بغض البصر بكون أزكى لمن غَضَّ بصره أنقى لدينه، فإن من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته. (٣)
٢. اسم التفضيل المعلَّل به: ﴿أَزْكَى﴾ مسلوب المفاضلة، والمراد: تقوية تلك التزكية؛ لأن ذلك جنة من ارتكاب ذنوب عظيمة. (٤)
٣. البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر. (٥)

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٣٦٣/٢٣)، تفسير البيضاوي (١٠٤/٤)، التحرير والتنوير (٢٠٤/١٨).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (١٠٤/٤)، تفسير النسفي (٤٩٩/٢)، التحرير والتنوير (٢٠٤/١٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٠-٣٩/٦).

(٤) التحرير والتنوير (٢٠٤/١٨).

(٥) تفسير ابن عطية (١٧٧/٤)، منهج القرآن في تربية الرجال للدكتور عبدالرحمن عميرة (ص: ١٥٨).

٤. يترتب على التعليل بأن الله خبير بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم: أنهم إذا عرفوا ذلك كانوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.^(١)



(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٢٢٩).

المطلب الحادي عشر:

تعليل خلق الاستئذان، والرجوع عند عدم الإذن.

١- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

نوع التعليل: في الآية معللان: الأول: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، ويصح أن يكون تعليلًا بجملته جواب الطلب. والثاني: التعليل بـ"لعل".

دراسة التعليل: تناول القرآن الكريم نوعين من الاستئذان: أولهما استئذان الأجنبي، وثانيهما استئذان الصغار والخدم، وكلاهما في سورة النور؛ فإن من أكبر أغراض سورة النور تشريع نظام المعاشرة والمخالطة في التجاور، فهذه الآيات لبيان أحكام التزاور وتعليم آداب الاستئذان، وتحديد ما يحصل المقصود منه؛ كيلا يكون الناس مختلفين في كفيته على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه والمفيد.^(١)

وقد أجملت حكمة الاستئذان في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ذلكم الاستئذان خير لكم، أي فعل ذلك خير لكم وأولى لكم من الهجوم بغير إذن، فإذا تدبرتم علمتم ما فيه من خير لكم كما هو المرجو منكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لكي تتذكروا هذا التأديب فتمسكوا به، ثم بين سبحانه حكمًا آخر وهو عدم الدخول عند خلو البيوت إلا بإذن، وإن طلب منكم الرجوع ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إن ردوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموها، كذلك عند عدم وجود جواب على الاستئذان فالأولى الرجوع، وعلل الرجوع باسم التفضيل أزكى ومعنى ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أي إنهم إذا أمروا بالرجوع لئلا يطلعوا على عورة لم يحب صاحب المنزل أن يطلع عليها كان ذلك أزكى لهم، كما أن رد

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٨/١٩٦-٢٠٠)، التعليل بالحكمة لمحمد العوّا (ص: ٣١).

البصر وغضه أزكى لصاحبه، كما أنه أفضل وخير لكم من أن يأذنوا على كراهية، وفي هذا أدب عظيم وهو تعليم الصراحة بالحق دون المواربة ما لم يكن فيه أذى، وتعليم قبول الحق لأنه أطمئن لنفس قابله من تلقي ما لا يُدرى أهو حق أم مجاملة، ولو اعتاد الناس التصريح بالحق بينهم لزال عنهم ظنون السوء بأنفسهم. (١)



٢- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ [النور: ٥٨-٥٩].

نوع التعليل: الاستئناف في قوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ "والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان" (٢).

دراسة التعليل: أمر عزَّجَلَّ بأن يستأذن العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار، ومن العلماء من قال الأمر في قوله: ليستأذنكم على الندب والاستحباب ومنهم من قال إنه على الإيجاب وهذا أولى؛ لأن ظاهر الأمر للوجوب، فأوجب الله تعالى الاستئذان من العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا ثلاث مرات في اليوم والليلة، وتعيين الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة؛ لأنها أوقات خلوة الرجال والنساء وأوقات التعري من الثياب، وهي أوقات نوم وكانوا غالباً ينامون مجردين من الثياب اجتزاء بالغطاء، وقد سماها الله تعالى: عورات، وهي:

(١) قبل صلاة الفجر، لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/٣٩٨)، زاد المسير في علم التفسير (٣/٢٨٨)، تفسير الفخر الرازي

(٢٣/٣٥٩)، إغاثة اللهفان (١/٤٩)، التحرير والتنوير (١٨/١٩٦-٢٠٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/١٩٤).

ولبس ثياب اليقظة.

(٢) بالظهيرة، لأنها وقت وضع الثياب للقيولة.

(٣) بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم.

وعَلَّلَ جَلَّ وَعَلَا الأمر بأن سمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة، ففي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَوْرَاتُ لَكُمْ﴾ نص على علة إيجاب الاستئذان فيها، والعورة في الأصل هي الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة.^(١)

الفوائد من تعليل خلق الاستئذان:

١. علل الاستئذان بأنه خير؛ وذلك لأن فيه حفظاً للعورات، وكفاً للأذى عن الناس، واطمئناناً للقلوب حتى لا يدخلها شك أو ريبة بدخول الأجنبي دون استئذان.^(٢)
٢. لئلا تنفر النفوس من عدم الإذن أو من رد المستأذن، علل سبحانه وجوب الامتثال بالرجوع بأنه أذكى وأطهر وأطيب.^(٣)
٣. فائدة السلام مع الاستئذان فهي تقوية الألفة المتقررة فلا تقتضي أكثر من تأكيد الاستحباب.^(٤)

٤. من الآداب التي تشير إليها حكمة تشريع الاستئذان أن المرء لا ينبغي أن يكون كلاً على غيره، ولا ينبغي له أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستثقال، وأنه ينبغي أن

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٢٥٣)، تفسير الفخر الرازي (٢٤/٤١٦)، تفسير النسفي (٢/٥١٧)، تفسير أبي السعود (٦/١٩٤)، التحرير والتنوير (١٨/٢٩٣-٢٩٤).

(٢) التعليل بالحكمة (ص: ٣١).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٨/١٩٨).

يكون الزائر والمزور متوافقين متأنسين وذلك عون على توفر الأخوة الإسلامية. (١)

٥. الآية دالة على أن الواجب اعتبار العلل في الأحكام إذا أمكن لأنه تعالى نبه على

العلة في هذه الأوقات الثلاثة من وجهين:

أحدهما: بقوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾.

والثاني: بالتنبيه على الفرق بين هذه الأوقات الثلاثة وبين ما عداها بأنه ليس ذلك إلا

لعلة التكشف في هذه الأوقات الثلاثة، وأنه لا يؤمن وقوع التكشف فيها وليس كذلك ما

عدا هذه الأوقات. (٢)



(١) ينظر: المصدر السابق (١٨/١٩٧).

(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٤/٤١٨).

المطلب الثاني عشر: تعليل خلق إيفاء الكيل والميزان.

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بـ"عل".

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآية محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجماعة الإسلامية ومدنيتها وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، وجاء مع هذه الوصية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها.

ومما أمر به سبحانه في الآية: ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ﴾ أي أوفوا متلبسين بالعدل بأن لا تظلموا المكتال حقه، وظاهر تعقيب جملة: ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ﴾ بجملة: ﴿لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أنها متعلقة بالتي وليتها فتكون احتراسا، أي لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرة ولكن ما تظنون أنه عدل ووفاء، والمقصود من هذا الاحتراس: أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة، فيؤدي ذلك إلى تعطيل منافع جملة. (١)

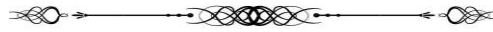
ولما بين هذه الأمور أتبعها بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ وفي لفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول. (٢)

وعلت هذه الأحكام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، أي: أمركم بهذه الأمور التي

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٥).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتزجروا عنها، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم، والسبب في أن جعل سبحانه التعليل في خاتمة الآية السابقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وذلك في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١] وخاتمة هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولى: أمور ظاهرة جليلة فوجب تعقلها وتفهمها وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمور خفية لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (١)



٢- قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

﴿٣٥﴾ [الإسراء: ٣٥]

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل ﴿خَيْرٌ﴾ ﴿أَحْسَنُ﴾، ويصح أن يكون تعليلاً بجملته جواب الطلب.

دراسة التعليل: يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ للناس ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لهم حقوقهم قبلكم، ولا تبخسوهم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: زنوا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا خديعة.

ويعلل جل في علاه الأمر باسم التفضيل: ﴿خَيْرٌ﴾ أي: خير من التطفيف، وفضل على التطفيف تفضيلاً لخير الآخرة الحاصل من ثواب الامتثال على خير الدنيا الحاصل من الغش والتطفيف، وهو أيضاً أفضل منه في الدنيا؛ لأن انشراح النفس الحاصل للمرء

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٢١+٢٢٦)، تفسير الزمخشري (٢/ ٧٩)، تفسير الفخر الرازي (١٣/ ١٨٠-١٨١)، التحرير والتنوير (٨-١٦٢/ ١٦٣).

من الإنصاف في الحق أفضل من الارتياح الحاصل له باستفضال شيء من المال.
وعُلِّل الأمر كذلك باسم التفضيل: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة، من آل إذا رجع، وهو ما يؤول إليه، ومعنى كون ذلك أحسن تأويلاً: أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن وفي مضار الإيفاء فيهما، ثم عاد فجال في مضار التطفيف ومنافع الإيفاء، استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف؛ لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال ويكسبه الكراهية والذم عند الناس وغضب الله والسحت في ماله مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه ورضى الله عنه ورضاه عن نفسه والبركة في ماله.^(١)

الفوائد من تعليل خلق إيفاء الكيل والميزان:

١. عُلِّل إيفاء الكيل ببيان أنه خير من التطفيف، وأحسن عاقبة منه في الدارين.
٢. الوفاء من مكارم الأخلاق؛ سواء كان في التعامل المادي أو المعنوي.
٣. نظمت الشريعة معاملات البشر فيما بينهم؛ حفظاً للحقوق، وقطعاً للخلافات والنزاعات التي تفت في عضد الأخوة الإسلامية، وجاء التعليل في الآيات مؤكداً على هذه المقاصد.
٤. راعى الشارع ما جُبل عليه الإنسان من خطأ ونسيان، فعَلَّق الوفاء بما في وسع الإنسان وطاقته ولم يكلفه دقائق الأشياء التي لا يقوى على الإحاطة بها.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٤٤٥)، تفسير الزمخشري (٢/٦٦٥)، التحرير والتنوير (١٥/٩٩).

المطلب الثالث عشر: تعليل خلق العدل.

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

نوع التعليل: في الآية نوعان من التعليل: الأول: إناطة الحكم بوصف، الثاني: التعليل بجملتي إن "وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ واقعة موقع التحريض على امتثال الأمر، فكانت بمنزلة التعليل" (١).

دراسة التعليل: حث الله تعالى على حفظ جميع العدالةات بهذه الآيات وبيانه أن العدالة في شيئين:

أحدهما: في حكم يختص به الإنسان في نفسه، أو فيما بينه وبين غيره، وقد تناول ذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

والثاني: في حكم يتولاه الإنسان بين اثنين، وذلك قد تناوله في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

والعدل كما هو في المعاملات بإيصال الحقوق لأهلها وعدم هضم الناس حقوقهم، كذلك يكون في العبادات بسلوك الطريق الوسط فيها، وتأديتها كما كان النبي ﷺ يؤديها، والعدل في العبادات من أكبر مقاصد الشارع، والخطاب لكل من يصلح لتلقي هذا الخطاب والعمل به من كل مؤتمن على شيء، ومن كل من تولي الحكم بين الناس في الحقوق. (٢).

وأنيطت الأحكام في هذه الآية، بوصف يقويها ويؤكدها وهو أن الله جل في علاه

(١) التحرير والتنوير (٩٦/٥).

(٢) ينظر: حقيقة الصيام لابن تيمية (ص: ٦٤)، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي (ص: ٤٥٥).

هو الأمر بها، وهذا المسلك من مسالك التعليل يفيد تقوية الحكم وتوكيده ومزيد الحث عليه.

كما حث تبارك وتعالى على المبادرة إلى حسن الامتثال ليجتهدوا في الترقى في طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم فقال معللاً ومكرراً للاسم الشريف ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يُعْظِمُكُمْ بِهِ﴾ أي نعم شيء يعظكم به، أو نعم الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف، أي نعم شيء يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل، وفيه تنبيه على أن من سمع وعظه، واستعمله فقد فاز فوزاً عظيماً، والجملة معللة ومقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الامتثال بالأمر، وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة كما أظهره ثالثاً في ختام الآية حيث عللها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: سميع لأقوالكم بصير بأفعالكم، وفيه وعد للمطيع ووعد للعاصي، وأظهر اسم الجلالة تأكيداً لكل من الوعد والوعيد.^(١)

٢- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

نوع التعليل: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل.

دراسة التعليل: في هذه الآية الكريمة نهاهم سبحانه أولاً عن أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم ذكر لهم علة الأمر بالعدل وهو قوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ونظيره قوله ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي هو أقرب للتقوى، أي التقوى الكاملة التي لا يشذ معها شيء من الخير؛

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٢٨٥-١٢٨٦)، تفسير الفخر الرازي (١٠/ ١١١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٠٩)، تفسير أبي السعود (٢/ ١٩٣)، التحرير والتنوير (٥/ ٩١).

وذلك أن العدل هو ملاك كبح النفس عن الشهوة وذلك ملاك التقوى، وإنما وصف جل ثناؤه بأنه أقرب للتقوى من الجور؛ لأن من كان عادلاً كان الله بعدله مطيعاً، ومن كان الله مطيعاً، كان من أهل التقوى، وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه. (١)



٣- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

[المائدة: ٤٢].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى

الْآخَرَى فَقْتَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩]

٥- قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [المتحنة: ٨]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن في الآيات الثلاث.

دراسة التعليل: حث تبارك وتعالى على العدل والقسط في الآيات الكريمة، وعلق

ذلك معللاً ببيان محبته سبحانه للمقسطين، أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي

جميع الولايات التي تولوها، القاضين بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه وأمره أنبياءه

صلوات الله عليهم. حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه

حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٩٦-٩٧)، تفسير الزمخشري (١/٦١٣)، تفسير الفخر الرازي

(١١/٣٢٠)، التحرير والتنوير (٦/١٣٦).

الرحمن عَزَّجَلَّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا^(١) بل وبينت الآية أنهم حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم، وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه.

وتذليل الكلام في الآيات الثلاث بقوله معللاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: يقتضي أن العدل مطلوب لذاته، فهو حسن في جميع الأمور فاخصاه بأمر دون أمر بعيد، فعلى هذا قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] من عطف العام على الخاص، أو تذليل للسابق وتقرير له، وكذلك فإن من فائدة قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ بعد: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: أن قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ كان فيه تخصيص بحال دون حال فعمم الأمر بقوله: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي في كل أمر مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله ﷻ. (٢)



٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْإِمْرَانِ بِالْقِسْطِ ۗ لَّا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بـ"لعل".

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآية محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجماعة الإسلامية ومدنيته وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، وجاء مع هذه الوصية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧/٦) برقم: (١٨٢٧) (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٣٣٥)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/١٠٦)، حاشية الطيبي على الكشاف (١٤/٤٨٣-٤٨٤)، تفسير السعدي (ص: ٢٣٢+ ص: ٨٠٠)، التحرير والتنوير (٨-أ/١٧٠).

العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها. ومما أوصى به من الحقوق قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ وهذا الخلق جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام من الشهادة، والقضاء، والجرح والتعديل، والشورى، وإصلاح ذات البين، وصفات المبيع، وفي الوعود، والوصايا، والأيمان وكذلك المدح والشتم والقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول، والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق، وفي التعليق بأداة الشرط في قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ إشارة إلى أن المرء في سعة من السكوت إن خشي قول العدل، والواو في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ واو الحال، ولو وصلية تفيد المبالغة في الحال التي من شأنها أن يظن السامع عدم شمول الحكم إياها لاختصاصها من بين بقية الأحوال التي يشملها الحكم، أي ولو كان الذي تعلق به القول ذا قربى؛ أي إذا قلت قولاً لأجله أو عليه فاعدلوا ولا تقولوا غير الحق. (١)

ولما بين هذه الأمور أتبعها بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ﴾ وفي لفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول. (٢)

وعلت هذه الأحكام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتزجروا عنها، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم، والسبب في أن جعل سبحانه التعليق في خاتمة الآية السابقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وذلك في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١] وخاتمة

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٦-١٦٨).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/١٧٩)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨).

هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولى: أمور ظاهرة جليلة فوجب تعقلها وتفهمها وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمور خفية لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (١)



٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف بدون فاء السببية.

دراسة التعليل: أنيطت الأحكام في هذه الآية وهي الأوامر والنواهي، بوصفٍ يقويها ويؤكدها وهو أن الله جلَّ في علاه هو الأمر بها، وهو الناهي عنها، وهذا المسلك من مسالك التعليل يفيد تقوية الحكم وتوكيده ومزيد الحث عليه.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾. (٢)

وتمثل هذه الآية مقصدًا مهمًا من مقاصد الإسلام حيث إننا "لو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير، وزجر عن كل شر، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفسد، والشر يعبر به عن جلب المفسد ودرء المصالح... وأجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها والزجر عن المفسد بأسرها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فإن الألف واللام في العدل والإحسان

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٢١+٢٢٦)، تفسير الزمخشري (٢/ ٧٩)، تفسير الفخر الرازي (١٣/ ١٨٠-١٨١)، التحرير والتنوير (٨-١/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٧١) برقم: (٤٨٩) (كتاب البيان، باب الظلم ظلمات) وحسنه الألباني.

للعوم والاستغراق"^(١).

فأمر سبحانه بالعدل وهو الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، فلزنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قيل: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله، والعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه بإفراده بالعبادة، وفي حق عبادته، بأداء الحقوق كاملة موفرة ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، أو ولاية الرجل على أهل بيته ومن استرعه الله عليهم، وغير ذلك، ومن العدل في المعاملات أن تعامل الناس في عقود البيع والشراء وسائر المعاوزات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقاً ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب، والإحسان فضيلة ومستحب وخص سبحانه إيتاء ذي القربى - وإن كان داخلاً في العموم - لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك.^(٢)

الفوائد من تعليل خلق العدل:

١. أفاد التعليل في الآيات التنبيه على مراعاة حق المؤمنين في العدل، إذ كان تعالى قد أمر بالعدل مع الكافرين.^(٣)
٢. الضمير في جملة التعليل: ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] عائد إلى العدل المفهوم من تعدلوا، لأن عود الضمير يكتفى فيه بكل ما يفهم.^(٤)
٣. ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(١) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام لعز الدين بن عبد السلام (٢/١٨٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٢٧٩)، تفسير السعدي (ص: ٤٤٧)، التحرير والتنوير (١٤/٢٥٩).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٤/١٩٦).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٦/١٣٥).

وَالْبَغْيَ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠] وليس من خلق كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدح فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها. (١)

٤. نؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه، وهم يحبونه، ومن الآيات الدالة على ذلك:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. (٢)

٥. جاء طلب الحق في القول بصيغة الأمر بالعدل، دون النهي عن الظلم أو الباطل:

لأنه قيده بأداة الشرط المقتضي لصدور القول: فالقول إذا صدر لا يخلو عن أن يكون حقاً أو باطلاً، والأمر بأن يكون حقاً أو في بمقصد الشارع؛ لأن الله يحب إظهار الحق بالقول، ففي الأمر بأن يكون عدلاً أمر بإظهاره ونهي عن السكوت بدون موجب. (٣)

٦. مرجع تفاصيل العدل إلى أدلة الشريعة؛ فالعدل كلمة مجملة جامعة فهي

بإجمالها مناسبة لأحوال المسلمين حين كانوا بمكة، فيصار فيها إلى ما هو مقرر بين الناس في أصول الشرائع وإلى ما رسمته الشريعة من البيان في مواضع الخفاء، فحقوق المسلمين بعضهم على بعض من الأخوة والتناصح قد أصبحت من العدل بوضع الشريعة الإسلامية. (٤)

(١) التحرير والتنوير (١٤/٢٥٩).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/٢٣٣).

(٣) التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٨).

(٤) المصدر السابق (١٤/٢٥٥).

المطلب الرابع عشر: تعليل خلق الوفاء بالعهد.

١ - قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن الواقعة في جواب الشرط مقترنة بالفاء. (١)

دراسة التعليل: في هذه الآية إخبار من الله عزَّجَلَّ عمَّن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته؛ فأمن بمحمد ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله، من أداء الأمانة وغير ذلك من أمر الله ونهيه فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه. وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد، وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين:

الأول: التعظيم لأمر الله.

والثاني: الشفقة على خلق الله.

فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق، فهو شفقة على خلق الله، ولأن الله أمر به، فالوفاء به تعظيم لأمر الله، فالآية مشتملة على جميع أنواع الطاعات. (٢)



(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/٤٥٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/٥٢٥-٥٢٦)، تفسير الفخر الرازي (٨/٢٦٥)، التحرير والتنوير (٣/٢٨٩).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بـ"العلل".

دراسة التعليل: ذكر سبحانه في الآية محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجماعة الإسلامية ومدنيته وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، وجاء مع هذه الوصية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك على قلوبهم، وختمت الآية بالأمر بالوفاء بالعهد الذي أمر الله بحفظه، وحذر من ختره، وهو العهود التي تتعقد بين الناس بعضهم مع بعض سواء كان بين القبائل أم كان بين الآحاد.^(١)

ولما بين هذه الأمور أتبعها بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ﴾ وفي لفظ وصاكم من اللطف والرافة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول.^(٢)

وعلت هذه الأحكام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، أي: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتتذكروا عنها، وترتدعوا وتنبأوا إلى طاعة ربكم، والسبب في أن جعل سبحانه التعليل في خاتمة الآية السابقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وذلك في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَقَ مَخَنٌ نَّرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٦٥ + ١٦٩ - ١٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٣/ ١٧٩)، تفسير البحر المحيط (٤/ ٦٨٨).

تَقْنُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الانعام: ١٥١] وخاتمة هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولى: أمور ظاهرة جليلة فوجب تعقلها وتفهمها وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمر خفية لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (١)



٣- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِالَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد: ١٩-٢٤].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف، وجمل صلة الموصول.

دراسة التعليل: ذكر في الآيات تعليقات عدة لما اتصف به المؤمنون من امثال لأوامر الله تعالى، ولما تحلوا به من أخلاق فاضلة:

أولها: تعليق الحكم على وصف؛ وقد جاء تعليق الحكم على وصف في موضعين من الآيات:

أ/ ﴿إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) فعلق الحكم بكونهم أصحاب العقول السليمة على اتصافهم بما جرى ذكره لاحقاً في الآيات. (٢)

ب/ ﴿أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فعلق الجزاء والعاقبة الحسنة على اتصافهم بهذه

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٢١+٢٢٦)، تفسير الزمخشري (٢/ ٧٩)، تفسير الفخر الرازي (١٣/ ١٨٠-١٨١)، التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٣٠٩)، تفسير البيضاوي (٣/ ١٨٦)، اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٢٩٢).

الأوصاف. (١)

والثاني: جمل صلة الموصول المتكررة في الآيات: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢)

وهما تعليان لخلق الوفاء بالعهد وعدم الغدر، والأخلاق الأخرى المذكورة في الآيات: من الصبر، وصلة الرحم، والإنفاق سرًّا وعلانية، ودفع السيئة بالحسنة، إلى جانب ما اتصفوا به من خشية الله تعالى، وإقامة الصلاة. (٢)

وقد ذكر ﷺ في الآيات تسعة قيود للشرط، ورتب عليها أربعة قيود للجزاء (٣) أما القيود المذكورة في الشرط فهي:

الأول: الوفاء بالعهد؛ وهو: أن يحقق المرء ما عاهد على أن يعمل، فالذين يوفون بعهد الله أي بما عقده من العهود فيما بينهم وبين ربهم، أو فيما بينهم وبين العباد، وهي خصلة حسنة ومن الأخلاق الفاضلة التي تحلى بها المؤمنون. (٤)

الثاني: عدم نقض الميثاق، والمراد بالمواثيق العموم؛ لأن التعريف في ﴿الْمِيثَاقَ﴾ للجنس، فيشمل المواثيق الحاصلة بين الناس من عهود وأيمان. (٥)

وجاءت الصلوات ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ﴾ و﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وما عطف عليهما بصيغة

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٩٤).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣-٢٩٥).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٩/٣٦).

(٤) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٩٤)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٥).

(٥) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٨/٥٠٢)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٦).

المضارع لإفادة التجدد كنايةً عن الاستمرار.^(١)

الثالث: صلة ما أمر الله به أن يوصل.

الرابع والخامس: خشية الله عَزَّجَلَّ والخوف من سوء الحساب.

السادس: الصبر ابتغاءً لوجه الله.

السابع والثامن: إقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلانية.

التاسع: درء السيئة بالحسنة.

وقد تناولت هذه الآيات مقامات الإسلام والإيمان كلها؛ فاشتملت على فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿بَلِّغْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ [آ عمران: ١٢٥] وقوله ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] وقوله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آ عمران: ٢٠٠] فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الأمور الثلاثة؛ لأن حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور.^(٢)

وأما القيود الأربعة المذكورة في الجزاء فهي:

الأول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] وعقبي الدار: عاقبة الدنيا، وهي الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها، واجتلاب اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ للتنبية على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، وقدم المجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عُقُوبُ الدَّارِ﴾؛ للدلالة على القصر، أي لهم عقبي الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم.^(٣)

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/ ٣٨٠)، تفسير أبي السعود (٥/ ١٧)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٢٨).

(٢) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٩/ ٣٦)، تفسير البحر المحيط (٦/ ٣٨١)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٢٤).

الثاني: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من عقبى الدار، والعدن: الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وذكر يدخلونها لاستحضار الحالة البهيجة. (١)

الثالث: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي ومن آمن منهم؛ وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة، وقد ألحق الله تعالى بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم، وذكر الله هذا للبشرى كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وهذا كعكسه في قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] لأن مشاهدة عذاب الأقارب عذاب مضاعف. (٢)

الرابع: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [العد: ٢٣-٢٤] وهذا من كرامتهم؛ فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة، وجملة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحية يقصد منها تأنيس أهل الجنة. (٣)



٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن "وجملة ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ تعليل للأمر، أي للإيجاب الذي اقتضاه" (٤).

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٣٨١)، تفسير البيضاوي (٣/١٨٦)، التحرير والتنوير (١٣/١٣١).

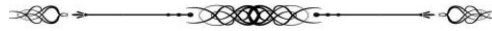
(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٩٣)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٢)، التحرير والتنوير (١٣/١٣١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/٩٧).

دراسة التعليل: بين المولى جل ثناؤه أنه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه.

وعلل الأمر بجملة: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوباً، يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به، أو مسؤولاً عنه أي إنه يُسأل إذا نكث فيه، ويُسأل إذا لم يوف به على الوجه الكامل وهو تحت رقابة الله تعالى وكفالتة، فلا يصح التفريط فيه، أو يُسأل العهد تبيكياً للناكث كما يقال للموءودة: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنَلْتَ﴾ [التكوير: ٩]، فيكون تخيلاً، ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً، وقيل: حذف متعلق مسؤولاً لظهوره، أي مسؤولاً عنه، أي يسألكم الله عنه يوم القيامة، وإعادة لفظ العهد في مقام إضماره للاهتمام به. (١)



(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٤٤٤)، تفسير الزمخشري (٢/٦٦٥)، تفسير البيضاوي (٣/٢٥٤)، تفسير أبي السعود (٥/١٧١)، التحرير والتنوير (١٥/٩٧)، زهرة التفاسير (٨/٤٣٨٠).

٨- قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون: ١-١١﴾

٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي حَنَتِ مَكْرُمُونَ ﴿المعارج: ١٩-٣٥﴾.

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: رُتب الجزاء في هذه الآيات وهو: الفلاح وإدراك أعلى درجات الجنة، على وصف وهو: حفظ العهد والأمانة.

والأمانة والعهد تجمع كل ما تحمله الإنسان من أمر دينه ودينه قولا وفعلا، وهذا يعم معاشره الناس والمواعيد وغير ذلك، وجمع الأمانات؛ لأنها تكون متنوعة من حيث هي في الأموال وفي الأسرار فيما بين العبد وربّه فيما أمره ونهاه عنه، ومعنى ﴿رَاعُونَ﴾ أي حافظون غير خائنين ولا ناقضين، فإذا أوتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، والجمع بين رعي الأمانات ورعي العهد؛ لأن العهد كالأمانة فالذي عاهدك قد ائتمنك على الوفاء بما يقتضيه ذلك العهد. (١)

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/١٣٧) + (٥/٣٦٩)، تفسير النسفي (٣/٥٣٩)، تفسير ابن كثير (٥/٤٠٤)، التحرير والتنوير (١٧/١٨).

واختيار كلمة ﴿رَعُونَ﴾ بالصيغة الاسمية دون الفعلية؛ ليدل على لزوم الرعي وعدم الإخلال به، وتقديم الأمانة والعهد على ﴿رَعُونَ﴾ للاهتمام بأمرهما، وزيادة اللام في ﴿لَأَمْتَنَّهُمْ﴾ تفيد الزيادة في الاختصاص وتوكيده. (١)

وأول جزاء ترتب على هذا الوصف: الفلاح؛ حيث افتتحت سورة المؤمنون بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم أي: الظفر بالمراد، وهو افتتاح بديع؛ لأنه من جوامع الكلم فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه، وأكد هذا الخبر بحرف ﴿قَدْ﴾ الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، ووجه التوكيد: أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة، وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه، وأجريت بعد ذلك الصفات على المؤمنين بالتعريف بطريق الموصول وبتكريره؛ للإيماء إلى وجه فلاحهم وعلته، أي أن كل خصلة من هاته الخصال هي من أسباب فلاحهم، وهذا يقتضي أن كل خصلة من هذه الخصال سبب للفلاح؛ لكون كل خصلة من هذه الخصال تنبئ عن رسوخ إيمان صاحبها. (٢)

والجزء الثاني: إكرامهم بدخول الجنة.

● حيث قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١] وفي معناها قولان:

أحدهما: أنهم يرثون منازل أهل النار من الجنة؛ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور فاضل السامرائي (ص: ١٧٥).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ١٧٤)، تفسير الفخر الرازي (٢٣/ ٢٥٨)، التحرير والتنوير (١٨/ ٦-٩).

ورث أهل الجنة منزله، قال: فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١).

القول الثاني: أنهم يرثون بيوتهم ومنزلهم التي بنيت بأسمائهم في الجنة، والمعنى: أنهم يؤول أمرهم إلى نعيم الجنة، واستعيرت الوراثة للاستحقاق الثابت لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ويفيد اسم الإشارة في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ وما فيه من معنى البعد: الإيدان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الأحقء بأن يسموا ورثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائهما، والفردوس: اسم من أسماء الجنة، وقيل هو أشرف جهات الجنات، وأصل الفردوس: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر.^(٢)

• وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ وصفهم بتلك الصفات الجليلة أخبر عن جزائهم عليها بأنهم مكرمون في الجنة، ومعنى مكرمون: أي: مستقرون، أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات، والإكرام: التعظيم وحسن اللقاء، أي هم مع جزائهم بنعيم الجنات يكرمون بحسن اللقاء والثناء، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].^(٣)

والجزء الثالث: الاستثناء عن الوعيد وعن وصف الإنسان بالهلع والجزع ومنع الخير.

فوصفهم بخصال ثمان مضادة لتلك الخصال الأربع؛ لأنها دالة على الاستغراق

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٣٨٩/٥) برقم: (٤٣٤١) (أبواب الزهد، باب صفة الجنة)، وصححه ابن حجر في فتح الباري (٤٤٢/١١)

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٥٣١-٥٣٢)، تفسير أبي السعود (١٢٥/٦)، التحرير والتنوير (٢٠/١٨) - (٢١).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٧١/١٩)، فتح القدير للشوكاني (٣٥١/٥)، التحرير والتنوير (١٧٥/٢٩).

في طاعة الله، والشفقة على خلق الله، وعلى الإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة، وكسر الشهوات، وإيثار الآجل على العاجل، منها: وصفهم بأداء الأمانة والعهد؛ فالمعنى على الاستدراك، والتقدير: لكن المصلين الموصوفين بكيت وكيت أولئك في جنات مكرمون. (١)



١٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

نوع التعليل: جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء.

دراسة التعليل: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحدودية من أصحابك ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك؛ لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك، ومن نقض العهد ونكثه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله في مبايعته؛ فسيئته أجراً عظيماً؛ وهو الجنة، والعظم في الأجرام، لا يقال إلا إذا اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسمك الغليظ، فيقال في الجبل الذي هو مرتفع، ولا اتساع لعرضه جبل عال أو مرتفع أو شاهق، فإذا انضم إليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم، والأجر كذلك؛ لأن ماكل الجنة تكون من أرفع الأجناس وتكون في غاية الكثرة، ممتدة إلى الأبد لا انقطاع لها، فحصل فيه ما يناسب أن يقال له عظيم، وهذا يتناول عهودهم مع الله بالوفاء له بالإخلاص والإيمان والطاعة، وعهودهم مع الخلق. (٢)

(١) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٢٢/١٦)، تفسير السعدي (ص: ٨٨٧)، التحرير والتنوير (١٧١/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠٩/٢٢)، تفسير الفخر الرازي (٧٣/٢٨)، تفسير البيضاوي (١٢٧/٥)، تفسير النسفي (٣٣٦/٣)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٣٤/١)، تفسير أبي السعود (١٠٦/٨).

الفوائد من تعليل خلق الوفاء بالعهد:

١. تكرر في القرآن الكريم الأمر بالوفاء بالعهد وتعليقه؛ لعظيم قدره عند الله ﷻ. (١)
٢. دلّ التعليل بالمحبة على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإن الله يحبه. (٢)
٣. الوفاء بالعهد، كما يمكن في حق الغير يمكن أيضًا في حق النفس لأن الوافي بعهد النفس هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات، لأن عند ذلك تفوز النفس بالشواب وتبعد عن العقاب. (٣)
٤. الأجر العظيم المعلن به الذي يجازى به الموفي بعهده لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه؛ وهو الكريم سبحانه. (٤)
٥. الوفاء بالعهد من أعظم الخلق الكريم لدلالته على شرف النفس وقوة العزيمة، فإن المرأين قد يلتزم كل منهما للآخر عملاً عظيماً فيصافى أن يتوجه الوفاء بذلك الالتزام على أحدهما فيصعب عليه أن يتجشم عملاً لنفع غيره بدون مقابل ينتفع به هو فتسول له نفسه الختر بالعهد شحاً أو خوراً في العزيمة، فلذلك كان الوفاء بالعهد علامة على عظم النفس. (٥)

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢/٣٦٥).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٣٧٥).

(٣) تفسير الفخر الرازي (٨/٢٦٥).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

(٥) التحرير والتنوير (١٨/١٧).

المطلب الخامس عشر: تعليل خلق الثبات والوحدة، وعدم التنزع.

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيَمْتُمْ فِتْنَةً فَاقْبَلُوا بِكُرْهٍ وَإِذْ كُرُوا لِلَّهِ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ تَدْرِكُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

نوع التعليل: التعليل بـ"لعل"، وبجملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: حرص الإسلام على منع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الخلاف والنزاع بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ تَدْرِكُونَ﴾ لذلك عدّ العلماء من مقاصد الشريعة: مقصد سد باب النزاع وسبل الضغائن.^(١)

وقد جمع تبارك وتعالى في هذه الآية ما به قوام النصر في الحروب، فعلم المؤمنين سبحانه إذا التقوا بالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب:

الأول: الثبات بأن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي.

والثاني: أن يذكروا الله كثيراً في مواطن الحرب بالنصر عليهم والظفر بهم " وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه وإن كان أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون همًا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره"^(٢).

وهذان أمران أمروا بهما وهما يخصان المجاهد في نفسه، ولذلك قال تعالى معللاً: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا بالنصر؛ لأن ما ذكره من أسباب تحقق النصر، وبالآخرة بالفوز بالجنة؛ وذلك لأن مقاتلة الكافر إن كانت لأجل طاعة الله تعالى كان ذلك كبذل الروح في طلب مرضاة الله تعالى، وهذا هو أعظم مقامات العبودية، فإن غلب الخصم فاز

(١) ينظر: مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين (ص: ٣٩٨).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/٢٢٦).

بالثواب والغنيمة، وإن صار مغلوباً فاز بالشهادة والدرجات العالية، فهو على كل وسيلة إلى الفلاح والنجاح، ثم أمرهم ﷺ بأعمال ترجع إلى انتظام جماعتهم، وهي علاقة بعضهم مع بعض، وهي الطاعة وترك التنازع فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا﴾ أي: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم، والعلة من النهي عن ذلك: ﴿فَنَفْسُكُمُوتَذْهَبُ رِيحَكُمْ﴾ فبين تعالى أن النزاع يوجب أمرين: أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف. والثاني: قوله: ﴿وَتَذْهَبُ رِيحُكُمْ﴾ أي: تنحل به عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله، والفشل: انحطاط القوة، والريح حقيقتها تحرك الهواء وتموجه، واستعيرت هنا للغلبة، والمعنى: وتزول قوتكم ونفوذ أمركم، وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق، وهو يوهن أمر الأمة.^(١)

الفوائد من تعليل خلق الثبات والوحدة وعدم التنازع:

١. رُتب الفلاح على التزام أمر الله تعالى بالثبات وتوحيد الصف، وبذكره سبحانه حال نزال العدو، وهما من أسباب النصر الذي يمثل أحد أفراد الفلاح.
٢. التعليل يذكر بمآلات الأمور التي قد تغيب عن فاعلها فالتعليل في الآية ذكر أن من مغبة الخلاف والتنازع: الفشل، وذهاب القوة.
٣. الثبات دليل كمال الإيمان وحسن التوكل على الله عز وجل، كما أنه دليل على تمكن حب العقيدة والصبر عليها وعلى تكاليفها حتى الممات، فلذلك جاء معللاً توكيداً على العناية به.^(٢)

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٤-٥٧٥)، تفسير الزمخشري (٢/ ٢٢٦)، تفسير الرازي (١٥/ ٤٨٩)، تفسير السعدي (ص: ٣٢٢)، التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩-٣٢).

(٢) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٤/ ١٤٤٩).

المطلب السادس عشر: تعليل خلق التفسح في المجالس.

١ - قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أُشْرُؤُا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

نوع التعليل: جملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: يحث سبحانه المؤمنين على خلق من الأخلاق الكريمة وهو التفسح في المجالس وتفسحوا بمعنى: توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه، من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعاً، والجزاء المترتب على التحلي بخلق التفسح هو: ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهو وعد بالجزاء على الامتثال لأمر التفسح من جنس الفعل؛ إذ جعلت توسعة الله على الممثل جزاء على امتثاله الذي هو إفساحه لغيره، وحذف متعلق ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ليعم كل ما يتبغى الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من المكان والرزق والصدر والقبر أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات، وتقدير الجزاء موكول إلى إرادة الله تعالى. (١)

الفوائد من تعليل خلق التفسح في المجالس:

١. دل التعليل في الآية على أن الجزاء من جنس العمل، من تفسح في مجالس الدنيا، نال الفسحة من الله في كل ما يتبغى ويطلب من أمور الدنيا والآخرة.
٢. هذه الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجالس،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٢٤٣)، تفسير الزمخشري (٤/٤٩٢)، التحرير والتنوير (٢٨/٣٨).

بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه.^(١)



(١) تفسير الفخر الرازي (٢٩/٤٩٤).

المطلب السابع عشر: تعليل خلق العفو عند المقدرة.

١ - قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [ال عمران: ١٣٣-١٣٤].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: يدعو تعالى ذكره المؤمنين إلى المبادرة والمسابقة إلى مغفرة الله سبحانه وما يستره ويغويه من الذنوب، وإلى المسارعة أيضًا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وتنكير ﴿مَغْفِرَةٍ﴾ ووصلها بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مع إمكانية الإضافة بأن يقال إلى مغفرة ربكم؛ لقصد الدلالة على التعظيم، ووصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض على طريقة التشبيه البليغ؛ بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].^(١)

ولما بين سبحانه الجزاء وهو: المغفرة والجنة المعدة للمتقين ذكر الأوصاف حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات، ومنها الحلم والعفو: ﴿وَالْكَبِيرِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ والفرق بين الحلم والعفو، أن الحلم راجع إلى حال الإنسان في نفسه، والعفو إلى ما بينه وبين غيره، وإن كان قلما ينفك أحدهما عن الآخر.^(٢)

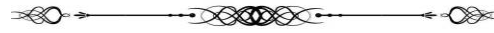
فالكاظمين الغيظ هم: الممسكين عليه الكافرين عن إرضائه مع القدرة، والعافين عن الناس هم: التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته، وهم على الانتقام منهم قادرين،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٠٧)، التحرير والتنوير (٤/ ٨٩).

(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ٨٦١-٨٦٢)، تفسير الفخر الرازي (٩/ ٣٦٦).

وصفة العفو وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس؛ لأن كظم الغيظ قد تعترضه ندامة فيستعدي على من غاظه بالحق، فلما وصفوا بالعفو عن أساء إليهم دل ذلك على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم، مستمر معهم، وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل ما دونها لديها، والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار.^(١)

ففي هذه الأخلاق وغيرها مجال واسع للمسارعة والمسابقة إلى الخيرات والجنة، وتخفيف التعلق بمطالب الدنيا والمسارعة بالاستعداد للعقبى.^(٢)



٢- قوله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوُا أَوْ تَعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

نوع التعليل: جواب الشرط المقرون بالفاء "قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] موقعها من المعنى أنها تعليل لكلام مطوي تدل عليه".^(٣)

دراسة التعليل: لما أباح ﷺ الجهر بالسوء لمن كان مظلومًا في الآية السابقة: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨] حث في هذه الآية على العفو، وألا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار، والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود قوله تعالى معللاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ فإيراده في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو.^(٤)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١٥)، تفسير البيضاوي (٢/ ٣٨)، تفسير أبي السعود (٢/ ٨٥)، التحرير والتنوير (٤/ ٩١).

(٢) البرهان في أصول الفقه للجويني (٢/ ٩٣)، مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين للدكتور: هشام أزهري (ص: ٣٠٤).

(٣) زهرة التفاسير لأبي زهرة (٤/ ١٩٣٥).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٢٤٨).

وفي معنى تذييل الآية بهذين الوصفين والتعليل بهما وجوه^(١):

الأول: أنه تعالى يعفو مع قدرته على الانتقام، فاعفوا أنتم أيضاً أيها الناس عمن أتى إليكم ظلماً ولا تجهروا له بالسوء من القول وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم وأنتم تعصونه وتخالفون أمره.

الثاني: إن الله كان عفواً لمن عفا، قديراً على إيصال الثواب إليه.

الثالث: إن الله تعالى أقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك.



٣- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَهْلَ الْآلِيبِ ۝١٩﴾
 الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يُنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ ۝٢٠ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
 سُوءَ الْحِسَابِ ۝٢١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ هُمُ عِقبَى الدَّارِ ۝٢٢ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ١٩-٢٤﴾.

نوع التعليل: في الآيات تعلقان:

٥. تعليق الحكم على وصف.

٦. جملة صلة الموصول.

دراسة التعليل: ذكر في الآيات تعليلات عدة لما اتصف به المؤمنون من امثال

لأوامر الله تعالى، ولما تحلوا به من أخلاق فاضلة:

أولها: تعليق الحكم على وصف؛ وقد جاء تعليق الحكم على وصف في موضعين

من الآيات:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٥١)، تفسير الزمخشري (١/ ٥٨٢)، تفسير الرازي (١١/ ٢٥٤)، تفسير

البحر المحيط (٤/ ١١٨)، تفسير أبي السعود (٢/ ٢٤٨).

أ/ ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ فعلق الحكم بكونهم أصحاب العقول السليمة على اتصافهم بما جرى ذكره لاحقاً في الآيات. (١)

ب/ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبُ الدَّارِ﴾ فعلق الجزاء والعاقبة الحسنة على اتصافهم بهذه الأوصاف. (٢)

والثاني: جمل صلة الموصول المتكررة في الآيات: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبُ الدَّارِ﴾ (٢٢) [الرعد: ٢٠-٢٢]

وهما تعليان لخلق الصبر والأخلاق الأخرى المذكورة في الآيات: من دفع السيئة بالحسنة، والوفاء بالعهد وعدم الغدر، وصلة الرحم، والإنفاق سرّاً وعلانية، إلى جانب ما اتصفوا به من خشية الله تعالى، وإقامة الصلاة. (٣)

وقد ذكر ﷺ في الآيات تسعة قيود للشرط، ورتب عليها أربعة قيود للجزاء (٤) أما القيود المذكورة في الشرط فهي:

الأول: الوفاء بالعهد.

الثاني: عدم نقض الميثاق.

الثالث: صلة ما أمر الله به أن يوصل.

الرابع والخامس: خشية الله عزَّجَلَّ والخوف من سوء الحساب.

السادس: الصبر ابتغاءً لوجه الله.

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠٩)، تفسير البيضاوي (٣/١٨٦)، اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٢).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٩٤).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣-٢٩٥).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١٩/٣٦).

السابع والثامن: إقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلانية

التاسع: درء السيئة بالحسنة؛ والمعنى عدم مقابلة الشر بالشر، بل مقابلة الشر بالخير، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَمَرُوا بِاللَّعْمِزِ وَأَوْكِرَآمًا﴾ [الفرقان: ٧٢] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]^(١) وكما قال الشاعر:

يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَفْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(٢)

وهذا بخلاف خلق الجاهلية كما قال الشاعر:

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ سَرِيحًا وَإِلَّا يُبَدُّ بِالظُّلْمِ يُظْلَمُ^(٣)

وقد فسر هذا الدرء بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال النبي ﷺ: "يا أبا ذر، اتق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"^(٤) ولذلك أعيد أسلوب التعبير بالمضارع وهو قوله: ﴿وَيَذْرُؤُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] لاقتضاء المقام إفادة التجدد؛ إيماء إلى أن تجدد هذا الدرء مما يحرص عليه لأن الناس عرضة للسيئات على تفاوت، فوصف لهم دواء ذلك بأن يدعوا السيئات بالحسنات^(٥).

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٥٢٦/٢)، تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، عدة الصابرين وذخيرة

الشاكرين (ص: ٣١)، اللباب في علوم الكتاب (٢٩٥/١١).

(٢) البيت لقريط بن أنيف، وهو من بحر البسيط، ينظر: ديوان الحماسة لأبي تمام (ص: ١١)، المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٢/٢٧٣-٢٧٤).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته، وهو من بحر الطويل، ينظر: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد

القرشي (ص: ١٧٤).

(٤) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (١/٥٤) برقم: (١٧٨) (كِتَابُ الْإِيمَانِ، خالِقُ النَّاسِ بِخَلْقِ حَسَنٍ)

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١)، التحرير والتنوير (١٢٩/١٣).

"والتحقيق أن الآية تعم النوعين"^(١) أي مقابلة الشر بالخير، وأن يتبع المرء السيئة بالحسنة.

وأما القيود الأربعة المذكورة في الجزاء فهي:

الأول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبُ الدَّارِ﴾ وعقبى الدار: عاقبة الدنيا، وهي الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها، واجتلاب اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [لقمان: ٥]، وقدم المجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عُقَبُ الدَّارِ﴾؛ للدلالة على القصر، أي لهم عقبى الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم.^(٢)

الثاني: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من عقبى الدار، والعدن: الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وذكر يدخلونها لاستحضار الحالة البهيجة.^(٣)

الثالث: ﴿وَمَن صَلَحَ مِن ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي ومن آمن منهم؛ وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة، وقد ألحق الله تعالى بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم، وذكر الله هذا للبشرى كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وهذا كعكسه في قوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] لأن مشاهدة عذاب الأقارب عذاب مضاعف.^(٤)

الرابع: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤)

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣١).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٦/١٩)، تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، التحرير والتنوير (١٢٤/١٣).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٣٨١/٦)، تفسير البيضاوي (١٨٦/٣)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣).

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤٩٣/٢)، تفسير البحر المحيط (٣٨٢/٦)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣).

[الرعد: ٢٣-٢٤] وهذا من كرامتهم؛ فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة، وجملة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحية يقصد منها تأنيس أهل الجنة. (١)



٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: رتب الجزاء في الآية وهو مغفرة الله ﷻ على وصف وهو العفو والصفح؛ ومعنى الآية: لا يحلف أهل الفضل من مال وسعة على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح، وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه واتبع أمره ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها. (٢)

وسبب نزول الآية: ما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "لما أنزل الله في براءتي، قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩/١٣٦) تفسير الزمخشري (٣/٢٢٢).

كان يجري عليه" (١).

فالعفو والصفح عن المسيء حسن مندوب إليه، وربما وجب ذلك ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفى، لأن الله علق الغفران بالعفو والصفح: ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ والاستفهام في قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ إنكاري مستعمل في التحضيض على السعي فيما به المغفرة وذلك العفو والصفح، وفيه تمثيل وحجة أي: كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فذلك أعفر لمن دونكم ويشير إلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: "من لا يرحم لا يرحم" (٢).

وعطف ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على جملة ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: زيادة في الترغيب في العفو والصفح وتنبهًا على الأمر بالتخلق بصفات الله تعالى بحسب طاقة البشر. (٣).



٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) [فصلت: ٣٤-٣٥].

نوع التعليل: في الآية تعليان: الأول: جواب الطلب المقرون بالفاء، والثاني:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٣/٣) برقم: (٢٦٦١) (كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً)، ومسلم في "صحيحه" (١١٢/٨) برقم: (٢٧٧٠) (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧/٨) برقم: (٥٩٩٧) (كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته)، ومسلم في "صحيحه" (٧٧/٧) برقم: (٢٣١٨) (كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (١٧٣/٤)، تفسير الفخر الرازي (٣٥٢/٢٣)، التحرير والتنوير (١٨/١٨٩-١٩٠).

ترتيب الحكم على وصف.

دراسة التعليل: علل خلق العفو بجواب الطلب المقرون بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَوَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) وبما ترتب عليه من قوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

والمراد بالدفع بالتي هي أحسن: الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، وفسر الحظ بالثواب.

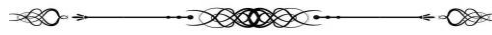
وقد بين سبحانه في آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، أن الحسنه والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، وفي التعبير بالحسنة والسيئة دون المحسن والمسيء؛ إشارة إلى أن كل فريق من هذين قد بلغ الغاية في جنس وصفه من إحسان وإساءة على طريقة الوصف بالمصدر، ونفي الاستواء بين شيئين يراد به غالباً تفضيل أحدهما على مقابله بحسب دلالة السياق؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] فحث سبحانه على الأخذ بالحسنة وأن تدفع بها السيئة التي ترد من الأعداء، وفي أمره بدفع السيئة بالأحسن بصيغة التفضيل؛ ترغيباً في دفع السيئة بها؛ لأن ذلك يشق على النفس؛ فإن الغضب من سوء المعاملة من طباع النفس وهو يبعث على حب الانتقام من المسيء، كما أن فيها مبالغة؛ لأن من هان عليه الدفع بالأحسن هان عليه الدفع بالحسن، وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة ﴿كَأَنَّهُ وَوَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ودخلت ﴿كَأَنَّ﴾ المفيدة للتشبيه؛ لأن العدو لا يعود ولياً حميماً بالدفع بالتي هي أحسن، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الصديق القريب، ولعل ذلك من باب الاكتفاء بأقل اللازم وهذا بالنظر إلى الغالب، وإلا فقد تزول العداوة بالكلية بذلك و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة، وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع بالتي هي أحسن في انقلاب العدو صديقاً، ﴿الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ [فصلت: ٣٤] أبلغ من عدوك ولذا اختير عليه مع اختصاره؛ فإن ظرف بينك وبينه يصدق بالبين القريب والبين البعيد، فيشمل ملازمة

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٨ / ٥٦١).

العداوة أو طرّوها، وهذا تركيب من أعلى طرف البلاغة لأنه يجمع أحوال العداوات فيعلم أن الإحسان ناجع في اقتلاع عداوة المحسن إليه للمحسن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفًا. (١)

ثم رتب على وصف العفو حكيمين في قوله: ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] فالحكم الأول: أنه لما أرشد الله تعالى إلى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا والآخرة نوه بفضله وذلك بملازمة خصلة الصبر له، وهي في ذاتها خصلة حميدة وثوابها جزيل: والضمير في ﴿يُلْقَنَهَا﴾ عائد على الأخلاق التي تُفهم من السياق، وهو مستعار للسعي لتحصيلها؛ لأن التحصيل على الشيء بعد المعالجة والتخلق يشبه السعي لملاقة أحد فيلقاه؛ فكأن هذه الخصلة الشريفة غائبة، ما يصادفها ويلقيها الله إلا لمن كان صابراً. (٢)

والحكم الثاني: زيد في التنويه بخصلة العفو بأنها ما تحصل إلا لذي حظ عظيم من الخير وكمال النفس والعقل والفضل والخلق حسن، وقيل الحظ العظيم الجنة، وعليهما فهو وعد وعلى الأول هو مدح، والحظ: النصيب من الشيء، وكرر ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا﴾ تأكيداً لمدح تلك الفعلة الجميلة الجليلة، وإضافة ﴿ذُو﴾ أفادت أن الحظ العظيم من الخير سَجِيَّةٌ وَمَلَكَتُهُ. (٣)



(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٢٠٠)، تفسير ابن عطية (٥/١٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤/٥٢)، تفسير البحر المحيط (٩/٣٠٦)، تفسير الألوسي (١٢/٣٧٥)، التحرير والتنوير (٢٤/٢٩٠-٢٩١-٢٩٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/١٦)، تفسير الرازي (٢٧/٥٦٥)، تفسير البحر المحيط (٩/٣٠٧)، تفسير الألوسي (١٢/٣٧٥)، التحرير والتنوير (٢٤/٢٩٤-٢٩٥).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/١٦)، تفسير الرازي (٢٧/٥٦٥)، تفسير البحر المحيط (٩/٣٠٧)، تفسير البيضاوي (٥/٧٢)، تفسير الألوسي (١٢/٣٧٥)، التحرير والتنوير (٢٤/٢٩٥).

٦ - قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].

نوع التعليل: علل العفو في هذا الموضع من سورة الشورى بعدة معلمات:

الأول: ترتيب الجزاء على وصف.

الثاني: جواب الشرط المقرون بالفاء.

الثالث: التعليل بجملة إن.

دراسة التعليل: أولاً: التعليل بترتيب الجزاء على وصف وذلك ببيان أن ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى: ٣٦] لمن اتصف بعدة صفات منها العفو: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

ثانياً: تعليل الحث على العفو والإصلاح بجواب الشرط المقترن بالفاء: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] ويصح أن يكون كذلك من ترتيب الجزاء على وصف.

ثالثاً: التعليل بجملة إن ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

جعل الله المؤمنين في الآيات صنفين صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] وصنف يتصرفون من ظالميهم، ووجه الجمع بين الوصفين: أن العفو على قسمين:

أحدهما: أن يكون العفو سبباً لتسكين الفتنة وجناية الجاني ورجوعه عن جنايته.

والثاني: أن يصير العفو سبباً لمزيد جراءة الجاني ولقوة غيظه وغضبه.

والآيات في العفو محمولة على القسم الأول، وآيات الانتصار محمولة على القسم

الثاني؛ حيث إنه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع فقط، ثم بين بعده أن شرعه مشروط برعاية المماثلة، ثم بين أن العفو أولى بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله. (١)

ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغطي الغضب عقولهم كما يغطي عقول الناس، فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي؛ لإفادة التَّقْوِي والاختصاص، وتقييد المسند بإذا المفيدة معنى الشرط؛ للدلالة على تكرر الغفران كلما غضبوا. (٢)

وقوله سبحانه في جزاء العاقي: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم. (٣)

والمراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] أي مُحْكَمُهَا وَمُتَقَنُّهَا والحميدُ العاقبة منها، وقد اشتمل هذا الخبر على أربعة مؤكدات هي: اللام، وإن، ولام الابتداء، والوصف بالمصدر في قوله: ﴿عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ تنويهاً بمضمونه، وزيد التنويه باسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾، فصار فيه خمسة اهتمامات، وهذه الجملة تفيد بيان مزية المؤمنين الذي تحملوا الأذى وصبروا عليه ولم يؤاخذوا به. (٤)

وهذه الآيات شملت أصول الإرشاد إلى ما في الانتصار من الظالم وما في العفو عنه من صلاح الأمة، ففي تحويل حق انتصار المظلوم من ظالمه ردع للظالمين عن الإقدام على الظلم خوفاً من أن يأخذ المظلوم بحقه، فالمعتدي يحسب لذلك حسابه حين ألهم بالعدوان، وفي الترغيب في عفو المظلوم عن ظالمه حفظ آصرة الأخوة الإسلامية بين

(١) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ١٥١)، تفسير الفخر الرازي (٢٧/ ٦٠٤)

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٢٢٨)، التحرير والتنوير (٢٥/ ١١١).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٢٢٨)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤١).

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤١)، التحرير والتنوير (٢٥/ ١٢٢).

المظلوم وظالمه كيلا تتلثم في آحاد جزئياتها بل تزداد بالعفو متانة. (١)

الفوائد من تعليل خلق العفو:

١. العفو والدفع بالأحسن يقتضي قدرًا كبيرًا من مجاهدة النفس؛ لذا جاء معللاً بعدة تعليلات ترغب به وتحث النفس البشرية عليه. (٢)

٢. في تعليل الحث على العفو بما يترتب عليه من مغفرة الله دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل. (٣)

٣. بين تعالى أن من تحلى بمكارم الأخلاق من العفو وكظم الغيظ فهو محسن، والله يحب المحسنين. (٤)

٤. قوله تعالى في آية النساء معللاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] منزل على قوله: ﴿أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ﴾ [النساء: ١٤٩] فندب سبحانه العباد إلى العفو بمفهوم هذه الكلام بإعلامهم أن تلك سنة في خلقه من عفوه عن المسيء مع القدرة على أخذه والانتقام منه. (٥)

٥. لما كان في فطرة ضمير كل إنسان الإحساس بكمال الفضائل الخلقية، ونقصان الرذائل الخلقية، فلا بد أن يشعر بقبح نفسه وصغارتها إذا هو أساء لإنسان فقابله ذلك الإنسان بالعفو والإحسان مع قدرته على أن يقابله بمثل إساءته أو أشد منها. (٦)

٦. معاهد الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين: صدق مع الحق، وخلق مع الخلق، والذي يتعلق بالخلق محصور في قسمين إيصال نفع إليهم ودفع ضرر عنهم،

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١٦/٢٥).

(٢) ينظر: هذه أخلاقنا (ص: ١٠٧). (٢) ينظر: هذه أخلاقنا لمحمود محمد الخزندار (ص: ١٠٧).

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٨٨/٥).

(٤) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٨٦٢/٣).

(٥) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١١٤/١).

(٦) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حبنكة الميداني (ص: ٤٧٦).

فقوله: ﴿إِنْ بُدِّ وَأَخِيْرًا أَوْ نُخْفُوهُ﴾ [النساء: ١٤٩] إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله: ﴿أَوْ تَعَفُّوْا﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر. (١)

٧. في الترغيب في عفو المظلوم عن ظالمه حفظ آصرة الأخوة الإسلامية بين المظلوم وظالمه كيلا تتلحم في آحاد جزئياتها بل تزداد بالعفو متانة. (٢)

٨. التخلق بالصبر شرط في القيام بفضيلة دفع السيئة بالتي هي أحسن، وأنه ليس وحده شرطاً فيها بل وراءه شروط أخر يجمعها قوله: ﴿حَظٌّ عَظِيْمٌ﴾ أي من الأخلاق الفاضلة. (٣)

(١) تفسير الفخر الرازي (١١/٢٥٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/١١٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٤/٢٩٥).

المطلب الثامن عشر: تعليل خلق الإجارة.

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

نوع التعليل: في الآية معللان:

أولهما: حتى "وحتى" يصح أن تكون للغاية أي: إلى أن يسمع. ويصح أن تكون للتعليل، وهي متعلقة في الحالين بأجره".^(١)

والثاني: باء السببية "وجملة" ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في موضع التعليل لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالإجارة إلى أن يصلوا ديارهم".^(٢)

دراسة التعليل: الاستجارة: طلب الجوار، وهو الكون بالقرب، وقد استعمل مجازاً شائعاً في الأمن، لأن المرء لا يستقر بمكان إلا إذا كان آمناً، والمعنى: إن أحد من المشركين استأمنك فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم، ولم يبين سبب الاستجارة، لأن ذلك مختلف الغرض وهو موكول إلى مقاصد العقلاء فإنه لا يستجير أحد إلا لغرض صحيح، وعللت الإجارة بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: إلى أن يسمع، أو كي يسمع، فجمعت ﴿حَتَّى﴾ في هذه الآية معنى الغاية والتعليل، وهي متعلقة في الحالين بـ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ ويبدو ترابط الغاية والتعليل باعتبار أنه جعل سماع هذا المستجير غرضاً وغاية لإقامته الوقتية عند الرسول ﷺ.^(٣)

(١) تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٧٤)، وينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٦٣٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٠).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/ ٦٣٦)، تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٧٤)، التحرير والتنوير

وَعُلِّلَ أَيْضًا وَجُوبَ تِلْكَ الْإِجَارَةُ بِكَوْنِهِ غَيْرَ عَالِمٍ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)
بسبب بأنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا،
وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله، فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا
 ويفهموا الحق، فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت إجارتها، وفي الآية تنويه بمعالي
أخلاق المسلمين وخطأ من أخلاق أهل الشرك، وأن سبب ذلك الخطأ: الإشراك الذي
يفسد الأخلاق، ولذلك جعلوا قومًا لا يعلمون.^(١)

الفوائد من تعليل خلق الإجارة:

١. جاء الأمر بخلق الإجارة وإبلاغ المأمّن بسبب أن المشركين قوم لا يعلمون ما
الإسلام وما حقيقته أو قوم جهلة فلا بد من إعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم
معذرة أصلاً.^(٢)

٢. يدل الأمر بهذا الخلق على شمول منظومة الأخلاق الإسلامية لجميع مناحي
الحياة، وتنظيمها لكافة العلاقات بما فيها علاقة المسلم بالكافر، ويدلّ تعليله على بالغ
رحمة الله تعالى بالناس.

= (١٠/١١٩)، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (ص: ١٨٦-١٨٧).

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٤/١٣٨)، تفسير الزمخشري (٢/٢٤٨-٢٤٩)، تفسير الفخر الرازي
(١٥/٥٣١)، التحرير والتنوير (١٠/١١٨-١٢٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/٤٤).

المطلب التاسع عشر: تعليل خلق الإحسان لليتامى.

١ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَهَا وَنَحْوَهُمْ قُلُوبٌ مِّمَّا خَلَتْ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَعَلَّ تَعْلَمُ الِّمُفْسِدِينَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

نوع التعليل: في الآية معللان: الأول: الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل، الثاني: جواب الشرط المقرون بالفاء "وقوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾" جواب الشرط ولذلك قرن بالفاء لأن الجملة الاسمية غير صالحة لمباشرة أداة الشرط".^(١)

دراسة التعليل: لما حذر الله تعالى من مال اليتيم في نحو قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الَّتِييمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّتِييمِ﴾ [النساء: ١٠] وقوله: ﴿وَأَتُوا الَّتِييمِ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] تخرج أولياء اليتيم عن تناول ماله ومخالطته، فبين تعالى أن الواجب على من ولي أمر اليتيم أن يتحرى الصلاح له، وأن لا حرج في مخالطته ومعاشرته على وجه ينفعه، وعلل الإصالح لليتامى بمعللين:

الأول: اسم التفضيل ﴿خَيْرٌ﴾: والمعنى إصالح أمورهم خير من إهمالهم أي أفضل ثواباً وأبعد عن العقاب، وهو يتناول حال المتكفل، أي هذا العمل خير له من أن يكون مقصرًا في حق اليتيم، ويتناول أيضًا اليتيم من حيث إنه يتضمن صلاح نفسه، وصلاح ماله، فهذه الكلمة جامعة لجميع مصالح اليتيم والولي.

الثاني: عُلل الأمر بمخالطتهم وإباحة التداخل معهم بجواب الشرط ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وذلك إشارة إلى نحو قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] أي فهم إخوانكم أي في الدين الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة، وهو على معنى التشبيه البليغ، والمراد بالأخوة أخوة الإسلام التي تقتضي المشاورة والرفق والنصح، والمقصود

(١) التحرير والتنوير (٢/٣٥٧).

من هذه الجملة الحث على مخالطتهم؛ لأنه لما جعلهم إخواناً كان من المتأكد مخالطتهم والوصاية بهم في هاته المخالطة؛ لأنهم لما كانوا إخواناً وجب بذل النصح لهم كما يبذل للأخ.^(١)

الفوائد من خلق الإحسان لليتامى:

١. دلّ التعليل في الآية على أن مداخلة الأيتام ومخالطتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم.^(٢)

٢. كان من يتولى أمر اليتيم في الجاهلية يستضعفه ويستحل ماله فينتفع به لنفسه، من أجل ذلك كله صار وصف اليتيم عندهم ملازماً لمعنى الخصاصة والإهمال والذل، وبه يظهر معنى امتنان الله تعالى على نبيه أن حفظه في حال اليتيم مما ينال اليتامى في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] فلما جاء الإسلام أمرهم بإصلاح حال اليتامى في أموالهم وسائر أحوالهم، وأكد على ذلك بمؤكدات عدة منها التعليل.^(٣)

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/٤٥٣)، تفسير الفخر الرازي (٦/٤٠٤-٤٠٥)، تفسير أبي السعود (١/٢٢٠)، التحرير والتنوير (٢/٣٥٦-٣٥٧).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (١/٢٦٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢/٣٥٥).

المطلب العشرون:

تعليل الإنفاق بإحسان والتخلي بأخلاق المتصدقين.

١- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ [البقرة: ٢٦٥].

نوع التعليل: المفعول له.

دراسة التعليل: بين التعليل في الآية أن المنفق ينبغي أن يكون قاصداً الوجهين اللذين لأجلهما أوجب على الناس الزكاة:

أحدهما: ابتغاء مرضاة الله، وطلب التوجه للوصول إليه.

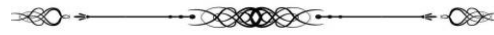
والثاني: تثبيت النفس؛ وفيه وجوه^(١):

الوجه الأول: التثبيت تحقيق الشيء وترسيخه، أي أنهم يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البر ولا يتركون مجالاً لخواطر الشح، ومن هذا قولهم: "ثبت قدمه" أي لم يتردد ولم ينكص، فإن إرضاء النفس على فعل ما يشق عليها لها أثر في رسوخ الأعمال حتى تعتاد الفضائل وتصير لها ديدناً، وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس لأن المال ليس أمراً هيناً على النفس، فهو شقيق الروح، وبذله أشق شيء على النفس إذ هي مجبولة على الشح والكسل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢١].

والوجه الثاني: وتصديقاً للإسلام، فإن امتثال الأحكام الشاقة لا يكون إلا عن تصديق للأمر بها، أي يدلون على تثبيت من أنفسهم، وتدلل هذه الآية على فضل الإنفاق

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٥٧-٥٥٨)، تفسير الزمخشري (١/ ٣١٣)، تفسير الفخر الرازي (٧/ ٤٨-٤٩)، التحرير والتنوير (٣/ ٥١-٥٢)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٣٢٩).

على وجه التثبيت من النفس؛ لأنه يندفع بدافع نفسي لا بتوصية من غيره أو نصيحة، ويجيء على الوجه الأول في تفسير التثبيت معنى أخلاقي وهو أن تكرر الأفعال هو الذي يوجب حصول الملكة الفاضلة في النفس، بحيث تنساق عقب حصولها إلى الكمالات باختيارها، وبلا كلفة ولا ضجر، فالإيمان يأمر بالصدقة وأفعال البر، والذي يأتي تلك الأمور يثبت نفسه بأخلاق الإيمان، وعلى هذا الوجه تصير الآية تحريضاً على تكرير الإنفاق.



٢- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتُمْ فَنِعْمَ أَهْلٌ وَتَوْفُوهَا وَتَوَاتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على وصف في جملة الشرط وجوابه.

دراسة التعليل: رتب الحكم في الآية وهو المدح على وصف وهي إظهار الصدقة، كما رتب حكم الخيرية على وصف وهو إخفاء الصدقة.

ومعنى قوله سبحانه في إظهار الصدقة: ﴿فَنِعْمَ أَهْلٌ﴾: أي فنعم الشيء هي، وهذا مدح لها، وقد أثنى الله تعالى على إبداء الصدقات وذلك في أحوال^(١):

الأول: حين يتوهم مبدئياً بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها ويتنظر بها الإخفاء فتفتوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها، فهذا المدح حتى لا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر، وهذه كانت حال الصحابة.

الثاني: أن الإنسان إذا علم أنه إذا أظهرها، صار ذلك سبباً لاقتداء الخلق به في إعطاء

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٥٨٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٥٦٩)، تفسير الزمخشري (١/٣١٦)، تفسير الفخر الرازي (٧/٦١-٦٤)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١٧٢-١٧٣)، تفسير أبي السعود (١/٢٦٣-٢٦٤)، التحرير والتنوير (٣/٦٧).

الصدقات فينتفع الفقراء بها فلا يمتنع، والحال هذه أن يكون الإظهار أفضل.

الثالث: أن الإظهار في إعطاء الزكاة الواجبة أفضل، لوجوه:

١ / أن الله تعالى أمر الأئمة بتوجيه السُّعَاة لطلب الزكاة، وفي دفعها إلى السُّعَاة إظهارها.

٢ / أن في إظهارها نفي التهمة، وإخفاءها يوهم ترك الالتفات إلى أداء الواجب.

٣ / أن إظهارها يتضمن المسارعة إلى أمر الله تعالى وتكليفه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأِنْ تَخَفُوا وَتَوْتُواهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فمدح صدقة السر لأسباب^(١):

الأول: أن فيها إبقاء على ماء وجه الفقير، حيث لم يطلع عليه غير المعطي.

الثاني: إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل؛ خوف الظلمة.

الثالث: الإخفاء والسكوت هو المخلص من الرياء والسمعة.

الرابع: بالغ قوم في قصد الإخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم الآخذ، احترازًا عن المنة.

الخامس: أنه إذا أخفى صدقته لم يحصل له بين الناس شهرة ومدح وتعظيم، فكان

ذلك يشق على النفس، فوجب أن يكون ذلك أكثر ثوابًا ومن ذلك قول النبي ﷺ في

الحديث الصحيح: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم -: ورجل

تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".^(٢)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٥٨٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٥٦٩)، تفسير الزمخشري (١/٣١٦)،

تفسير الفخر الرازي (٧/٦١ - ٦٤)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١٧٢ - ١٧٣)، تفسير أبي السعود (١/٢٦٣ - ٢٦٤)، التحرير والتنوير (٣/٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/١٣٣) برقم: (٦٦٠) (كتاب الأذان، باب من جلس في

المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد)، ومسلم في "صحيحه" (٣/٩٣) برقم: (١٠٣١) (كتاب

↔ =

السادس: أن الإظهار يوجب إلحاق الضرر بالآخذ من وجوه، والإخفاء لا يتضمن ذلك، فوجب أن يكون الإخفاء أولى، ومن تلك المضار: أن في الإظهار إخراج الفقير من هيئة التعفف وعدم السؤال، والله تعالى مدح ذلك بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعَرَّفُهُمْ بِسِمَتِهِمْ لَأَيْسَّرُوا لِنَاسٍ الْحَقَاقَةَ﴾ [البقرة: ٢٧٣].



٣- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف بفاء السببية "وأدخل الفاء في خبر الموصول للتمييز على تسبب استحقاق الأجر على الإنفاق؛ لأن المبتدأ لما كان مشتملاً على صلة مقصود منها التعميم، والتعليل والإيماء إلى علة بناء الخبر على المبتدأ- وهي ينفقون- صح إدخال الفاء في خبره كما تدخل في جواب الشرط لأن أصل الفاء الدلالة على التسبب وما أدخلت في جواب الشرط إلا لذلك"^(١).

دراسة التعليل: رتب الجزاء في الآية وهو الأجر والسلامة من الخوف والحزن، على وصف وهو الإنفاق بالليل والنهار سرًا وعلانية.

فمدح الله في الآية الذين ينفقون بالليل والنهار سرًا وعلانية والمعنى أنهم: يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال، والسر: الخفاء، والعلانية: الجهر والظهور- وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية؛ لأنه قدم الليل على النهار، والسر على العلانية في الذكر- والتعليل مستفاد من الإتيان بالفاء في الخبر؛ ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وجد من ليل أو نهار وعلى أي حالة وجد من سر

= الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة).

(١) التحرير والتنوير (٣/٧٧).

وعلانية؛ فإنه سبب الجزاء على كل حال فليبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار، ولا نفقة النهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر، ولا بنفقة السر وقت العلانية فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وجدت سبب لأجره وثوابه. (١)

والثواب هو ما ذكر خاتمة الآية: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والآية تدل على أن أهل الثواب لا خوف عليهم يوم القيامة، ويتأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].



٤ - قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْنَا وَمَا نُفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: أنيط الحكم في الآية وهو: تحصيل البر بوصف وهو إنفاق المرء مما يحب.

والمقصود من هذه الآية أمران: أولهما التحريض على الإنفاق والتنويه بأنه من البر، وثانيهما التنويه بالبر الذي الإنفاق خصلة من خصاله، فقال سبحانه لن تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبراراً، حتى تنفقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم، من نفيس أموالكم والمال المحبوب يختلف باختلاف أحوال المتصدقين ورغباتهم وسعة ثروتهم، والإنفاق منه دليل على سخاء لوجه الله تعالى، وفي ذلك تزكية للنفس من بقية ما فيها من الشح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وفي ذلك صلاح عظيم للأمة إذ تجود أغنياؤها على فقرائها بما تطمح إليه نفوسهم من نفائس

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣١٩/١)، تفسير الفخر الرازي (٧١/٧)، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١٦٠)، التحرير والتنوير (٧٧/٣).

الأموال فتشدد بذلك أو اصر الأخوة، ويهنأ عيش الجميع.^(١)

فبين تعالى في هذه الآية أن من أنفق مما أحب كان من جملة الأبرار، ثم قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢] وقال أيضا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] وقال أيضا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢٢] على الأرائك ينظرون ﴿٢٣﴾ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴿٢٤﴾ يسقون من رحيق مخحوم ﴿٢٥﴾ ختمه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿٢٦﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٦].



٥- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: يدعو تعالى ذكره المؤمنين إلى المبادرة والمسابقة إلى مغفرة الله سبحانه وما يستره ويغويه من الذنوب، وإلى المسارعة أيضًا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وتكثير ﴿مَغْفِرَةٍ﴾ ووصلها بقوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ مع إمكانية الإضافة بأن يقال إلى مغفرة ربكم؛ لقصد الدلالة على التعظيم، ووصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض على طريقة التشبيه البليغ؛ بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].^(٢)

ولما بين سبحانه الجزاء وهو: المغفرة والجنة المعدة للمتقين ذكر الأوصاف حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات، وافتتح بذكر الإنفاق

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦/٥٨٧)، تفسير الزمخشري (١/٣٨٤)، تفسير الفخر الرازي (٨/٢٨٨)، التحرير والتنوير (٤/٥-٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٠٧)، التحرير والتنوير (٤/٨٩).

لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين، وفي هذه الأخلاق وغيرها مجال واسع للمسارعة والمسابقة إلى الخيرات والجنة، وتخفيف التعلق بمطالب الدنيا والمسارعة بالاستعداد للعقبى^(١).

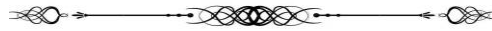
ومعنى السراء: في حال السرور، بكثرة المال ورخاء العيش، ومعنى الضراء: إذا أصابه الضر، وذلك إذا أصابه الضيق، والجهد في عيشه، والمقصود بذلك وجوه:

الأول: أنهم ينفقون في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل.

الثاني: أنهم ينفقون في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة، لا تمنعهم حال فرح وسرور، ولا حال محنة وبلاء، من المعروف، وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس، فإنه لا يدع الإحسان، فكأن الجمع بينهما هنا لأن السراء فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضراء فيها ملهاة وقلة موجدة.

الثالث: المعنى أن ذلك الإحسان والإنفاق سواء سرهم بأن كان على وفق طبعهم، أو ساءهم بأن كان على خلاف طبعهم فإنهم لا يتركونه.

فملازمة الإنفاق في هذين الحالين تدل على أن محبة نفع الغير بالمال، الذي هو عزيز على النفس، قد صارت لهم خلقاً لا يحجبهم عنه حاجب ولا ينشأ ذلك إلا عن نفس طاهرة.^(٢)



(١) ينظر: البرهان في أصول الفقه (٩٣/٢)، مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين (ص: ٣٠٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١٣/٧)، تفسير الزمخشري (٤١٥/١)، تفسير الفخر الرازي (٣٦٦/٩)،

التحرير والتنوير (٩١/٤).

٦ - قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُكُمُ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩)
 الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
 سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد: ١٩-٢٤].

نوع التعليل: في الآيات تعليلان:

الأول: تعليق الحكم على وصف.

الثاني: جملة صلة الموصول.

دراسة التعليل: ذكر في الآيات تعليلات عدة لما اتصف به المؤمنون من امتثال
 لأوامر الله تعالى، ولما تحلوا به من أخلاق فاضلة:

أولها: تعليق الحكم على وصف؛ وقد جاء تعليق الحكم على وصف في موضعين
 من الآيات:

أ/ ﴿إِنَّمَا يَنْذُرُكُمُ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ فعلق الحكم بكونهم أصحاب العقول السليمة على
 اتصافهم بما جرى ذكره لاحقاً في الآيات. (١)

ب/ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فعلق الجزاء والعاقبة الحسنة على اتصافهم بهذه
 الأوصاف. (٢)

والثاني: جمل صلة الموصول المتكررة في الآيات: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
 الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا
 ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى
 الدَّارِ (٢٢)﴾ [الرعد: ٢٠-٢٢]

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠٩)، تفسير البيضاوي (٣/١٨٦)، اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٢).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٩٤).

وهما تعليان للأخلاق المذكورة في الآيات: من الصبر والوفاء بالعهد وعدم الغدر، وصلة الرحم، والإنفاق سرًا وعلانية، ودفع السيئة بالحسنة، إلى جانب ما اتصفوا به من خشية الله تعالى، وإقامة الصلاة.^(١)

وقد ذكر ﷺ في الآيات تسعة قيود للشرط، ورتب عليها أربعة قيود للجزاء^(٢) أما القيود المذكورة في الشرط فهي:

الأول: الوفاء بالعهد.

الثاني: عدم نقض الميثاق.

الثالث: صلة ما أمر الله به أن يوصل.

الرابع والخامس: خشية الله عزَّجَلَّ والخوف من سوء الحساب.

السادس: الصبر ابتغاءً لوجه الله.

السابع والثامن: إقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلانية، فذكر سبحانه العبادة البدنية، والعبادة المالية، إذ هما عمود الدين، والصبر عليهما أعظم صبر لتكرار الصلوات، ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال.

وإقامة الصلاة: الإتيان بها على كمالها، والمراد الصلاة المفروضة، فذكر لهم سبحانه ما يعينهم على الصبر وهي الصلاة، والصبر والصلاة هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وقال ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق عليهم سرًا وعلانية؛ فأحسن أولو الألباب إلى أنفسهم: بالصبر والصلاة، وإلى غيرهم: بالإنفاق عليهم.

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/٢٩٣-٢٩٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٦/١٩).

والإنفاق سرًّا أفضل في التطوع؛ لأن التطوع كله الأفضل فيه التكتم، كما جاء في حديث «السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها»

أما الإنفاق علانية فهو أفضل في الفروض؛ لأن الإظهار فيها أفضل.^(١)

وجاءت صلة ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وما عطف عليها وهو ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ و﴿وَأَنفَقُوا﴾ بصيغة الماضي؛ لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم وتمكنها من أنفسهم؛ اعتناء بشأنها لأنها أصول لفصائل الأعمال.^(٢)

التاسع: درء السيئة بالحسنة.

وأما القيود الأربعة المذكورة في الجزاء فهي:

الأول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبُ الدَّارِ﴾ وعقبى الدار: عاقبة الدنيا، وهي الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها، واجتلاب اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ للتنبية على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي قبل اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [لقمان: ٥]، وقدم المجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿عُقَبُ الدَّارِ﴾؛ للدلالة على القصر، أي لهم عقبى الدار لا للمتصفين بأضداد صفاتهم.^(٣)

الثاني: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من عقبى الدار، والعدن: الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وذكر يدخلونها لاستحضار الحالة البهيجة.^(٤)

الثالث: ﴿وَمَن صَلَحَ مِّنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي ومن آمن منهم؛ وهذا يدل على

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠٩)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٠-٣٨١)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣٠-٣١).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٠)، تفسير أبي السعود (٥/١٧)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٨).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (١٩/٣٦)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨١)، التحرير والتنوير (١٣/١٢٤).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٦/٣٨١)، تفسير البيضاوي (٣/١٨٦)، التحرير والتنوير (١٣/١٣١).

أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة، وقد ألحق الله تعالى بالمؤمنين أهله المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم، وذكر الله هذا للبشرى كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وهذا كعكسه في قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] لأن مشاهدة عذاب الأقارب عذاب مضاعف. (١)

الرابع: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [العدد: ٢٣-٢٤] وهذا من كرامتهم؛ فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة، وجملة ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ تحية يقصد منها تأنيس أهل الجنة. (٢)

٧- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٦٠) ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١) [المؤمنون: ٦٠-٦١].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على وصف.

دراسة التعليل: يمدح سبحانه في الآية من يتصدق ويأتي الطاعات وهو على وجل وخشية من الله تعالى أنهم إليه راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله، ومعنى: ﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ يعطون ما أعطوا، فدخل فيه كل حق يلزم إيتاؤه سواء كان ذلك من حق الله تعالى: كالزكاة والكفارة وغيرهما، أو من حقوق الأدميين: كالودائع والديون، وبين أن ذلك إنما ينفع إذا فعلوه وقلوبهم وجلت؛ لأن من يقدم على العبادة وهو وجل من تقصيره وإخلاله بنقصان أو غيره، فإنه يكون لأجل ذلك الوجل مجتهداً في أن يوفيهما حقها في الأداء، ثم يذكر سبحانه الجزاء المترتب على ذلك:

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٩٣)، تفسير البحر المحيط (٦/٣٨٢)، التحرير والتنوير (١٣/١٣١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٣٢).

﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦٦) أي: سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها، وافتتح باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ لزيادة تمييزهم للسامعين؛ لأن مثلهم أحرىء بأن يعرفوا، وتقديم المجرور ﴿لَهَا﴾ للاهتمام ولرعاية الفاصلة. (١)

وفي الحديث عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: "قلت: يا رسول الله، قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر، وهو مع ذلك يخاف الله عَزَّجَلَّ؟ قال: لا، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله عَزَّجَلَّ". (٢)



٨- قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) [القصص: ٧٧].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بالكاف. (٣)

دراسة التعليل: جاء هذا الأمر بالإحسان في سياق الخطاب لقارون وحثه على ابتغاء الدار الآخرة بما أعطاه الله، والإحسان، والبعد عن الفساد، فقد حثه قومه على أن يتغني بغناه وثروته الدار الآخرة بأن يفعل أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، ويجعلها زاده إلى الآخرة، وحذف متعلق الإحسان؛ لتعميم ما يحسن إليه فيشمل نفسه وقومه ودوابه ومخلوقات الله الداخلة في دائرة التمكّن من الإحسان إليها، فالإحسان

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/٤٤+٤٨)، تفسير الفخر الرازي (٢٣/٢٨٣)، تفسير أبي السعود (٦/١٤٠)، التحرير والتنوير (١٨/٧٨).

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٢/٣٩٣) برقم: (٣٥٠٧) (كتاب التفسير، تحريم المتعة) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) ينظر: تفسير ابن عرفة (٢/٥٧٧)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٩٩)، التحرير والتنوير (٢٠/١٧٩).

في كل شيء بحسبه، والإحسان لكل شيء بما يناسبه. (١)

وعُلل هذا الحث على الإحسان بالكاف التي جمعت إلى معنى التشبيه الأصلي فيها معنى آخر وهو التعليل "فإن كاف التشبيه تتضمن نوعاً من التعليل... والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه: الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر" (٢).



٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) [فاطر: ٢٩-٣٠].

نوع التعليل: لام التعليل "التعليل بقوله: ليوفيههم" (٣).

دراسة التعليل: تسمى هذه الآية آية القراء، حيث يثني سبحانه على من تلا كتابه، وأقام الصلاة، وتصدق من الأموال التي أعطاه الله إياها سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وقوله: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ للامتنان والإيماء إلى أنه إنفاق شكر على نعمة الله عليهم بالرزق فهم يعطون منه أهل الحاجة. (٤)

وعُلل ما ذكر من الأخلاق الفاضلة بقوله عزَّجَلَّ: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ والمعنى: ليوفيههم جزاء أعمالهم بالثواب وهو مما يتوقعونه ولو كان أمرًا بالغ الغاية ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ يعطيهم مما سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، وما لم يخطر ببالهم عند العمل، فيزيدهم على ما تستحقه أعمالهم ثوابا من فضله، أي كرمه، وهو

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/٦٢٥)، تفسير الزمخشري (٣/٤٣١)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٥)، التحرير والتنوير (٢٠/١٧٩-١٨٠).

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٩٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/٣٠٧).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٣٠٦-٣٠٨).

مضاعفة الحسنات الواردة في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] ويحتمل أن يكون: يزيدهم النظر إليه جلّ في علاه، وذيل سبحانه هذا الوعد بما يحققه وهو أن الغفران والشكران من شأنه، فإن من صفاته الغفور الشكور، أي الكثير المغفرة والشديد الشكر ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠] تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي غفر العظيم من ذنوبهم، وشكر اليسير من أعمالهم، وهو سبحانه غفور عند إعطاء الأجور شكور عند إعطاء الزيادة، وأكد هذا الخبر بياناً؛ لما في التأكيد من الإيدان بكون ذلك علة لتوفية الأجور والزيادة فيها. (١)



١٠- قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (٩) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا﴾ (١٠) [الإنسان: ٨-١٠].

نوع التعليل: جاء التعليل في هذا الموضوع بلام التعليل، وبجملة إن " وجملة إنا نخاف من ربنا إلى آخرها واقعة موقع التعليل لمضمون جملة لا نريد منكم جزاء ولا شكورا". (٢)

دراسة التعليل: يثني سبحانه على الأبرار الذين تقربوا إليه بألوان الطاعات ومنها إطعام الطعام على حُبِّهم له، وعلة إطعامهم: ابتغاءهم بذلك وجه الله تعالى، فلا ينتظرون من غيره جزاء ولا شكورًا، وعلة إخلاصهم: خوفهم من الله عزَّجَلَّ، وخشيتهم أحداث يوم القيامة.

ومعنى التعليل في قوله: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ طلب رضا الله، والقربة إليه، والإحسان تارة

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٦٣/٢٠)، التفسير الوسيط للواحدى (٣/٥٠٥)، تفسير الزمخشري (٣/٦١١)، تفسير الفخر الرازي (٢٦/٢٣٧)، تفسير أبي السعود (٧/١٥٢)، التحرير والتنوير (٢٢/٣٠٦-٣٠٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/٣٨٥).

يكون لأجل الله تعالى، وتارة يكون لغير الله إما طلباً لمكافأة أو ثناء، وتارة يكون لهما فلما قالوا: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ يبقى احتمال أنهم أطعموا لوجه الله ولسائر الأغراض على سبيل التشريك، فنفى عنهم هذا الاحتمال بقوله: ﴿لَا تُزِيدُنَا مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ فهو تقرير وتأکید لما قبله، وجاء التعليل أيضاً بقوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ والمعنى: إنهم يقولون ذلك لهم تأنيساً لهم ودفعاً لانكسار النفس الحاصل عند الإطعام، أي ما نطعمكم إلا استجابة لما أمر الله، فالمطعم لهم هو الله، وشبه تعالى اليوم الذي تحدث فيه حوادث تسوءهم برجل يخالطهم يكون شرس الأخلاق عبوساً في معاملته، قمطيراً: وهو الشديد الصعب من كل شيء.^(١)



١١- قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّهَا أَلْفَىٰ﴾ (١٧) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا إِتِنَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢١) [الليل: ١٧-٢١].

نوع التعليل: في الآية الشريفة ثلاثة أنواع من التعليل:

أولها: ترتيب الجزاء على وصف. والثاني: الحال. والثالث: المفعول لأجله.

دراسة التعليل: يشي تبارك وتعالى على إنفاق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَيَرْتَبِ عَلَيْهِ ذَلِكَ جَزَائِينَ:

الأول: إبعاده عن نار جهنم، وجعله منها على جانب.

والثاني: وعده بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢١).

ويعلل تبارك وتعالى إنفاق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذِكْرِ حَالِهِ: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ وفائدة الحال التنبيه على أنه يؤتي ماله لقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضاً بالمشركين الذي يؤتون المال للفخر والرياء والمفاسد والفجور، ويعلله كذلك بالمفعول لأجله: ﴿إِتِنَاءً وَجْهِ رَبِّهِ﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩٨/٢٤)، تفسير ابن عطية (٥/٤١٠)، تفسير الفخر الرازي (٣٠/٧٤٨)، تفسير أبي السعود (٩/٧٢)، التحرير والتنوير (٢٩/٣٨٤-٣٨٦).

أَعْلَى ﴿﴾ وهو المقصد الشريف من إنفاقه رَحْمَةً عَلَيْهِ، ومعنى الكلام: أن هذا الأتقى لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي يجازيه عليها، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده ولا لمكافأة على هدية أو نعمة سالفة؛ لأن ذلك يجري مجرى أداء الدين، فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب بل إنما يستحق الثواب إذا فعله لأجل أن الله أمره به وحثه عليه. (١)

الفوائد من تعليل الإنفاق بإحسان والتحلي بأخلاق المتصدقين:

١. دلّ التعليل في الآيات على ما للنية من أثر في قبول الأعمال؛ وذلك بابتغاء المنفق وجه الله ومرضاته.
٢. الإنفاق دليل حسن ظن بالله وثقة به، وهذا ما أشار إليه تعليل القرآن. (٢)
٣. فضل الإنفاق في كل وقت وعلى كل حال؛ لما يترتب عليه من الأجر العظيم عند الله، والأمن من الخوف والسلامة من الحزن.
٤. دلّ التعليل بترتيب أعظم جزاء وهو الجنة على الإنفاق حالي السراء والضراء أنه خلق عظيم فاضل إن تحلت به النفس البشرية سمت وارتقت إلى رضوان الله تعالى.
٥. أفادت الكاف بتعليلها للإحسان في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الفصل: ٧٧] دافعاً ومحركاً قوياً من محركات الإحسان؛ وهو الإحسان السالف من الله ﷻ، فحريٌّ بالعباد شكره تعالى على ذلك بإحسانهم.
٦. يوفي سبحانه أجور المنفقين، ويزيدهم من فضله بمضاعفة الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ومعرفة مثل هذا الأجر سبب يدفع المحسن إلى زيادة إحسانه، والإخلاص لله تعالى.

(١) ينظر: التفسير البسيط (٨٨/٢٤)، تفسير البغوي (٥/٢٦٤)، تفسير الزمخشري (٤/٧٦٥)، تفسير الفخر الرازي (٣١/١٨٨)، تفسير أبي السعود (٩/١٦٨)، التحرير والتنوير (٣٠/٣٩١).

(٢) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٣/٦٢٨).

٧. كان العطاء لإرادة الجزاء والشكر متعارف عليه في الجاهلية، فلذلك امتدح الله الأبرار الذين عللوا إنفاقهم بابتغاء وجه الله وحده، وعدم طلب الجزاء والشكر من الناس.

٨. دلّ التعليل في الآيات على أن تثبيت الإنسان لعمله، واطمئنانه به من أسباب قبوله؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] لأن الإنسان الذي لا يعمل إلا كارهاً فيه خصلة من خصال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].^(١)

٩. البر من الأمور العظيمة التي لا تتحقق بمجرد الرغبة في نيلها، بل إنه يفرض على من يتصف به أن يتحمل التضحيات، قال تعالى: ﴿لَنَنَالُوا اللَّيْلَ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾.^(٢)

١٠. ضرب سبحانه المثل في أعظم مقاصد الإنفاق بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لتتخذ الأمة قدوة لها في تصحيح دافع الإنفاق والعطاء.

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/٣٢٩).

(٢) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم (ص: ٣٢).

المطلب الحادي والعشرون: تعليل التحلي بأخلاق عباد الرحمن.

١ - قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: عللت صفات عباد الرحمن في هذه الآيات بترتيب الجزاء عليها، فبعد أن ذكر سبحانه ما تحلى به عباد الرحمن بين ما ترتب على ذلك من جزاء وهو الخلود في الجنة، وما يلقون فيها من التحايا والسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، خبره اسم الإشارة الذي ذكر في جزائهم: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ وما تخلل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي^(١) وهي:

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/٨٣)، التحرير والتنوير (١٩/٨٤).

الصفة الأولى: التواضع ولين الجانب: وهو من الأخلاق الفاضلة التي وصفوا بها قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فلما تقدم ذكر الكفار وذمهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] جاء ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين، حيث إن من أغراض سورة الفرقان: التنويه بالقرآن ومن جاء به ومن اتبعوه. (١)

وفي الإطناب بصفاتهم الطيبة تعريض بأن الذين أبوا السجود للرحمن وزادهم نفوراً هم على الضد من تلك المحامد، وهذا التعريض تشعر به أيضاً إضافة عباد إلى الرحمن، كما أن إضافتهم إلى الرحمن تفيد التخصيص والتفضيل وإلا فالخلق كلهم عباد الله، وإشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، كما أنهم الراسخون في عبادته. (٢)

والمراد بالعبودية في هذه الآية العبودية الخاصة بالمؤمنين وهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه سبحانه إلا لهؤلاء.

فإن العبودية نوعان: عامة، وخاصة؛ فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فهذا يدخل فيه المؤمن والكافر. (٣)

وكان أول ما وصف به عباد الرحمن: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] والهون: الرفق واللين، والمشى الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال، أي

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ١٢٥)، التحرير والتنوير (١٩/ ٦٦).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٣٠)، الباب في علوم الكتاب (١٤/ ٥٦٣)، تفسير الألوسي (١٠/ ٤٣)، تفسير السعدي (ص: ٥٨٦)، التحرير والتنوير (١٩/ ٦٧).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٢٥-١٢٦).

يمشون بالسكينة والوقار متواضعين، ولا يتبخثون لأجل الخيلاء كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بأداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية، فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي أهل الجاهلية، والتخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرحمة المناسب لعباد الرحمان لأن الرحمة ضد الشدة، فالهون يناسب ماهيتها وفيه سلامة من صدم المارين. (١)

الصفة الثانية: الحلم: وهو كذلك من الأخلاق الحميدة التي وصف بها عباد الرحمن فبين سبحانه حالهم في المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم في أنفسهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ولما كانت العشرة عشرين: عشرة الرجل وعشرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة الأخرى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فوصفهم سبحانه بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، ولأجل المناسبة بين الصفتين عطف هذه على الصلة الأولى، ولم يكرر اسم الموصول كما كرر في الصفات بعدها. (٢)

والجهل في الآية: ضد الحلم، وذلك أشهر إطلاقاته عند العرب قبل الإسلام وذلك معلوم في كثير من الشعر والنثر؛ كما في قول من قال:

أَلَا لَا يَجْهَلُونَ أَحَدًا عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ (٣)

فذكر سبحانه من صفات عباد الرحمن أنهم يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه وإذا خاطبهم الجاهلون بما لا يسوغ الخطاب به قالوا سلامًا أي: تسلماً

(١) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/٤٨٠)، تفسير البحر المحيط (٨/١٢٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٦٣)، التحرير والتنوير (١٩/٦٨).

(٢) ينظر: الداء والدواء (ص: ١٦٢)، تفسير الألوسي (١٠/٤٤)، التحرير والتنوير (١٩/٧٠).

(٣) البيت لعمر بن كلثوم من معلقته، وهو من بحر الوافر، ينظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٠٠).

منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر، فهو سلام توديع لا تحية كقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ [مریم: ٤٧]، أو أنهم قالوا قولاً يسلمون فيه من الإثم. (١)

وفي الآية حث على إظهار الحلم في مقابلة الجهل؛ فإن الإغضاء عن السفهاء مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع، وذكرهم بصفة الجاهلين دون غيرها مما هو أشد مذمة مثل الكافرين؛ لأن هذا الوصف يشعر بأن الخطاب الصادر منهم خطاب الجهالة والجفوة. (٢)

الصفة الثالثة: التهجد: فلما ذكر سبحانه وصفهم بالنهار من وجهين: أحدهما: ترك الإيذاء بقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ﴾ [الفرقان: ٦٣]، والثاني: تحمل الإيذاء بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، شرح صفتهم في الليل بقوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وإعادة الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾ لتأكيد أنهم يعرفون بهذه الصفة. (٣)

والبيتوتة هو أن يدرك الليل نمت أو لم تنم، والظاهر أنه إحياء الليل بالصلاة أو أكثره، وتخصيص البيتوتة؛ لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء، وفي هذه الآية حض على قيام الليل في الصلاة. (٤)

وقدم السجود وإن كان متأخرًا في الفعل لاتفاق الفواصل، ولفضل السجود فإنها حالة أقرب ما يكون العبد فيها من الله، وهو ما بيّنه النبي ﷺ بقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، ووقوع الإطناب في التعبير عن الصلاة بركنيها (القيام والسجود)

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/٣٢٧)، تفسير البحر المحيط (٨/١٢٦)، تفسير البيضاوي (٤/١٣٠)، تفسير أبي السعود (٦/٢٢٨)، فتح القدير للشوكاني (٤/٩٩)، التحرير والتنوير (١٩/٦٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/٤٨١)، التحرير والتنوير (١٩/٦٩).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/٤٨١)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٦٤)، التحرير والتنوير (١٩/٧٠).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/١٢٧)، تفسير البيضاوي (٤/١٣٠).

للتنويه بكليهما. (١)

الصفة الرابعة: الخوف: وصفهم سبحانه بإحياء الليل ساجدين ثم عقبه بذكر دعائهم إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۗ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦] وفي حكاية قولهم هذا مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون إلى ربهم عَزَّجَلَّ في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۖ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وفي ذلك تحقيق إيمانهم بالبعث والجزاء. (٢)

والمراد بصرف العذاب: إنجائهم منه بتيسير العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات، والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي الغريم لملازمته، والمستقر: مكان الاستقرار، والمقام: اسم مكان الإقامة، أي ساءت موضعاً لمن يستقر فيها بلا إقامة مثل عصاة أهل الأديان، ولمن يقيم فيها من المكذبين للرسول المبعوثين إليهم. (٣)

الصفة الخامسة والسادسة: ترك الإسراف والإقتار: والتوسط بينهما من الأخلاق التي حث عليها القرآن واصفاً بها عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٧] فوصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير، وبمثله خوطب الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ۖ﴾ [الإسراء: ٢٩] (٤).

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (١٢٧/٨)، اللباب في علوم الكتاب (٥٦٤/١٤)، التحرير والتنوير (٧٠/١٩).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (١٢٨/٨)، تفسير الألوسي (٤٥/١٠).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٥٦٤/١٤)، فتح القدير للشوكاني (١٠٠/٤)، التحرير والتنوير (٧١-٧٠/١٩).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط (١٢٩/٨)، اللباب في علوم الكتاب (٥٦٧/١٤).

وقد أفاد قوله إذا أنفقوا أن الإنفاق من خصالهم، وأريد بالإنفاق هنا الإنفاق غير الواجب؛ لأن الإنفاق الواجب لا يذم الإسراف فيه، والإنفاق الحرام لا يحمد مطلقاً، على أن في قوله ﴿إِذَا أَنْفَقُوا﴾ إشعاراً بأنهم اختاروا أن ينفقوا ولم يكن واجبا عليهم. (١)

والقتل والإقتار والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف. والإسراف: مجاوزة الحد في النفقة

والقوام: العدل بين الشيين لاستقامة الطرفين واعتدالهما، والمعنى: كان إنفاقهم مستويًا قصدًا لا إسرافًا ولا تقتيرًا. (٢)

الصفة السابعة والثامنة والتاسعة: التنزه عن الشرك والقتل والزنى: ذكر سبحانه أن من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا، ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه المحترزات وعقابه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وقد روي عن النبي ﷺ ما يفيد أن هذه الأمور أكبر الذنوب ففي الحديث أن ابن مسعود قال: "سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك". (٣)

ووجه ترتيب تنزيه عباد الرحمن عن هذه الأمور العظيمة بعد نزهاها عن الأمور

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٩ / ٧١).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٣ / ٢٩٢-٢٩٣)، الباب في علوم الكتاب (١٤ / ٥٦٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨ / ٦) برقم: (٤٤٧٧) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٣) برقم: (٨٦) (كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده).

الخفيفة: أن الموصوف بتلك الصفات السالفة من تواضع وحلم واقتصاد في الإنفاق قد يكون متمسكاً بالشرك تديناً ومقدماً على قتل الموءودة تديناً وعلى الزنا تديناً، فبين تعالى أن المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن، حتى يتجنب هذه الكبائر، فالمقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار، كأنه قال: وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر وأنتم تدعون، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق وأنتم تقتلون الموءودة، ولا يزنون وأنتم تزنون.^(١)

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إشارة إلى المعارض والسبب المبيح للقتل وهو: الردة، والزنا بعد الإحصان، وقتل النفس المحرمة.^(٢)

والآثام: جزاء الإثم، فأما مضاعفة العذاب فهي أن يعذب على كل جرم مما ذكر عذاباً مناسباً ولا يكتفى بالعذاب الأكبر عن أكبر الجرائم وهو الشرك؛ وفي تنبيه على أن الشرك لا ينجي صاحبه من تبعة ما يقترفه من الجرائم والمفاسد، وأما الخلود في العذاب فقد اقتضاه الإشراف، وقوله: ﴿مُهَكَأً﴾ فيه تشنيع لحالهم في الآخرة، أي يعذب ويهان إهانة زائدة على إهانة التعذيب بأن يشتم ويحقر، فيجتمع له العذاب الجسماني والروحاني.^(٣)

الصفة العاشرة: التوبة: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ [الفرقان: ٧٠-٧١].

والتوبة هي: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فرط، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب، وفي الآية تطمين لنفوس فريق من المؤمنين الذين قد كانوا تلبسوا بخصال أهل

(١) ينظر: تفسير الرازي (٤٨٣/٢٤) اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٦٩).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٧٠).

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/٢٩٤) تفسير الألوسي (١٠/٤٨)، التحرير والتنوير (١٩/٧٤-٧٥).

الشرك ثم تابوا عنها بسبب توبتهم من الشرك، وفيها كذلك مدح المتاب، وعطف سبحانه ﴿وَأَمَّنْ﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ للتبويه بالإيمان، وليبني عليه قوله: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ إيماء إلى أن الصالحات لا يعتد بها إلا مع الإيمان، وبه يظهر موقع اسم الإشارة في قوله: فأولئك المفيد التنبيه على أنهم أحرى بما أخبر عنهم به بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر من الأوصاف قبل اسم الإشارة، أي فأولئك التائبون المؤمنون العاملون الصالحات في الإيمان يبدل الله عقاب سيئاتهم التي اقترفوها من الشرك والقتل والزنا بثواب، ولم تتعرض الآية لمقدار الثواب وهو موكول إلى فضل الله، ولذلك عقب هذا بقوله: وكان الله غفوراً رحيماً المقتضي أنه عظيم المغفرة. (١)

ثم ذكر سبحانه في الآية الثانية تعميم بعد تخصيص وهو أن من تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها، وعمل صالحاً يتلافى به ما فرط ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: من أتى بهذه التوبة في الماضي على سبيل الإخلاص فقد وعده بأنه سيوفقه للتوبة في المستقبل، فيستمر على توبته ولا يرد على عقبيه، فيكون وعداً من الله تعالى أن يثبته على القول الثابت إذا كان قد تاب وأيد توبته بالعمل الصالح، وهذا من أعظم البشارات. (٢)

الصفة الحادية عشر: تجنب شهادة الزور: وهو من الأخلاق التي حثت عليها الآيات؛ حيث أتبع سبحانه خصال المؤمنين الثلاث التي هي قوام الإيمان بخصال أخرى هي من كمال الإيمان، والتخلق بفضائله، ومجانبة أحوال أهل الشرك: أولها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه؛ لما في ذلك من الإشعار بالرضا به، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وفي معنى هذه الآية يقول سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ١٣٢)، التحرير والتنوير (١٩/ ٧٥ - ٧٧).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٤٨٥)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٣١)، التحرير والتنوير (١٩/ ٧٩).

الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].^(١)

الصفة الثانية عشر: العفو عن المسيء: وهو خلق عظيم قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] أي أنهم إذا مروا على طريق الاتفاق باللغو وهو: ما يجب أن يلغى وي طرح مما لا خير فيه، ومعنى المرور به المرور بأصحابه اللاغين في حال لغوهم، فجعل المرور بنفس اللغو للإشارة إلى أن أصحاب اللغو متلبسون به وقت المرور، ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معناه أنهم يكرمون أنفسهم عن مثل حال اللغو وإكرامهم لها لا يكون إلا بالإعراض، ومن ذلك: الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به، كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [الفص: ٥٥].^(٢)

الصفة الثالثة عشر: قبول الموعدة ودعوة الحق: وهو خلق حميد حثت عليه الآيات: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣] والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها بأذان واعية وأعين راعية، وهذا المعنى دلت عليه آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] ومعلوم أن من تليت عليه آيات القرآن فزادته إيماناً أنه لم يخر عليها أصم أعمى، وعبر عن ذلك بنفي الضد؛ لتحصيل الشاء عليهم مع التعريض بما يفعله الكفرة والمنافقون؛ فإنهم إذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكرها في ظاهر الأمر، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وكانوا صمًا وعمياناً حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها.^(٣)

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٣١)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٣٠)، تفسير الألوسي (١٠/ ٥٠)، التحرير والتنوير (١٩/ ٧٨).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٤٨٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٥٧٤)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٣٠)، التحرير والتنوير (١٩/ ٧٩).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ١٣٢)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٥٧٥)، تفسير أبي السعود

الصفة الرابعة عشر: إظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء والابتهال إليه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [٧٤: الفرقان] فمن صفات عباد الرحمن أنهم يعنون بانتشار الإسلام وتكثير أتباعه فسألوا ربهم أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عمالًا لله، يسرون بمكانهم وتقرّ بهم عيونهم، إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بأزواج وأبناء مؤمنين، وقد نهى الله المسلمين عن إبقاء النساء الكوافر في العصمة بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَسَّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ [المتحنة: ١٠] وقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ مَا أَتَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الأحقاف: ١٧] فلذلك جعل دعاؤهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقرّة أعينهم؛ إذ لا يناكذ حظ النفس حظ الدين في أعمالهم.^(١)

وتقدير الآية: هب لنا أزواجًا وذريات مطيعين لك، فلما كانت طاعتهم سببًا لسرورهم وضع المسبب موضع السبب للمبالغة، وأن المطلوب الأولى بالأولاد طاعة الله، وجعل هذا الدعاء من جملة صفات المؤمنين للدلالة على عظم منزلة من يطلب النكاح لذلك، وهذا بالنسبة إلى الداعي فكيف بمن يتصف بذلك^(٢) وقيل: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤] في طاعة الله وما شيء أقر لعين المؤمن أن يرى حبيبته في طاعة الله.^(٣) وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرّة تعظيمًا، ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين، وتقليلها حيث قال أعين دون عيون؛ لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].^(٤)

= (٦/ ٢٣١)، التحرير والتنوير (١٩/ ٨٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٨٠).

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٢٩٦)، التحرير والتنوير (١٩/ ٨١).

(٢) حاشية الطيبي على الكشاف (١١/ ٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦/ ١٠٩) برقم: (٤٧٦٠) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) عن الحسن معلقًا.

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٢٩٦)، تفسير الرازي (٢٤/ ٤٨٧)، تفسير البضاوي (٤/ ١٣١).

وقرة العين كناية عن السرور والفرح، مأخوذ من القَرَّ: وهو البرد؛ لأن دمعة السرور باردة ولذا يقال في ضده: أسخن الله تعالى عينه، ومنه قول الشاعر:

فَأَمَّا عِيُونَ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخِنَتْ وَأَمَّا عِيُونَ الشَّامِتِينَ فَقَرَّتْ^(١)

وقيل: هو مأخوذ من القرار؛ لأن ما يسرّ يقر النظر به ولا ينظر إلى غيره.^(٢)

وكما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم سألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله إلى الإيمان أن يجعلهم قدوة يقتدي بهم المتقون، ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، ودرجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] فهذا الدعاء يستلزم من خير الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، ويقتضي أيضا أنهم يسألون أن يكونوا دعاة للدخول في الإسلام وأن يهتدي الناس إليه بواسطتهم.^(٣)

• وفائدة إعادة الاسم الموصول ﴿وَالَّذِينَ﴾ في المواقع السبعة، مع كفاية ذكر الصلوات بطريق العطف على صلة الموصول الأول: للإيدان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله، وله شأن، وهو حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تنمة لغيره.^(٤)

ثم بين تبارك وتعالى جزاءهم المترتب على ما اتصفوا به: ﴿أُولَئِكَ يُحْزَنُ لَكُمُ الْعُرْفُ مَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا﴾ [٧٥] ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [٧٦] [الفرقان: ٧٥-٧٦]

(١) البيت لأبي تمام، وهو من بحر الطويل، ينظر: شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (١/١٦٢).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/٤٨٧)، اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٧٦)، تفسير الألويسي (١٠/٥١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٧)، التحرير والتنوير (١٩/٨٣).

(٤) ينظر: تفسير الألويسي (١٠/٥٢).

ولما بَيَّن تَبَارَكَ وَتَعَالَى صفات المتقين المخلصين بَيَّن بعده ما ترتب على ذلك من إحسانه إليهم، فعُللت تلك الصفات بما ترتب عليها من جزاء.

والتصدير باسم الإشارة للتنبيه على أن ما يرد بعده كانوا أحرىء به لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة من صفات. (١)

فاسم الإشارة إذا عقب به من أجرى عليه الأوصاف دل على أن المذكور قبله جديرٌ بما بعده، فالسبب في أن عباد الرحمن يجزون الغرفة: الأوصاف السابقة التي أجريت عليهم، فكان من حق الظاهر أن يجاء بدل ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: "بما فعلوا" كنايةً عن تلك المذكورات، وفائدة العدول عن ذلك: الإيذان بأن ملاك العبادات الصبر، وأن حبس النفس على طاعة الله هي الطلبة، وقطعها عن مشتبهاتها هو المرام. (٢)

والغرفة: الدرجة الرفيعة في الجنة، فإن الغرفة كل بناء مرتفع عالٍ، والمراد يجزون الغرفات وهي العلالى في الجنة، ووُحِدت اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، والدليل على ذلك قوله جل ذكره: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ ءَامُنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، فلما كانت همهم ومطالبهم عالية كان الجزاء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات. (٣)

والباء في ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ للسبب، فبيَّن سبحانه أن خلودهم في جنات النعيم كان بسبب صبرهم، ولم يذكر متعلق الصبر مخصصاً ليعم جميع متعلقاته، فيشمل كل مصبور عليه، وبسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] ولهذا قال هنا: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَحْيَاةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥] من ربهم، ومن ملائكته الكرام، ومن بعض على بعض،

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٤/٥٧٧)، التحرير والتنوير (١٩/٨٤).

(٢) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١١/٣٠٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/٤٦٠)، تفسير الزمخشري (٣/٢٩٦)، تفسير النسفي (٢/٥٥٢)، تفسير السعدي (ص: ٥٨٧).

ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات.^(١)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الفرقان: ٧٦] أي مقيمين فيها من غير موت ولا زوال، ولا يُخرجون منها، ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] أي: موضع قرار وإقامة.^(٢)

الفوائد من تعليل التحلي بأخلاق عباد الرحمن:

١. أولئك المتصفون بصفات الكمال الموسومون بفضائل الأخلاق والآداب، يجزون المنازل الرفيعة والدرجات العالية بسبب: صبرهم على فعل الطاعات، واجتنابهم للمنكرات، ويتبدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوفير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام.^(٣)

٢. هذه الآيات وما ورد فيها من تعليل تُعتبر من النصوص القرآنية الجامعة للضروريات الخمس، وهي آيات مكية مما يضيف عليها مزيداً من الأهمية؛ فعامّة الأحكام المكية أحكام كلية تأسيسية مستوفية للمقاصد الشرعية.^(٤)

٣. ذكر الله عَزَّجَلَّ لأهل هذا المقام الشريف أوصافاً عديدة وسمات مباركة؛ ليجتهد المسلم في الاتصاف بها والعمل بمقتضاها؛ لينال المقام الرفيع والشرف الكبير عند رب العالمين.^(٥)

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٢٩٧)، تفسير البحر المحيط (٨/ ١٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٥٨٧).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط (٣/ ٣٤٩)، تفسير البغوي (٣/ ٤٦٠)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٣٢).

(٣) تفسير المراغي (١٩/ ٤٢).

(٤) محاضرات في مقاصد الشريعة للريسوني (ص: ١٦٧-١٦٨).

(٥) صفات عباد الرحمن لعبدالرزاق البدر (ص: ٥).

المبحث الثاني

تعليل الأخلاق الاجتماعية المذمومة

وفيه أحد عشر مطلباً:

- المطلب الأول: تعليل خلق السخرية واللمز والتنازب بالألقاب.
- المطلب الثاني: تعليل خلق الغيبة.
- المطلب الثالث: تعليل خلق ترك التناصح.
- المطلب الرابع: تعليل خلق الخضوع بالقول.
- المطلب الخامس: تعليل خلق رد سباب المشركين.
- المطلب السادس: تعليل خلق الكبر والاختيال.
- المطلب السابع: تعليل خلق سوء الظن.
- المطلب الثامن: تعليل خلق الغدر والخيانة.
- المطلب التاسع: تعليل خلق أكل أموال اليتامى.
- المطلب العاشر: تعليل خلق الإسراف والبخل.
- المطلب الحادي عشر: تعليل خلق المبالغة في الفرح بالدنيا.

* * * * *

المطلب الأول:

تعليل خلق السخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

١ - قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تُنْسَىٰ مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].

نوع التعليل: في الآية نوعان من التعليل:

الأول: الاستئناف البياني في قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ وهذه الجملة مستأنفة، وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه، أي ربما يكون المسخور منه عند الله خيراً من الساخر^(١).

والثاني: تعليق الحكم وهو: الفسق، على الأوصاف المذكورة من سخرية و لمز وتنابز بالألقاب.

دراسة التعليل: قال عَزَّجَلَّ في الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فلما اقتضت الأخوة أن تحسن المعاملة جاءت هذه الآيات منبهة على أمور من حسن المعاملة قد تقع الغفلة عن مراعاتها لكثرة تفسيها، وقد تعرضت الآيات الواقعة عقب هذا النداء لصنف مهم من معاملة المسلمين بعضهم لبعض مما فشا في الناس التساهل فيها وهي من إساءة الأقوال، وتلك المنهيات هي السخرية واللمز والنبز.

فالسخرية: هي الاستهزاء والاستحقار، وخص النساء بالذكر مع أن القوم يشملهم بطريق التغليب العرفي في الكلام؛ دفعاً لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال إذ كان الاستسغار متأصلاً في النساء، فالاستحقار إنما يصدر في أكثر الأمر من الرجال بالنسبة إلى الرجال؛ لأن المرأة في نفسها ضعيفة فلا يلتفتون لها في ذلك، وأما المرأة فلا يوجد

(١) تفسير البحر المحيط (٥١٧/٩)، وينظر: تفسير الزمخشري (٣٦٨/٤).

منها استحقاق الرجل وعدم التفاتها إليه لا اضطرارها إليه وأما الرجال بالنسبة إلى الرجال والنساء بالنسبة إلى النساء فيوجد فيهم هذا النوع من القبح، والعلة من تحريم السخرية: دل عليه الاستئناف في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ فالكلام المستأنف ورد مورد جواب السائل عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه، والمعنى: يجب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر؛ لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات، وإنما الذي يزن عند الله: إخلاص الضمائر وتقوى القلوب، فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يراه رث الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقيق من قره الله والاستهانة بمن عظمه الله، وهذا التعليل يفيد المبالغة في النهي عن السخرية بذكر حالة يكثر وجودها، فتكون السخرية أفضح، ولأنه يثير انفعال الحياء في نفس الساخر بينه وبين نفسه.^(١)

أما اللمز: فهو ذكر ما يعده الذاكر عيباً لأحد مواجهة فهو المباشرة بالمكروه؛ فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلاً فهو وقاحة وكذب، فقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بمعنى لا يعب بعضكم بعضاً ولا يطعن بعضكم على بعض؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه، وجاء بذلك لتقرير معنى الأخوة، وأما التنايز بالألقاب: فالتنايز التفاعل من النبز بتحريك الباء وهو اللقب السوء، فالمراد بالألقاب في الآية الألقاب المكروهة، فنهى أن يدعو بها المسلم أخاه، والعلة من تحريم هذه الصفات المذمومة: في قوله تعالى: ﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ومعنى ذلك: إن من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، فهو تعريض قوي بأن ما نهوا عنه فسوق، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه فدل قوله: ﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ على أن ما نهوا عنه مذموم لأنه

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/٣٦٨-٣٦٩)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/١٠٨).

فسوق يعاقب عليه ولا تزيله إلا التوبة وفي الحديث: "سباب المسلم فسوق" ^(١) وإيثار لفظ الاسم هنا من البلاغة بمكان؛ لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة إذ الألقاب أسماء فكان اختيار لفظ الاسم للفسوق مشاكلة معنوية، ومعنى البعدية في قوله: ﴿بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بعد الاتصاف بالإيمان، أي أن الإيمان لا يناسبه الفسوق لأن المعاصي من شأن أهل الشرك الذين لا يزعمهم عن الفسوق وازع. ^(٢)

الفوائد من تعليل خلق السخرية واللمز والتنابز بالألقاب:

١. عللت الأخلاق المنهي عنها في هذه الآية لبيان فظاعتها وتحقيق التحذير منها، إذ كانت شائعة في المجتمع الجاهلي، فكان ينبغي تطهير المجتمع آنذاك منها.
٢. هذه الأخلاق مما يفتّ عضد الأخوة الإسلامية، لذا جاء النهي عنها مقروناً بالتعليل مما يفيد الحكم توكيداً، ويدل على مزيد التحذير منه.
٣. لا بد أن تقترن الأخلاق المذكورة بنفس متعالية وكبر متأصل فيها، فيجمع المتخلق بها إذ ذاك بينها، وبين معصية أخرى: وهي الكبر والاختيال على الناس.
٤. السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم. ^(٣)
٥. لمقصد حماية الأعراض من الناحية الاجتماعية حرم الله بين المسلمين السخرية واللمز والتنابز بالألقاب السيئة. ^(٤)

-
- (١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٨/١) برقم: (٤٨) (كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر).
 - (٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/٢٩٧)، تفسير البغوي (٤/٢٦١)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٤٦ - ٢٥٠).
 - (٣) تفسير السعدي (ص: ٨٠١).
 - (٤) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٦/٢٣٣).

المطلب الثاني: تعليل خلق الغيبة.

١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّهُ بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف.

دراسة التعليل: رتب في الآية الحكم وهو مقتضى التشبيه الوارد في الآية على وصف وهي الغيبة.

فالآية تشير إلى وجوب حفظ عرض المؤمن في غيبته، ومعنى ﴿وَلَا يَغْتَبَ﴾ لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، فإن تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان، حيث إن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبت، وإن لم يكن فيه فقد بهته" (١).

والاستفهام في ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ تقريرى؛ لتحقق أن كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أوجب الاستفهام بقوله: فكرهتموه، أي: فتحققت كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أيضاً أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين، وفي هذا التشبيه مبالغات شتى تدل على عظم هذه المعصية: منها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخاً فهو أكد في المنع؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو ولا يكون ذلك من الأخ، ومنها أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً، ومنها الاستفهام التقريرى الذي لا يقع

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢١/٨) برقم: (٢٥٨٩) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة).

إلا على أمر مسلم عند المخاطب، ومنها جعل ما هو شديد الكراهة للنفس مفعولا لفعل المحبة للإشعار بتفطيع حالة ما شبه به وحالة من ارتضاه لنفسه فلذلك لم يقل: أيتحمل أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، بل قال: أيجب أحدكم.^(١)



٢- قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف.

دراسة التعليل: رتب في الآية الحكم وهو الويل على من اتصف بالهمز واللمز.

والويل لفظة الدم والسخط، وهي كلمة كل مكروب، وأصله: وي لفلان ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام، وروي أنه جبل في جهنم، وقيل: واد في جهنم.^(٢)

والهمزة: المغتاب للناس، يغتابهم ويغضهم، وصف مشتق من الهمز، وهو أن يعيب أحدًا بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس بحضرته أو عند توليه، ويقال: هامز وهماز، وصيغة فعلة يدل على تمكن الوصف من الموصوف، واللمزة: وصف مشتق من اللمز وهو المواجهة بالعيب، ثم هذا على قسمين: فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك، وكل واحد من القسمين إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي، أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة، وكل ذلك من المحرم المنهي عنه بعموم لفظ الآية.^(٣)

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحد (٤/١٥٦)، تفسير الزمخشري (٤/٣٧٣-٣٧٤)، تفسير الفخر

الرازي (٢٨/١١٠-١١١)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٥٤-٢٥٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/٥٩٥)، تفسير الفخر الرازي (٣٢/٢٨٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/٥٩٥)، تفسير ابن عطية (٥/٥٢١)، تفسير الفخر الرازي (٣٢/٢٨٣-

٢٨٤)، التحرير والتنوير (٣٠/٥٣٦-٥٣٧).

الفوائد من تعليل خلق الغيبة:

١. عللت الغيبة بتعليلين عظيمين يشيران إلى خطر هذا الفعل، ووجوب اجتنابه.
٢. دَلَّ التعليل بالويل على تعظيم أمر الغيبة وهمز الناس ولمزهم، فتعليق الويل عليه دليل على أنه مما ينبغي أن يتقى لكي لا يكون صاحبه من أهل الشر والحزن.
٣. الغيبة مرض اجتماعي يقطع أواصر المحبة بين المسلمين لذا اعتنى القرآن بالتحذير منها وتعليلها.^(١)
٤. الحكمة في التشبيه: الإشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وعرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى.^(٢)



(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (١١ / ١٧٧).

(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٨ / ١١٠).

المطلب الثالث: تعليل خلق ترك التناصح.

١ - قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: علق الحكم في الآية وهو اللعن: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ والذم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ على وصف وهو عصيانهم واعتدائهم وعدم تناهيهم عن المنكرات.

كان اليهود يفتخرون بأنهم من أولاد الأنبياء، فذكر الله تعالى هذه الآية لتدل على أنهم ملعونون على السنة الأنبياء وقد نزل لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى، وذكر سبحانه سبب لعنهم وهو: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر. (١)

وقد يقال كيف تكون أمة كلها متمالئة على العصيان والاعتداء؟ فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ وذلك أن شأن المنكرات أن يتدتها الواحد أو نفر القليل، فإذا لم يجدوا من يُعَيِّرُ عليهم تزايدوا فيها ففشت حتى تعم وينسى كونها منكرات فلا يهتدي الناس إلى الإقلاع عنها والتوبة منها فتصيبهم لعنة الله، فلذلك كان من علة لعنهم أيضاً أنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: لا ينتهون عن منكر فعلوه، ولا ينهي بعضهم بعضاً، وقد أكد ذم هذا الفعل في آخر الآية فقال للتعجب من سوء فعلهم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ اللام في لبئس لام القسم، كأنه قال: أقسم

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٠٧).

لبئس ما كانوا يفعلون، وهو ارتكاب المعاصي والعدوان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أكد فعل الذم بإدخال لام القسم عليه للإقضاء في ذمة، وأطلق على ترك التناهي لفظ الفعل في قوله: ﴿لِبئْس مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ مع أنه ترك، لأن السكوت على المنكر لا يخلو من إظهار الرضا به والمشاركة فيه.^(١)

الفوائد من تعليل خلق ترك التناصح:

١. ليس من مكارم الأخلاق مجارة المبطلين والسكوت عنهم؛ لذا حذر القرآن من هذا السلوك ورتب عليه اللعن.

٢. يخوّف التعليل في الآية من وقوع الإنسان ضمن دائرة اللعن والذم مما يجعله يسعى لإقامة عذره أمام ربه، ويخرج من عهدة التقصير في الأمر بالمعروف؛ لئلا يدخل في قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٧٩) وهذه إحدى حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].^(٢)

٣. من المقاصد التي يحققها هذا الخلق: مقصد الاجتماع ونبذ الفرقة، ومقصد إشاعة الخير وتكثيره، ومقصد تحقيق خيرية الأمة، ومقصد دفع الفساد والتقليل منه، ومقصد تحقيق الفلاح، ومقصد الإعذار عند الله، ومقصد الإنقاذ والتوبة^(٣) والآيات المعللة التي درست في هذا الموضوع تؤكد تحقيق شعيرة التناصح لهذه المقاصد.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٩٦/١٠)، تفسير الزمخشري (١/٦٦٦-٦٦٧)، تفسير الفخر الرازي

(١٢/٤١١-٤١٢)، تفسير أبي السعود (٣/٦٩)، التحرير والتنوير (٦/٢٩٢-٢٩٤).

(٢) ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/٢٨١).

(٣) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن رؤية في تحديد المقاصد والوسائل للدكتور عويض العطوي (ص: ٢٣-٤٦) باختصار.

٤. لولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفرق الناس شيعاً، وتمزقوا كل ممزق كل حزب بما لديهم فرحون، وبه فضلت هذه الأمة على غيرها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وبتركه ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].^(١)

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/٣٣٣).

المطلب الرابع: تعليل خلق الخضوع بالقول.

١ - قوله تعالى: ﴿يُنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف بفاء السببية.

دراسة التعليل: فرّع سبحانه على تفضيل نساء النبي ﷺ وتبيين قدرهن إرشادهن إلى دقائق من الأخلاق قد تقع الغفلة عن مراعاتها لخفاء الشعور بآثارها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليق بحرمتهن في نفوس بعض ممن اشتملت عليه الأمة وفيها منافقوها، يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله ﷺ: ﴿يُنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ من نساء هذه الأمة ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فأطعته في ما أمرن ونهاكن، ثم نهاهن الله تعالى عما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال برخييم القول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ ومعناه: لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام، مثل كلام المربيات والمومسات، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريباً، والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق. (١)

ثم علل تبارك وتعالى نهيهن عن الخضوع بالقول ببيان ما يتسبب عن ذلك من مفسدة عظيمة، وهي قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه؛ إما شك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش، وحذف متعلق فيطمع تنزها وتعظيماً لشأن نساء النبي ﷺ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/٢٥٧)، تفسير البغوي (٣/٦٣٥)، تفسير الزمخشري (٣/٥٣٧)، تفسير ابن عطية (٤/٣٨٢)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٦٧)، التحرير والتنوير (٢٢/٨).

مع قيام القرينة، وفي إعادة خطابهم من جانب ربهم وإعادة ندائهم دليل على الاهتمام بهذا الخبر اهتمامًا يخصه.^(١)

الفوائد من تعليل خلق الخضوع عن القول:

١. أفاد التعليل في الآية عموم الحكم في سائر نساء الأمة، وإن كان الخطاب موجهاً لأزواج النبي ﷺ.

٢. المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة، لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة.^(٢)

٣. لما أمرهن بالتقوى التي من شأنها التواضع ولين الكلام نهاهن عن الخضوع بالقول؛ لئلا يطمع فيهن ذو المرض، ثم أمرهن بعد ذلك بالقول المعروف؛ رفعاً لتوهم الإذن في الكلام المنكر.^(٣)

٤. النهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت.^(٤)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٥٨/٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٣١٩/٤)، التحرير والتنوير (٦/٢٢).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤٦١/٣).

(٣) الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة لابن القيم (٣٩٣/١).

(٤) المصدر السابق (٩/٢٢).

المطلب الخامس: تعليل خلق رد سباب المشركين.

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنَالِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

نوع التعليل: التعليل بجملته جواب الطلب.

دراسة التعليل: يعلل القرآن بعض الأحكام بذكر ما يترتب عليها من المفسد، كما في هذه الآية حيث نهى سبحانه المؤمنين في الآية عن سب ما يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فقد كان المسلمون يسبون آلهتهم، فنهوا عن ذلك، والعلة: لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى، فيسب المشركون الله جهلاً منهم بربهم، واعتداء بغير علم.^(١)

وتندرج هذه الآية ضمن قاعدة أصولية هامة وهي: اعتبار المآل؛ وهي أن النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً ويختلف الحكم باختلافها، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة.^(٢)

كما أن هذه القاعدة يبنى عليها قاعدة أصولية بالغة الأهمية وهي: سد الذرائع، وهي حسم الوسيلة المشروعة التي تؤدي إلى الوقوع في الممنوع أو المحظور.^(٣)

وسد الذرائع نفسه مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد دلت النصوص على اعتباره ومراعاته، ومن ذلك هذه الآية.^(٤)

(١) ينظر: تعليل الأحكام لشلبي (ص: ١٥).

(٢) الموافقات للشاطبي (١٧٧/٥)، محاضرات في مقاصد الشريعة (ص: ٢٢٠-٢٢١).

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين (ص: ٢٧٧).

(٤) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي (ص: ٥٤٨).

فشتم الأصنام، وإن كان حقاً؛ إلا أنه إذا وقع على وجه يستلزم وجود منكر عظيم، وجب الاحتراز منه، فهو يستلزم إقدامهم على سبِّ الله وسبِّ رسوله، وعلى فتح باب السفاهة، وعلى تغيير هم عن قبول الدين، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم، فلكونه مستلزماً لهذه المنكرات، وقع النهي عنه، فالتعليل في الآية فيه تأديب لمن يدعو إلى الدين، لئلا يتشاغل بما لا فائدة له في المطلوب، لأن وصف الأوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في إلهيتها، فلا حاجة مع ذلك إلى شتمها.^(١)

الفوائد من تعليل خلق رد سباب المشركين:

١. رب طاعة علم أنها تكون سبباً لمفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها لأنها سبب لمعصية، لا لأنها طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجل الطاعات، فإذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر انقلب معصية، ووجب النهي عن ذلك النهي. كما يجب النهي عن المنكر.^(٢)

٢. دل التعليل في هذه الآية على أنه لا يجوز أن يفعل بالكفار ما يزدادون به بعداً عن الحق ونفوراً؛ إذ لو جاز أن يفعله لجاز أن يأمر به، وكان لا ينهي عما ذكرنا، وكان لا يأمر بالرفق بهم عند الدعاء. كقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].^(٣)

٣. احتج العلماء بهذه الآية على إثبات أصل من أصول الفقه وهو سد الذرائع، حيث منع الله في كتابه أحداً أن يفعل فعلاً جائزاً يؤدي إلى محذور ولأجل هذا تعلق العلماء بهذه الآية في سد الذرائع.^(٤)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٣/١٢)، تفسير الفخر الرازي (١١٠/١٣)، التحرير والتنوير (٤٣٢/٧).

(٢) تفسير الزمخشري (٥٦/٢).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١١٠/١٣).

(٤) التحرير والتنوير (٤٣١/٧).

المطلب السادس: تعليل خلق الكبر والاختيال.

١- قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

٢- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

نوع التعليل: ترتيب الحكم على الوصف.

دراسة التعليل: رتب سبحانه الحكم في الآية وهو: نفي محبته عن من اتصف بالاختيال والفخر والاستكبار.

فالمختال: ذو الخيلاء والكبر، والفخور: الذي يعدد مناقبه كبراً وتطاولاً، وكلا الوصفين منشأ للغلظة والجفاء فهما ينافيان الإحسان المأمور به؛ لأن المراد الإحسان في المعاملة وترك الترفع على من يظن به سبب يمنعه من الانتقام، وإنما خص عزَّجَلْ هذين الوصفين بالذم في هذا الموضع؛ لأن المختال هو المتكبر وكل من كان متكبراً فإنه قلما يقوم برعاية الحقوق، ثم أضاف إليه ذم الفخور؛ لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة وتعداد المناقب، بل لمحض أمر الله تعالى، وفي الآية تعريض بأخلاق أهل الشرك لما عرفوا به من الغلظة والجفاء، فهي في معنى التحذير من بقايا الأخلاق التي كانوا عليها. (١)

والمستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليه،

(١) ينظر: التفسير البسيط (٦/٥٠٧-٥٠٨)، تفسير الزمخشري (١/٥٠٩)، تفسير الفخر الرازي (١٠/٧٨)، التحرير والتنوير (٥/٥١).

ويجوز أن يعم كل مستكبر، ويدخل هؤلاء تحت عمومه، وجملة ﴿أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كناية عن الوعيد بالمؤاخذة بما يخفون وما يظهرون من الإنكار والاستكبار وغيرهما، مؤاخذة عقاب وانتقام، فلذلك عقب بجملة إنه لا يحب المستكبرين الواقعة موقع التعليل والتذليل لها؛ لأن الذي لا يحب فعلاً، قادرٌ على أن يجازي فاعله بالسوء. (١)



٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا

[الإسراء: ٣٧].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن "﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تعليل للنهي". (٢)

دراسة التعليل: في هذه الآية إحدى الوصايا الجليلة التي تضمنتها سورة الإسراء، وهي النهي عن خصلة الكبرياء، فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بالكبر والفخر فالمرح: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق، ومشيته هي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر، والمراد من الآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة، ثم إنه تعالى علل النهي عن الخيلاء والتكبر فقال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ والمراد من الخرق هاهنا نقب الأرض، ومعنى ذلك أن المشي إنما يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنه قيل: إنك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رؤوس الجبال، والمراد التنبيه على كونه ضعيفاً عاجزاً فلا يليق به التكبر، والكلام مستعمل في التعليل بتنزيل الماشي الواطئ الأرض بشدة منزلة من يتبغي خرق وجه الأرض وتنزله في تطاوله في مشيه إلى أعلى منزلة من يريد أن يبلغ طول الجبال، والمقصود من التهكم التشيع بهذا الفعل، فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام؛ لأنه فساد في خلق صاحبه وسوء

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٦٠١)، تفسير أبي السعود (٥/١٠٦)، التحرير والتنوير (١٤/١٢٩).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/١٧٢).

في نيته وإهانة للناس بإظهار الكبر عليهم وإرهابهم بقوته. (١)



٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان: ١٨].

نوع التعليل: التعليل بجملته إنَّ "﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾" تعليل للنهي (٢) والتعليل بتعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: علل النهي في الآية بخاتمتها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وفي ذات التذييل تعليل بترتيب الحكم وهو عدم محبة الله على وصفي الاختيال والفخر.

وفي الآية يعلم لقمان ابنه الآداب في معاملة الناس فينهاه عن احتقار الناس وعن التفاخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم.

فيقول: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ ولا تعرض بوجهك عمّن كلمته تكبراً واستحقاقاً لمن تكلمه، بل أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، وقيل المعنى: ولا تلو شذقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره، فالنهي عن الإعراض عنهم احتقاراً لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك، ويقول: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ولا تمش في الأرض مختالاً، فالمرح: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق، ومشيته هي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر، والمراد من الآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة. (٣)

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (ص: ٦٣٥)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/٣٤١-٣٤٢)، التحرير والتنوير (١٥/١٠٣-١٠٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٧/٧٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/١٤٣ + ١٤٥)، تفسير الزمخشري (٣/٤٩٧)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٥)، التحرير والتنوير (٢١/١٦٦).

وعَلَّ سبْحَانَهُ النَّهْيَ عَنِ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿فَنَفَىٰ مَحَبَّتَهُ جَلَّ وَعَلَا عَمَّنْ اتَّصَفَ بِالْخِيَلَاءِ وَالْفَخْرِ﴾.

الفوائد من تعليل خلق الكبر والاختيال:

١. التعليل بترتيب محبة الله وعدمها على الوصف دافع قوي للالتزام بالمأمور به، واجتناب المنهي عنه.

٢. يسعى الفخور للفت أنظار الناس إليه وكسب استحسانهم وتقديرهم، فيحرم محبة الله ﷻ، وعنايته بجناب الله أعظم وأجل.

٣. دلّ التعليل بنفي محبة الله عن عموم المختالين، على وجوب اجتناب كافة صور الكبر والخيلاء، وعدم خصوص النهي بما ذكر في الآية.

٤. ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ ﴿تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وإيدان بأن ذلك مفاخرة مع الأرض وتكبر عليها أي لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطأتك﴾ ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ﴾ التي هي بعض أجزاء الأرض ﴿طُولًا﴾ حتى يمكن لك أن تتكبر عليها إذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجنة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه. (١)

(١) تفسير أبي السعود (٥/١٧٢).

المطلب السابع: تعليل خلق سوء الظن.

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]

نوع التعليل: التعليل بجملة إن "تعليل النهي بجملة ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فموقع الجملة موقع تعليل".^(١)

دراسة التعليل: هذه إحدى الوصايا الجليلة التي اشتملت عليها سورة الإسراء، حيث ينهى سبحانه عن اتباع الحدس والظن بلا تثبت وعلم.

وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضا إصلاح عقلي جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة، ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة كلها أخلاق تنافي الفطرة، ولا يرضاها الإسلام؛ فمنها خلة من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس، ومنها القذف بالزنى وغيره من المساويء بدون مشاهدة، ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور.^(٢)

وما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني: تعليل النهي بجملة ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فموقع الجملة موقع تعليل، أي إنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك، فظاهر الآية يدل على أن هذه الجوارح مسؤولة وفيه وجوه^(٣):

الوجه الأول: أن المراد أن صاحب السمع والبصر والفتواد هو المسؤول.

(١) التحرير والتنوير (١٥/١٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/١٠٠-١٠٢).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٣٣)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/٣٤١)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٧٠).

والوجه الثاني: أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع في ماذا أفي الطاعة أو في المعصية؟ وكذلك القول في بقية الأعضاء، وذلك لأن هذه الحواس آلات النفس، والنفس كالأمير لها والمستعمل لها في مصالحها فإن استعملتها النفس في الخيرات استوجبت الثواب، وإن استعملتها في المعاصي استحققت العقاب.

والوجه الثالث: أنه ثبت بالقرآن أنه تعالى 'يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنها تشهد على الإنسان والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] ولذلك لا يبعد أن يخلق الحياة والعقل والنطق في هذه الأعضاء ثم إنه تعالى 'يوجه السؤال عليها.



٢- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن واسمها وخبرها "قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١) تعليل للأمر بالاجتناب".^(١)

دراسة التعليل: في الآية تأديب عظيم يبطل ما كان فاشياً في الجاهلية من الظنون السيئة التي تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد والاعتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذراً من اعتداء مظنون ظناً باطلاً، وما نجمت العقائد الضالة والمذاهب الباطلة إلا من الظنون الكاذبة قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْفُلًا هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].^(٢)

(١) حاشية الطيبي على الكشاف (١٤/٤٩٨)، وينظر: تفسير أبي السعود (٨/١٢٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/٢٥١).

وقوله ﴿كثيراً﴾ إخراج للظنون التي عليها تبنى الخيرات فلم يقل: الظن كله، وقد علم من قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أن بعضاً من الظن ليس إثماً وأنا لم نؤمر باجتنباب الظن الذي ليس بإثم، فعلى المسلم أن يكون معياره في تمييز أحد الظنين من الآخر أن يعرضه على ما بينته الشريعة، فمنه ظن يجب اتباعه كالحذر من مكائد العدو في الحرب، وكالظن المستند إلى الدليل الحاصل من دلالة الأدلة الشرعية، فإن بعض التفريعات الشرعية حاصلة من الظن المستند إلى الأدلة. (١)

وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ تعليل للأمر بالاجتناب، والإثم: الذنب الذي يستحق العقوبة (٢) ولكون بعض الظن إثم أسباب (٣):

الأول: أن ينشأ على ذلك الظن عمل أو مجرد اعتقاد، فإن كان قد ينشأ عليه عمل من قول أو فعل كالاغتياب والتجسس وغيره فيأثم.

الثاني: الظن الباطل إذا تكررت ملاحظته قد يصير علماً راسخاً في النفس فتترتب عليه الآثار بسهولة فتصادف من هو حقيق بضدها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

الثالث: أن الظن الحسن الذي لا مستند له غير محمود لأنه قد يوقع فيما لا يحد ضره من اغترار في محل الحذر ومن اقتداء بمن ليس أهلاً للتأسي؛ وفي حديث أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين مات في بيتها عثمان بن مظعون فقالت: "رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي. قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً". (٤)

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢٨/١١٠)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٥٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/٣٠٣)، زاد المسير في علم التفسير (٤/١٥١)، تفسير أبي السعود (٨/١٢٢)، التحرير والتنوير (٢٦/٢٥١-٢٥٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/٢٥١-٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٢/٢) برقم: (١٢٤٣) (كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت
⇐=

الفوائد من تعليل خلق سوء الظن:

١. العلوم إما مستفادة من الحواس أو من العقول، أما القسم الأول: فإليه الإشارة بذكر السمع والبصر، فإن الإنسان إذا سمع شيئاً ورآه فإنه يرويه ويخبر عنه، وأما القسم الثاني: فهو العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان: البديهية والكسبية، وإلى العلوم العقلية الإشارة بذكر الفؤاد.^(١)

٢. علل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] إشارة إلى الأعضاء الثلاثة، وأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها.^(٢)

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] إشارة إلى الأخذ بالأحوط كما أن الطريق المخوفة لا يتفق كل مرة فيه قاطع طريق، لكنك لا تسلكه لاتفاق ذلك فيه مرة ومرتين، إلا إذا تعين فتسلكه مع رفقة كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ.^(٣)

٤. من معاني الأمر باجتناّب كثير من الظن: الأمر بتعاطي وسائل اجتنابه فإن الظن يحصل في خاطر الإنسان اضطراراً عن غير اختيار، فلا يعقل التكليف باجتناّب وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه إلى أن يتبين موجهه بدون تردد أو برجحان أو يتبين كذبه فتكذب نفسك فيما حدثتك، وهذا التحذير يراد منه مقاومة الظنون السيئة بما هو معيارها من الأمارات الصحيحة.^(٤)

= (بعد الموت).

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٠ / ٣٤١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٢٧٠).

(٣) تفسير الفخر الرازي (٢٨ / ١١٠).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦ / ٢٥٢).

المطلب الثامن: تعليل خلق الغدر والخيانة.

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

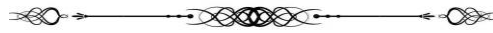
٢- قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

نوع التعليل: إناطة الحكم بوصف.

دراسة التعليل: أنيط الحكم في الآية وهو نفي محبة الله، على وصف وهو الخيانة.

فذكر سبحانه أنه لا يحب من كان من صفته خيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره مما حرمه الله عليه، وإن خاف القائد من قوم معاهدين خيانة ونكثاً بأمارات تلوح له فليطرح إليهم العهد ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ على طريق مستور قصدي؛ وذلك أن يظهر لهم نبد العهد ويخبرهم إخباراً مكشوفاً بيناً أنه قطع ما بينه وبينهم، فلا يناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة، والعلة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ والمعنى: لأن الله لا يحبهم، لأنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون معاهداً لمن لا يحبهم الله، أو لأن الله لا يحب أن تكون أنت من الخائنين.^(١)



(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ١٩٠)، تفسير الزمخشري (٢/ ٢٣١)، تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٨)، التحرير والتنوير (١٠/ ٥٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤].

نوع التعليل: جملة جواب الطلب.

دراسة التعليل: في الآية يحذر سبحانه من اتخاذ الأيمان دخلاً وخديعة يُغرّ بها الناس، والتعليل في جواب الطلب: ﴿فَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين، وهذا مثل لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة، وما أشبه ذلك: (زلت قدمه)، والزلل: تزلق الرجل وتنقلها من موضعها دون إرادة صاحبها بسبب ملاسة الأرض من طين رطب أو تخلخل حصي أو حجر من تحت القدم فيسقط الماشي على الأرض، وأفرد القدم ونكرها للإيدان بأن زلل قدم واحد أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم، فكيف بأقدام كثيرة؟ وهذا استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر، وزيادة ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ مع أن الزلل لا يتصور إلا بعد الثبوت؛ لتصوير اختلاف الحالين وأنه انحطاط من حال سعادة إلى حال شقاء ومن حال سلامة إلى حال محنة.^(١)

٥ - قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١-٣].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: توعد سبحانه في الآيات بترتيب الجزاء وهو الويل على وصف وهو التطفيف.

والويل لفظة الذم والسخط، وهي كلمة كل مكروب، وأصله: وي لفلان ثم كثرت

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٨)، تفسير ابن جزي (١/ ٤٣٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٩)، التحرير والتنوير (١٤/ ٢٦٨-٢٦٩).

في كلامهم فوصلت باللام، وروي أنه جبل في جهنم، وقيل: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها. (١)

والمطففين: الذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكائيلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفف: المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن، والذم إنما لحقهم بمجموع أنهم يأخذون زائداً، ويدفعون ناقصاً، ثم اختلف العلماء فقال بعضهم: هذه الآية دالة على الوعيد، فلا تتناول إلا إذا بلغ التطفيف حد الكثير، وهو نصاب السرقة، وقال آخرون: بل ما يصغر ويكبر دخل تحت الوعيد، لكن بشرط أن لا يكون معه توبة ولا طاعة أعظم منها، وهذا هو الأصح. (٢)

الفوائد من تعليل خلق الغدر والخيانة:

١. دلّ التعليل على عظم أمر الوفاء بالعهود، وإنجاز الوعود؛ ذلك أنه سبحانه نفى محبته عن من انتفت عنه هذه الصفة.

٢. حفظ اليمين واجب على كل حال، لا سيما وإن اقترن بعهد لما يجتمع فيه من حق اليمين، وحق العهد.

٣. المراد بالتعليل الزجر عن التطفيف، وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية؛ وذلك لأن الكثير يظهر فيمنع منه، وذلك القليل إن ظهر أيضاً منع منه، فعلمنا أن التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية. (٣)

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٧٧)، تفسير الزمخشري (٤/٧١٩)، تفسير الفخر الرازي (٣١/٨٣)، تفسير أبي السعود (٩/١٢٤)، التحرير والتنوير (٣٠/١٩٢).

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٣١/٨٢).

المطلب التاسع: تعليل خلق أكل أموال اليتامى.

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

نوع التعليل: التعليل بجملة إنَّ "والجملة تعليل للنهي: لموقع إن منها".^(١)
دراسة التعليل: اعتنت سورة النساء بحفظ حقوق الضعفاء من الأيتام والنساء، فجاءت فيها آيات تبين أحكام التصرف في مال اليتيم، منها هذه الآية التي تؤكد على وجوب أداء أموالهم وعدم أخذ شيء منها.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم في حل الانتفاع بها، والله سبحانه وإن ذكر الأكل تحديداً ولكن المراد التصرف عموماً؛ لأن أكل مال اليتيم كما يحرم، فكذا سائر التصرفات المهلكة لتلك الأموال محرمة، وإنما ذكر الأكل؛ لأنه معظم ما يقع لأجله التصرف، وسبب ورود النهي عن أكل أموال اليتامى مع أموال الولاية رغم أنه حرم أكل أموال اليتامى وحدها؛ لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون ذلك فنعا عليهم ليكون أزر لهم.^(٢)

ثم علل هذا النهي بقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ والحبوب: الإثم والذنب العظيم، ووصف بالعظيم؛ لكونه مزجوراً عنه، أي نهاكم الله عن أكل أموالهم لأنه إثم عظيم.^(٣)

(١) التحرير والتنوير (٤/ ٢٢١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٢٩)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٠٨٣)، تفسير الزمخشري (١/ ٤٦٦)، تفسير الفخر الرازي (٩/ ٤٨٤)، التحرير والتنوير (٤/ ٢٢٠-٢٢٢).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٠٨٣).

٢- قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

نوع التعليل: المفعول له "لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم" (١).

ويصح أن يكون حالاً "وانتصب ﴿إِسْرَافًا﴾ على الحال" (٢).

دراسة التعليل: يوجه الخطاب جل ثناؤه في هذه الآية لولاية أموال اليتامى فيقول لهم: لا تأكلوا أموالهم إسرافاً يعني متجاوزين حد القصد المباح لكم، ولا مبادرة منكم قبل بلوغهم حذراً أن يبلغوا فيمنعوا عنكم أموالهم.

فيكشف تعالى في الآية علة أخذهم لأموال الأيتام؛ لإسرافهم ومبادرتهم كبرهم، فيفرضون في إنفاقها، ويقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا، فهذا التعليل تأكيد للنهي عن أكل أموال اليتامى الذي تقدم في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] وفضح لحيلة كانوا يحتالونها قبل بلوغ اليتامى أشدهم: وهي أن يتعجل الأولياء استهلاك أموال اليتامى قبل أن يطالبوهم فيأكلوها بالإسراف في الإنفاق، والبدار هو العجلة إلى الشيء، بדרه عجله، وبادره عاجله، والمفاعلة هنا قصد منها تمثيل هيئة الأولياء في إسرافهم في أكل أموال محاجيرهم عند مقاربتهم البلوغ، بحال من يبدر غيره إلى غاية والآخر يبدر إليها فهما يتبادرانها؛ كأن المحجور يسرع إلى البلوغ ليأخذ ماله، والوصي يسرع إلى أكله لكيلا يجد اليتيم ما يأخذ منه. (٣)



(١) تفسير الزمخشري (١/٤٧٤)، وينظر: تفسير الفخر الرازي (٩/٤٩٩)، تفسير أبي السعود (٢/١٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (٤/٢٤٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٧/٥٨٠)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١١٠٥)، تفسير الزمخشري

(١/٤٧٤)، تفسير أبي السعود (٢/١٤٦)، التحرير والتنوير (٤/٢٤٤).

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

نوع التعليل: ترتيب الجزاء على وصف.

دراسة التعليل: لا زالت أحكام الأيتام تتكرر في سورة النساء، فيؤكد جَلَّ وَعَلَا في هذه على حفظ مال اليتيم وعدم أكله، مرتباً الجزاء الأليم على من اتصف بهذا الخلق الذميم. فالذين يأكلون أموال اليتامى بغير حق، إنما يأكلون في بطونهم ناراً يوم القيامة، بأكلهم أموال اليتامى ظلماً في الدنيا وسيصلون بأكلهم سعيراً، والسعير: هو النار المستعرة، وإنما قال: سعيراً لأن المراد نار من النيران مبهمة لا يعرف غاية شدتها إلا الله تعالى. (١)

وفي معنى التعليل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أقوال (٢):

الأول: أن يجرى ذلك على ظاهره، فإذا أكل الرجل مال اليتيم ظلماً يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومسامعه وأذنيه وعينه، يعرف كل من رآه أنه أكل مال اليتيم.

الثاني: إن ذلك توسع، ومعنى يأكلون ناراً: ما يجر إلى النار من حيث إنه يفضي إليه ويستلزمه، فكأنه نار في الحقيقة، وقد يطلق اسم أحد المتلازمين على الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

الثالث: أن يكون اسم النار مستعاراً للألم بمعنى أسباب الألم؛ فيكون تهديداً بعذاب دنيوي أو مستعاراً للتلف؛ لأن شأن النار أن تلتهم ما تصيبه، والمعنى: إنما يأخذون أموالاً هي سبب في مصائب تعزيهم في ذواتهم وأموالهم كالنار إذا تدنو من أحد

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٥٠٨/٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٦/٧)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١١١٧-١١١٨)، تفسير الزمخشري

(١/٤٧٩)، تفسير الفخر الرازي (٩/٥٠٦-٥٠٨)، التحرير والتنوير (٤/٢٥٤).

فتؤلمه وتلف متاعه، فيكون هذا تهديداً بمصائب في الدنيا على نحو قوله تعالى: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والأقوال متقاربة لا تنافي بينها، والثاني أولها؛ لأن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] الإشارة فيه إلى كل واحد، فكان حمله على التوسع أولى. (١)



٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفْ نَفْسًا وَلَا وِسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

نوع التعليل: جاء التعليل في الآية بـ"لعل".

دراسة التعليل: فذكر سبحانه في الآية محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجماعة الإسلامية ومدنيتها وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، وجاء مع هذه الوصية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها.

وابتداء الحقوق بحفظ حق الضعيف الذي لا يستطيع الدفع عن حقه في ماله، وهو اليتيم، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فینهي سبحانه عن التصرف بمال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وشميره فيقول عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط، والقربان كناية عن ملابسة مال اليتيم والتصرف فيه، ولما اقتضى هذا تحريم التصرف في مال اليتيم، ولو بالخرن والحفظ، وذلك يعرض ماله للتلف، استثنى منه قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي إلا بالحالة

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٥٠٦/٩).

التي هي أحسن. (١)

ولما بيّن هذه الأمور أتبعها بلفظ يقرب إلى القلب القبول فقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ﴾ وفي لفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان، مما يجعل المكلف أقرب إلى القبول. (٢)

وعلت هذه الأحكام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتزجروا عنها، وترتدعوا وتنبهوا إلى طاعة ربكم، والسبب في أن جعل سبحانه التعليل في خاتمة الآية السابقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] وذلك في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلِ آبَائِكُمْ وَلِأُولَادِكُمْ إِحْسَانًا وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمَلَتْكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْنَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] وخاتمة هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولى: أمور ظاهرة جلية فوجب تعقلها وتفهمها وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمر خفية لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (٣)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢١/١٢)، التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٣).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي (١٧٩/١٣)، تفسير البحر المحيط (٤/٦٨٨)، التحرير والتنوير (٨-أ/١٧٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢٦/١٢)، تفسير الزمخشري (٢/٧٩)، تفسير الفخر الرازي (١٣/١٨٠-١٨١)، التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٢-١٦٣).

الفوائد من تعليل خلق أكل أموال اليتامى:

١. نهى سبحانه عن أكل مال اليتيم وعلل ذلك ببيان ما يترتب عليه من الذنب العظيم والعذاب الأليم؛ ليحفظ حق اليتيم الضعيف، ويزجر الولي الظالم.

٢. ذكر تعالى ذكره لفظ أكل مال اليتيم في الآيات المعللة ولكن المراد: كل أنواع الإتلافات، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل أو بطريق آخر، وإنما ذكر الأكل وأراد به كل التصرفات المتلفة لوجوه: أحدها: أن عامة مال اليتيم في ذلك الوقت هو الأنعام التي تؤكل لحومها وتُشرب ألبانها، فخرج الكلام على عاداتهم. وثانيها: أنه جرت العادة فيمن أنفق ماله في وجوه مراداته خيرًا كانت أو شرًا أنه يقال: إنه أكل ماله. وثالثها: أن الأكل هو معظم ما يبتغى من التصرفات.^(١)

٣. وجه تعظيم حق اليتيم في ماله بالحفظ: أن ذلك الحق مظنة الاعتداء عليه من الولي، واليتيم مظنة انعدام المدافع عنه، فالاعتداء عليه إنما يكون من أقرب الناس إليه فبمن يستجير؟^(٢)

٤. كان الأولياء يتوسعون في أموال أيتامهم، ويعتدون عليها، ويضيعون الأيتام لكيلا ينشأوا نشأة يعرفون بها حقوقهم، ولذلك قال تعالى: ﴿الْمُحِبِّدُكَ بِتَيْمَافَاوَى﴾ [الضحى: ٦] لأن اليتيم مظنة الإضاعة.^(٣)

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٩/٥٠٧).

(٢) التحرير والتنوير (٨-أ/١٦٤).

(٣) المصدر السابق.

المطلب العاشر: تعليل خلقي الإسراف والبخل.

أولاً: التعليل في آيات النهي عن الإسراف:

١ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

٢ - قوله تعالى: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

نوع التعليل: تعليق الحكم على وصف.

دراسة التعليل: علق سبحانه الحكم في الآية وهو: نفي محبته، على من اتصف بالإسراف.

والإسراف والسرف: تجاوز الكافي من إرضاء النفس بالشيء المشتهى، ففي الآية الأولى يمتن سبحانه بخلق الجنات وألوان الزرع والنخيل والثمرات، ويحث سبحانه على القيام بحقه من إيتاء الزكاة، وعدم الإسراف فيه بشتى أنواع الإسراف من الأكل، أو التصديق به كله وعدم إبقاء شيء للأهل، ونحوه، وفي الآية الثانية يحث سبحانه على أخذ الزينة لأداء الصلاة وأن يتحرى الإنسان عن أكله وشربه عدم الإسراف وذلك بمجاوزة القدر والحاجة، أو بتحريم ما أحل الله، أو بارتكاب المعاصي، وغير ذلك، ويعلل سبحانه نهيته عن الإسراف في الآيتين بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فنفى سبحانه المحبة عن المسرفين والمقصود من هذا الزجر، وقصد به كذلك تعميم حكم النهي عن الإسراف؛ ليعم كافة أشكاله وصوره، وأكد بأن لزيادة تقرير الحكم، فبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها، ونفي المحبة مختلف المراتب،

فيعلم أن نفي المحبة يشتد بمقدار قوة الإسراف، وهذا حكم مجمل وهو ظاهر في التحريم.^(١)



٣- قوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

نوع التعليل: التعليل بجملة إن "﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾" تعليل للنهي عن التبذير^(٢).

دراسة التعليل: في هذه الآية تحذير من التبذير؛ فإن التبذير إذا فعله المرء اعتاده فأدمن عليه فصار له خلقاً لا يفارقه شأن الأخلاق الذميمة فإنه يسهل تعلقها بالنفوس. والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمداً دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يحسن التصرف فيها.^(٣)

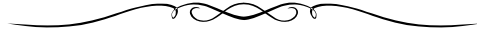
ثم جاء التعليل منبهاً على قبح التبذير بإضافته إياه إلى أفعال الشياطين فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ فالمراد من هذه الأخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح، وقد زيد تعليل المبالغة في النهي عن التبذير تأكيداً بلفظ ﴿كَانُوا﴾ المفيد أن تلك الأخوة صفة راسخة فيهم، وكفى بحقيقة الشيطان كراهة في النفوس واستقباحاً. ثم إنه تعالى بين في تنمة التعليل صفة الشيطان فقال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً لا يشكره عليه ولكن يكفرها بترك طاعة الله وإتيان

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحي (٢/ ٣٣٠)، تفسير البغوي (٢/ ١٨٨)، تفسير ابن عطية (٢/ ٣٩٣)، تفسير الفخر الرازي (١٣/ ١٦٥)، التحرير والتنوير (٨-١/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ١٦٨)، وينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٨٠).

(٣) تفسير البغوي (١/ ٥٦٩).

معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذرون أموالهم في معاصي الله لا يشكرون الله على نعمه عليهم ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه، وهذا تحذير شديد من أن يفضي التبذير بصاحبه إلى الكفر تدريجاً بسبب التخلق بالطباع الشيطانية.^(١)



(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٤٣٠)، تفسير الزمخشري (٢/٦٦١)، تفسير الفخر الرازي (٢٠/٣٢٨-٣٢٩)، تفسير أبي السعود (٥/١٦٨)، التحرير والتنوير (١٥/٨٠-٨٢).

ثانياً: التعليل في آيات النهي عن البخل:

٤- قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء: ٣٦-٣٨].

٥- قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤].

نوع التعليل: جملة صلة الموصول.

دراسة التعليل: جاءت جملة صلة الموصول بدلاً من قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ وبدلاً في الآية الثانية من قوله: ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وأشعرت هذه الجملة بالعلية لما ورد قبلها من حكم تعلق بها وهو نفي محبة الله تعالى، فالله سبحانه لا يحب من كان مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور، الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجه عليهم فيه، ويشحون به، وهم مع بخلهم به أيضاً يأمرون الناس بالبخل، فذكر تعالى في هذه الآية من الأحوال المذمومة للبخل حالان: أولهما: كون الإنسان بخيلاً وهو المراد بقوله: الذين يبخلون وثانيهما: كونه أمراً غيره بالبخل، وهذا هو النهاية في حب البخل.^(١)



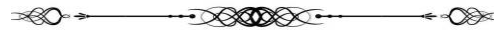
(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/١٩٩)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/١٢٣٦)، تفسير الزمخشري (١/٥٠٩)، تفسير الفخر الرازي (١٠/٧٩)، التحرير والتنوير (٥/٥٢) (٢٧/٤١٣).

٦- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدَّقَنَّهُ وَلَنُكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٦-٧٧]

نوع التعليل: التعليل بفاء السببية.

دراسة التعليل: يذكر سبحانه في الآيات حالاً من أحوال المنافقين ومعاهدتهم لله سبحانه أنهم سيقومون بالحقوق المالية من صدقة وإنفاق وزكاة، إذا وسع لهم في أرزاقهم فلما آتاهم الله من فضله بخلوا وتولوا، فكان نتيجة ذلك أن أعقبهم الله نفاقاً في قلوبهم فيتمكن فيهم والعياذ بالله إلى يوم يلقون الله ﷻ، وذلك بسبب بخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهده في قلوبهم، وبما كانوا يكذبون في قولهم، وحرمتهم التوبة منه؛ لأنه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه في قلوبهم إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا، وقيل الضمير للبخل يعنى: فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم لأنه كان سبباً فيه وداعياً إليه. (١)

وعلى كلِّ فالتعليل بفاء السببية دلٌّ على أن البخل بما آتاهم الله هو سبب إعقابهم ذلك النفاق، فالضمير المستتر إما أن يعود للبخل المأخوذ من بخلوا فإسناد الإعقاب إليه مجاز عقلي، كونه سبباً فقط، أو يعود إلى اسم الله تعالى في قوله من عاهد الله أي جعل فعلهم ذلك من بخل ونقض عهد سبباً في بقاء النفاق في قلوبهم إلى موتهم. (٢)



(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٧٠ / ١٤)، تفسير الزمخشري (٢ / ٢٩٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٠ / ٢٧٢).

٧- قوله تعالى: ﴿هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِئِنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ^١ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

نوع التعليل: جواب الشرط المقترن بالفاء.

دراسة التعليل: يذكر سبحانه في الآية أنه يدعو للإنفاق في سبيله بالصدقة وأداء الفريضة، ومن الناس من يبخل عن ذلك، ويمسك ماله فلا ينفقه في سبيل الله.

وعُمل هذا البخل بجملة جواب الشرط ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ^١﴾ يقال بخلت عليه وعنه؛ وفعل ﴿يَبْخُلُ﴾ يتعدى بعن؛ لما فيه من معنى الإمساك ويتعدى بعلى؛ لما فيه من معنى التضييق على المبخول عليه؛ فبخله عن نفسه أي: عن بخل نفسه؛ لأنها لو كانت جواداً - أي النفس - لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، وبخله على نفسه أي: لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً فبخله على نفسه، ثم حقق ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ غير محتاج إلى مالكم وأنتم الفقراء إلى عفوه ومغفرته وعظيم أجره. (١)

والتعليل في الآية إما مسوق مساق التوبيخ، أو مساق التنبيه على الخطأ في الشح يبذل المال في الجهاد الذي هو محل السياق لأن المرء قد يبخل بخلاً ليس عائداً ببخله عن نفسه فيكون معنى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ^١﴾ على الاحتمال الأول: فإنما يبخل عن نفسه بحرمانها من ثواب الإنفاق، وعلى الاحتمال الثاني: فإنما يبخل عن نفسه إذ يتمكن عدوه من التسلط عليه فعاد ببخله بالضرر عليه. (٢)



(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٣٣٠)، التحرير والتنوير (٢٦/ ١٣٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٩٢)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٦٣)، تفسير السعدي (ص: ٧٩٠)، التحرير والتنوير (٢٦/ ١٣٧).

٨- قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾ [الهمزة: ٢-٣].

نوع التعليل: الجملة الحالية "وجملة: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾ يجوز أن تكون حالاً".^(١)

دراسة التعليل: عُلِّلَ البخل في هذه الآية بالجملة الحالية التي تصف حال البخل الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه وحفظه وهو يحسب أن ماله الذي جمعه وبخل بإنفاقه مخلده في الدنيا ومزِيل عنه الموت، أو أحب المال حباً شديداً حتى اعتقد أنه إن انتقص ماله يموت، فلذلك يحفظه من النقصان ليبقى حياً، وهذا غير بعيد من اعتقاد البخل، وإنما قال: ﴿أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾ ولم يقل: يخلده؛ لأن المراد يحسب هذا الإنسان أن المال ضمن له الخلود وأعطاه الأمان من الموت وكأنه حكم قد فرغ منه، ولذلك ذكره على الماضي، وإظهار المال في موقع الإضمار؛ لزيادة التقرير، والتعليل في الآية مستعمل في التهكم عليه في حرصه على جمع المال وتعيده؛ لأنه لا يوجد من يحسب أن ماله يخلده، وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحداً فيه.^(٢)

(١) التحرير والتنوير (٥٣٨/٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٩٨/٢٤)، تفسير الزمخشري (٧٩٥/٤)، تفسير الفخر الرازي (٢٨٥/٣٢)، تفسير أبي السعود (١٩٨/٩)، التحرير والتنوير (٥٣٩/٣٠).

ثالثاً: آيات فيها تعليل النهي عن الإسراف والبخل معاً:

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ﴾ [٢٩] إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ [الإسراء: ٢٩-٣٠]

نوع التعليل: في الآية جملتان معللتان: الأولى: جملة جواب الطلب. والثانية: جملة إن.

دراسة التعليل: بين سبحانه في الآية أدب الإنفاق فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وهذا النهي يتناول كل مكلف، سواء كان الخطاب للنبي ﷺ تعريضاً لأُمَّته وتعليماً لهم، أو الخطاب لكل من يصلح له من المكلفين، والمراد: نهى الإنسان بأن يمسك إمساكاً يصير به مضيئاً على نفسه وعلى أهله، ولا يوسع في الإنفاق توسيعاً لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفاً، فهو نهى عن جانبي الإفراط والتفريط، ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وهذه استعارة في معنى غاية البخل كأن البخل حبست يده عن الإعطاء، وشدت إلى عنقه ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وهي استعارة في معنى غاية الجود، وإنما وصف تعالى ذكره "اليد" بذلك والمعنى: العطاء؛ لأن عطاء الناس وبذل معروفهم في الغالب بأيديهم. (١)

وجاء التعليل في جملة جواب الطلب: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتصير ملوماً عند الله، لأنَّ المسرف غير مرضى عنده وعند الناس، يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني. ويقول المستغنى: ما يحسن تدبير أمر المعيشة. وعند نفسك: إذا احتجت فندمت على ما فعلت ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك، من حسره السفر: إذا بلغ منه، وحسره بالمسألة. (٢)

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٤٥١)، تفسير ابن جزي (١/٤٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/٢٦٤).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٦٦٢).

كما أن الآية التي تليها جاءت معللة لهذا الخلق قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) فموقع هذه الجملة موقع اعتراض بالتعليل؛ فلا الشح يبقى مال الشحيح لنفسه، ولا التبذير يغني من يبذر المال فإن الله قدّر لكل نفس رزقها. (١)

الفوائد من تعليل خُلقي الإسراف والبخل:

١. جاء الشرع بالتوسط في كافة الأخلاق فهو في مجال الإنفاق عدلٌ بين طرفي نقيض هما: الإسراف والبخل.
٢. دلّ التعليل بقوله: ﴿فَاتَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨] على أن مغبة البخل راجعة إلى صاحبها أكثر من غيره.
٣. علّل فعل البخيل بظنه أن ماله سيكون سبباً لخلوده في الدنيا فهذا سبب تمسكه به.
٤. جاء التعليل بذكر ما سيؤول إليه حال المسرف والبخيل من الملامة والحسرة جراء ما فعل؛ ليكون زاجراً عن إتيان هذين الخلقين.
٥. دلّ التعليل على أن من أمر غيره بالإسراف فالظاهر أنه شيطان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. (٢)
٦. البخل دليل سوء ظن بالله تعالى؛ لذلك جاء القرآن بدمه وتعليه تحذيراً منه. (٣)
٧. ينتج عن البخل أربعة من الأخلاق المذمومة - وإن كان ذريعة إلى كل مذمة - وهي: الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق. (٤)

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥ / ٨٤).

(٢) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣ / ٣٤٨).

(٣) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٩ / ٤٠٤٦).

(٤) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٥).

٨. الإسراف إذا اعتاده المرء حملاً على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة فلا يقف عند حد.^(١)

٩. من وجوه عدم محبة الله للمسرفين أن الإفراط في تناول اللذات والطيبات، يفضي غالباً إلى استنزاف الأموال والشره فيها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله فشق عليه الإقلاع عن معتاده، فعاش في كرب وضيق، وربما تطلب المال من وجوه غير مشروعة، فوقع فيما يؤاخذ عليه في الدنيا أو في الآخرة.^(٢)



(١) التحرير والتنوير (٨-أ/١٢٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨-أ/١٢٤).

المطلب الحادي عشر: تعليل خلق المبالغة في الفرح بالدنيا.

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَايَنَّهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنِّ مَفَاتِحُهُ لَسُنُوءًا بِالْعَصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦].

نوع التعليل: التعليل بجملته إن " وقد أشير إلى بيان المقصود تعصيذا للدلالة المقام بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي المفرطين في الفرح فإن صيغة (فعل) صيغة مبالغة مع الإشارة إلى تعليل النهي، فالجملته علة للتي قبلها" (١).

دراسة التعليل: يحكي سبحانه في الآية موقفاً لقارون مع ثلة من قومه قالوا له: لا تبغ ولا تبطر فرحاً، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين، وحذف المتعلق بالفعل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ للدلالة المقام على أن المعنى لا تفرح بلذات الدنيا معرضاً عن الدين والعمل للأخرة كما أفصح عنه قوله: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧].

وعلة النهي عن الفرح في الآية: عدم محبة الله تعالى له؛ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن، وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَ (٢)

أي أن السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم؛ لأنه يراعي وقت زواله فيتفرض كلما ذكر زواله، وأحسن وأوجز منه ما قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

(١) التحرير والتنوير (١٧٨/٢٠).

(٢) البيت للمتنبي، وهو من بحر الوافر، ينظر: اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري (ص: ١٠١٥).

فالفرح المنهي عنه هو المفرط أي الذي يتولد من التعلق بمتاع الدنيا ولذات النفس؛ لأن الانكباب على ذلك يميمت في النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة والمنافسة لاكتسابها فتغرق في اللذات مما يتنافى مع الكمال النفساني والاهتمام بالآداب الدينية.^(١)

الفوائد من تعليل خلق المبالغة في الفرح بالدنيا:

١. دل التعليل بعدم محبة الله تعالى للفرحين على أن الانغماس في لذائد الدنيا والفرح بمآتيها ممقوت عند الله؛ فحريُّ بالمؤمن اجتنابه.

٢. إن اقترن بالفرح شكر واعتراف لله تعالى بالفضل كان مباحًا، وإن نشأ عنه بغي فهو المذموم المعلل في الآية بعدم محبة الله لمن تخلَّق به.

٣. من ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة.^(٢)

٤. المبالغة في الفرح تقتضي شدة الإقبال على ما يفرح به وهي تستلزم الإعراض عن غيره فصار النهي عن شدة الفرح رمزاً إلى الإعراض عن الجسد والواجب في ذلك.^(٣)

٥. المجتمع المبالغ بالفرح والتعلق بالدنيا مجتمع خالٍ من الإنجازات الحقيقية، يركن أهله إلى الدنيا وزخرفها مما يضعف بنية المجتمع.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/٦٢٢)، تفسير الزمخشري (٣/٤٣٠)، تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٥)،

حاشية الطيبي على الكشاف (١٢/١٠٩)، التحرير والتنوير (٢٠/١٧٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٣٢٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/١٧٨).

الفصل الخامس

مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول: المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق.

❖ المبحث الثاني: المقاصد الآخروية لتعليل الأخلاق.

* * * * *

الفصل الخامس :

مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم

قصد الشارع إلى إقامة الأخلاق في هذه الأمة؛ فقلوه ﷺ: "بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(١) يدل على مقصد كلي من مقاصد التشريع وهو التحلي بالأخلاق وأمهات الفضائل، وجميع ما قرره الإسلام من شرائع وأحكام هو مما يهذب الفرد والمجتمع، ويسمو بأخلاقهم "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق"^(٢).

والأخلاق الفاضلة هي أصل مقاصد الشريعة الأخرى: "مكارم الأخلاق مقياس كل مصلحة عامة، وأساس كل مقصد من مقاصده الإسلامية"^(٣).

فالمقاصد كما يرى علماء الأصول هي الإطار المنهجي الذي يؤطر الأدب والسلوك والقيم الأخلاقية عامة في الإسلام، كما أنها تجسد أخلاقية الشريعة وسعيها إلى تمكين مكارم الأخلاق في النفوس، وقيامها على كبريات القيم وعظيم الفضائل، ومبادئ العدل والحرية والمساواة والتسامح والأمانة والمحبة والتعاون، واستهجائها لمظاهر الظلم والخيانة والغدر والاستغلال وغير ذلك.^(٤)

علاقة القرآن بإدراك المقاصد:

القرآن الكريم أصل التشريع، وأول مصدر من مصادره، بل هو أعظم مصادر المعرفة عند المسلمين على الإطلاق، وهو الركن الركين الذي تستند إليه جميع المصادر

(١) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (٦١٣/٢) برقم: (٤٢٤٤) (كتاب آيات رسول الله ﷺ التي في دلائل النبوة) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) الموافقات (١٢٤/٢).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي (ص: ١٩١).

(٤) الاجتهاد المقاصدي لنور الدين الخادمي (٢/٣٠)، الفكر المقاصدي عند الإمام مالك للدكتور محمد نصيف العسري (ص: ١٥٧).

التشريعية الأخرى.^(١)

وللقرآن الكريم أهمية كبرى في إدراك مقاصد الشريعة وهو أساس الأحكام والمقاصد وينبوع الحكم والأسرار الشرعية "فكتاب الله تعالى هو أصل الأصول، والغاية التي تنتهي إليها أنظار النظار ومدارك أهل الاجتهاد، وليس وراءه مرمى"^(٢).

ومقاصد القرآن ومعانيه تعرف بألفاظ القرآن ومفرداته وتراكيبه وأساليبه قبل أي وسيلة أخرى، فمن لم يفهم معاني القرآن بالقرآن لا يستطيع الاهتداء إلى معانيه وأسراره ومقاصده أو التعبير عنها.^(٣)

علاقة المقاصد بالتعليل:

للمقاصد علاقة وثيقة بالتعليل لذلك يرى العلماء ضرورة اعتبار علل الأمر والنهي في المقاصد، ولماذا أمر بهذا الفعل؟ ولماذا نهى عن هذا الآخر؟ والعلة حيث وجدت وجد مقتضى الأمر والنهي من القصد أو عدمه؛ كالنكاح لمصلحة التناسل، والبيع لمصلحة الانتفاع، والحدود لمصلحة الازدجار.^(٤)

فجعل تعليل الأحكام أحد الجهات التي تعرف بها مقاصد الشارع؛ إذ لا يمكن إدراك مقاصد الشارع في حال جهل أو غياب علة الحكم؛ لأن تعليل الأحكام الشرعية ودراسة أسرار ومعاني وعلل الأحكام والنظر في غايات التشريع وأهدافه ومراميه، كل ذلك قد شكّل الأساس الضروري لنشوء علم المقاصد وتطوره.^(٥)

(١) ينظر: أمهات مقاصد القرآن للدكتور: عزّ الدين الجزائري (ص: ٤٢).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٣٠).

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للدكتور: يوسف البدوي (ص: ٣٨١).

(٤) ينظر: الموافقات (٣/ ١٣٥)، المصالح المرسلّة وبناء المجتمع الإنساني للدكتور: إدريس حمادي (ص: ٧٥)، مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين للدكتور هشام أزهر (ص: ١١٥).

(٥) ينظر: علم المقاصد الشرعية للدكتور: نور الدين خادمي (ص: ٤٩)، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم للدكتور: سميح الجندي (ص: ١٤٩).

ومما يشير إلى علاقة مقصد الشارع بالتعليل أن الله سبحانه جعل مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها.^(١)

وفي هذا الفصل إن شاء الله أجتهد في بيان ما توصلت إليه من مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم بحسب ما ظهر لي أثناء البحث، والله تعالى أعلم وأحكم.



تعريف المقاصد:

المقاصد لغة: جمع مقصد، يقال: قصد يقصد قصدًا ومقصدًا، والقصد يأتي في اللغة لمعانٍ:

الأول: إتيان الشيء والتوجه إليه، ومنه: أقصده السهم: إذا أصابه، كأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه.^(٢)

والثاني: العدل والتوسط وعدم الإفراط، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩].^(٣)

والثالث: استقامة الطريق، يقال طريق قاصد: سهل قريب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].^(٤)

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨٨).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٩٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٢٤).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٢٤)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٧/ ٣١٥).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٥٣)، لسان العرب (٣/ ٣٥٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٢٠٢).

والرابع: أصله من القصيد وهو المخ السمين الذي يَتَقَصَّد: أي يتكسر لِسَمْنِهِ، وقيل سمي الشَّعْرُ التَّمُّ قصيداً؛ لأن قائله جعله من باله فَقَصَّدَ له قَصْداً.^(١)
ولعلّ المعنى الأول هو الأقرب للمعنى الاصطلاحي المراد.^(٢)

المقاصد اصطلاحاً:

تنوعت عبارات العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للمقاصد، ولعلّ أشمل ما ورد في ذلك أن المقاصد: هي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد.^(٣)

والمراد بمقاصد تعليل الأخلاق في القرآن: المعاني والغايات القرآنية في تشريع الأخلاق لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

وقد قسمتها باعتبار الزمن إلى مبحثين:

المبحث الأول: المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق.

المبحث الثاني: المقاصد الآخروية لتعليل الأخلاق.

وذلك أن القرآن الكريم في تشريعه للأخلاق جاء بما فيه صلاح البشر في الدنيا والآخرة إذ "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً"^(٤).

فقد اتفق أهل العلم على رعاية الشارع الحكيم للمصالح في الأحكام الشرعية، سواء ظهرت هذه المصالح للمجتهد في الأحكام المعللة نصاً أو استنباطاً، وذلك تفضل

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٥٢٤)، لسان العرب (٣/٣٥٣).

(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية للدكتور: محمد سعد اليوبي (ص: ٣٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص: ٣٦-٣٨).

(٤) الموافقات (٢/٩).

من الله تعالى وإحسان على عباده، وذلك مطرد في جميع قواعد الشريعة وتفصيلها.^(١)
ومن خصائص هذه المصالح في التشريع الإسلامي أنها لا تختص بزمان دون آخر،
بل جاءت لما فيه صلاح الناس في معاشهم ومعادهم، فكل مأمور به فيه مصلحة الدارين
أو إحداهما، وكل منهي عنه فيه مفسدة في الدارين أو إحداهما، فما كان من الأعمال سبباً
للمصالح فهو أفضل الأعمال، وما كان سبباً للمفاسد فهو أرذل الأعمال، ومعظم مقاصد
القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها.^(٢)



(١) ينظر: المقاصد الوهمية وأثرها في الفتوى للدكتور: فيصل الحليبي (ص: ٣١).

(٢) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٨)، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية للدكتور: يوسف العالم (ص: ١٤٣-١٤٤).

المبحث الأول

المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مقاصد إصلاح الفرد.
- المطلب الثاني: مقاصد إصلاح الأسرة.
- المطلب الثالث: مقاصد إصلاح المجتمع.

* * * * *

المبحث الأول :

المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق

المقاصد التي أرادها الشارع تتضمن جلب مصالح للإنسان، ودفع مفسد عنه، وهذه المصالح قد تكون دنيوية أو أخروية، فهي لخير الإنسان في الآجل والعاجل، وقد سعت الأخلاق القرآنية في الجانب الدنيوي إلى تحقيق مقصد أساسي من مقاصد الشريعة، وهو مقصد الإصلاح "ومن هنا فإن المقاصد العامة من تشريعات القرآن هي: تحقيق الصلاح الفردي، تحقيق الصلاح الاجتماعي، تحقيق الصلاح العالمي"^(١).

ويمكن تقسيم المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق في القرآن إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد إصلاح الفرد.

المطلب الثاني: مقاصد إصلاح الأسرة.

المطلب الثالث: مقاصد إصلاح المجتمع.

(١) تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية لعادل الشويخ (ص: ٢١٥) المدخل إلى مقاصد القرآن للدكتور: عبد الكريم حامدي (ص: ١٣٤-١٣٥).

المطلب الأول: مقاصد إصلاح الفرد.

لما كان الإنسان هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع المسلم، ولا إصلاح للمجتمع إلا بإصلاح أفراده، فإن "المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده؛ لأن في صلاحه صلاح العالم وأحواله"^(١).

وقد جاءت الأخلاق القرآنية بما يحقق هذا الإصلاح للفرد، ولتعليل آيات الأخلاق في جانب الإصلاح الفردي ستة مقاصد، وهي:

المقصد الأول: الاستمتاع بالنعم والشكر عليها.

فلأن العبد لا غنى له عن نعم الله تعالى؛ جاءت الشريعة ببيان كيفية الاستمتاع بهذه النعم، وشكر المنعم سبحانه "وهذان القصدان أظهر في الشريعة من أن يستدل عليهما، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ... وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وقال: ﴿لِيَن شُكْرُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية [إبراهيم: ٧]"^(٢).

ومن الآيات المعللة التي ظهر فيها هذا المقصد كذلك، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقوله تعالى حامدًا هذا الخلق الجليل: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].



(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/١٩٧).

(٢) ينظر: الموافقات (٢/٥٤٣ - ٥٤٤).

المقصد الثاني: تزكية النفس والسمو بها في مقامات الطهر والأخلاق والآداب.

وهذا المقصد من المقاصد الكلية لإنزال القرآن الكريم، وبعثة النبي ﷺ حيث يبين تعالى غرضاً من أغراض بعثته بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢] "ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعته وهو النوع كله فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه ثم عالج بعد ذلك إصلاح العمل، وذلك بتقنين التشريعات كلها، فاستعداد الإنسان للكمال وسعيه إليه يحصل بالتدرج في مدارج تزكية النفس" (١).

ومن الآيات المعللة للأخلاق التي درجت في هذا المقصد قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ومنها قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] "ولأهمية هذا الحكم ومخالفته للعوائد، أكد التعليل فيه بيان المفاسد التي تدفع، والمصالح التي تجلب" (٢).

ومن الآيات كذلك قوله تعالى في أحكام الاستئذان وتشريعه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور: ٢٧-٢٨] فالرجوع أطهر للنفس مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب، من دنس الدناءة، والشارع ينزه عباده عن ذلك. (٣).

ويتجلى هذا المقصد كذلك في الآيات الكثيرة التي حثت على الإنفاق فإن في خلق

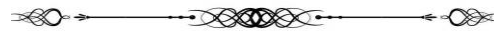
(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/ ١٩٧-١٩٩).

(٢) تعليل الأحكام لشلبي (ص: ١٩).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي (٧/ ٣٦٨).

الإففاق تزكية للنفس وتطهيرها بإخراج الشح منها. (١)

ومع هذا كان من مقاصد الشارع: تبرئة العبد من تزكية النفس والإعجاب بحالها،
وعُلل النهي عن تزكية النفس بعلم الله الزكي والتقي قبل إخراج الناس من صلب آدم،
وقبل إخراجهم من بطون أمهاتكم (٢) قال تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾
[النجم: ٣٢] فأمر سبحانه بترك تزكية النفس ومدحها وتبرئتها عن الآثام؛ وذلك أبعد من الرياء
وأقرب إلى الخشوع. (٣)



المقصد الثالث: التحلي بعزائم الأمور وخيرها للعبد.

فقد جاء الشرع ليسمو بإرادة الفرد المسلم، ويربطه بما هو خير وأحسن عاقبةً في
الدارين، ومن الآيات التي تشير لذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَرْتُمْ وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

- قوله تعالى: ﴿يَبْغَى أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

- قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

- قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٣/ ٦٢٨).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (١٠/ ٢١)، تفسير البيضاوي (٥/ ١٦١).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٦).

فهذه الآيات ترمي إلى غاية واحدة هي ينبوع الفضائل في الدنيا والآخرة وهي: قوة الهمة، وتربية النفس على العزيمة الماضية، واختيار الأصلاح والأنفع في أمر الدين.



المقصد الرابع: ألا يتصرف في نفسه وماله في غير مقصد يبيحه الشارع.^(١)

ومن التصرفات في النفس التي نهت عنها الأخلاق القرآنية وقرنتها بالتعليل:

- الإعجاب وتزكية النفس كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّكُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

- اليأس: ﴿يَبْتَئِيْ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُّوْا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ومن التصرفات في المال التي نهت عنها الأخلاق القرآنية وقرنتها بالتعليل:

- الإسراف: ومن الآيات التي ذمته قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقوله تعالى: ﴿يَبْتَئِيْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقوله تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ تَبْدِيرًا﴾ [٣٦] إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

- البخل: وقد جاء ذكره في عدة آيات منها ذمه وذم الأمر به في قوله تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ

(١) ينظر: الموافقات (٣/١٠٣).

ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ [النساء: ٣٦-٣٨] وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٤﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤] وبينت الآيات أن مغبته إنما تعود على صاحبه كما في قوله تعالى: ﴿هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِمَّنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

المقصد الخامس: نيل محبة الله ومعيته.

فإن الفوز بمحبة الله تعالى ونيل شرف معيته، هو الغاية التي يسعى إليها كل ملتزم بالشرع، وهو المقصد الذي يريده كل متحلٍّ بالأخلاق القرآنية، ومحبة الله "هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون... وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال"^(١).

ومن آيات تعليل الأخلاق التي ترشد إلى سبل تحقيق هذه المحبة:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَإِن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ [المائدة: ٤٢] ومن الآيات التي ترشد إلى سبل تحقيق معية الله وعنايته بعبده:

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/٦-٧).

- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣، الأنفال: ٤٦].

- ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٤٨] [الطور: ٤٨].

كما دلّ التعليل على أن من يتحلى بمساوى الأخلاق يخسر تلك المحبة، ومن الآيات الدالة على ذلك:

أولاً: نفي محبة الله عن عموم المختالين:

- قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [٣٦] [النساء: ٣٦].

- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ عَلَى اللَّهِ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [٢٣] [النحل: ٢٣].

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [١٨] [لقمان: ١٨].

ثانياً: نفي محبة الله عزَّ وجلَّ للخائنين.

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِمًا﴾ [١٠٧] [النساء: ١٠٧].

- قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [٥٨] [الأنفال: ٥٨].

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانٍ كَفُورٍ﴾ [٣٨] [الحج: ٣٨].

ثالثاً: نفي محبة الله تعالى للمسرفين:

- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٤١] [الأنعام: ١٤١].

- قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ [الأعراف: ٣١].

رابعاً: نفي محبته سبحانه عن المبالغين في الفرح بالدنيا:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُوْنَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَىٰ عَلَيْهِمْ وَأَٰئِنُّهُ مِنَ الْكُفُوْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَ﴾ [القصص: ٧٦].

فدلت هذه الآيات بمجموعها على أن من مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن: سعي العبد من خلال التحلي بهذه الأخلاق إلى تحقيق محبة الله تعالى له، واجتنابه ما يكدر صفو هذه المحبة.



المقصد السادس: تربية النفس على الرضا والقناعة.

فاقتناع العبد بما قسم الله له، ورضاه عن حاله من مقاصد تعليل الأخلاق؛ ذلك أن الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا لمصلحة وحكمة فحريٌّ بالعباد الثقة بأمره سبحانه والرضا بما كتبه عليهم، ومن آيات تعليل الأخلاق التي تشير لهذا المقصد:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوْا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا﴾ [النساء: ٣٢].

- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيْمَ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيْمًا﴾ [النساء: ٥٤].



المطلب الثاني: مقاصد إصلاح الأسرة.

اعتنى القرآن بجانب صلاح الأسرة عناية فائقة فجاءت الآيات في مجال الأخلاق الأسرية معللة لتؤكد على هذه العناية فإن " انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جامعتها، فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها"^(١).

ولتعليل آيات الأخلاق في جانب الإصلاح الأسري مقاصد ست، وهي:

المقصد الأول: التأكيد على أن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى والأهم.

الحقيقة التي اتجه العلم اليوم إلى تأكيدها هي أن الإنسان مدني بطبعه، ولذلك انطلقت الحياة البشرية من أول عهدهما من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحواء حيث كونا أسرة الوحدة الأولى في بناء المجتمع البشري، ثم لم تزل الشرائع تعنى بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبر عنه بالزواج أو النكاح؛ فإنه أصل تكوين النسل، وتفرع القرابة بفروعها وأصولها، فمن نظام النكاح تتكون الأمومة والأبوة والبنوة، وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق، فكانت الأحكام التي شرعتها للعائلة أعدل الأحكام وأوثقها وأجلها^(٢).

ولما أكد الشارع على قداسة هذه الرابطة وتغليظها، أمر الزوجين بحسن المعاشرة:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ١٩].

كما بين ما ينتج عن تلك الرابطة من حقوق الأبوة والبنوة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/ ٤٢١).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ص: ١٨).

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال في حق الأبناء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَقٍ تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

كما أكد القرآن في مواضع كثيرة على حقوق الأبوين - وإن كانا مشركين -: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنذِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]. فما بالك إن كانا على الإسلام: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقرن شكرهما بشكره تعالى؛ لكونهما أعظم منعم بعد الله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾ [لقمان: ١٤].



المقصد الثاني: حفظ المعروف، والإحسان المتبادل.

يشير القرآن إلى هذا المقصد في أحكام الأسرة، فبالإضافة إلى الحق الثابت المؤكد بعدد من الآيات، يبين سبحانه أسباب ذلك الحق، وأنه حفظ لمعروف وإحسان سابق من الطرف الآخر.

ففي بر الوالدين يقول سبحانه: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] ويقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾ [لقمان: ١٤]. فتربيتهمما للابن،

وحمل الأم وإرضاعها، كلها دواعٍ إلى ذلك البرِّ والإحسان المأمور به.

وفي العلاقة بين الزوجين يأمر بالمعاشرة بالمعروف: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

مشيرًا في موضع آخر إلى ما كان بينهما من الفضل السابق: ﴿وَلَا تَسْوَأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

ومؤكدًا على الإصلاح كون العلاقة بينهما لا تخلو من جميل سابق: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

بل وحتى عند انحلال تلك الرابطة العظيمة حال الطلاق، يؤكد على مراعاة الإحسان وحفظ المعروف فيقول عزَّ وجلَّ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفِقْنَ أَجْلَهُنَّ فَمَا مَسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] ويقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] بالإضافة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَمَا مَسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارَقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢].

المقصد الثالث: حفظ دين المجتمع بالتربية الأخلاقية للأسرة التزامًا بالقيم والمبادئ.

حرص القرآن الكريم على مراعاة هذا المقصد، فبسلامته يسلم المجتمع من

الفساد وذهاب الدين، قال تعالى مراعيًا هذه التربية الأخلاقية: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقال مؤكداً على حرصه على العفة والبعد عن مزلق الهوى والشيطان: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال داعياً إلى الحجاب الذي يحفظ حياء المرأة ويصونها مما يعني حفظ المجتمع بأسره: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].



المقصد الرابع: صلة الرحم لتحقيق التواصل الفعال والتضامن العائلي.

ذكرت سابقاً أن الإنسان مدني بطبعه، وهي الحقيقة التي اتجه العلم المعاصر لتأكيدھا، لذلك كان لا بد من نظام يقوم علاقاته "ولا جرم أن الأصل الأصيل في تشريع أمر العائلة هو إحكام آصرة النكاح، ثم إحكام آصرة القرابة، ثم إحكام آصرة الصهر، ثم إحكام كيفية انحلال ما يقبل الانحلال من هذه الأواصر الثلاث" (١).

وآيات تعليل الأخلاق راعت هذا المقصد فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] فعطف اتقاء الأرحام على اتقاء الله تعظيماً لأمر الرحم.

وقال سبحانه مؤكداً على حقوقهم: ﴿فَتَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

كما أثنى تعالى على من حفظ هذه الرابطة فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ] [٢٠] وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/ ٤٢١).

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

وذم من ضيع تلك الرابطة فقال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٧] وقال في موضع آخر: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

المقصد الخامس: إقامة العدل.

لا شك أن من المقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية إرساء أمر العدالة وحفظ الحقوق " وهذا من أهم المقاصد وأسمى المطالب التي أمر الإسلام بتطبيقها، ولم يجعل الإسلام الالتزام بهذا الأمر خاصاً بالحكام فحسب، بل أمر كل إنسان بالعدل في جميع أموره التي يزاولها سواء في ذلك ما يتصل بالأسرة أو بالجار أو بغير ذلك" (١).

لذلك جاءت آيات تعليل الأخلاق خادمة لهذا المقصد ومؤكدة على عموم العدل في الإسلام حتى أنه يشمل الأبعدين فضلاً عن الأقربين، والكافرين مع المسلمين. (٢)

ومن ذلك قوله تعالى في حفظ حقوق الزوجات: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرءُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْذِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٩﴾ [النساء: ١٢٩].

(١) الإمامة العظمى للدكتور عبدالله الدميحي (١/٩٨).

(٢) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٧/ ٢٨١٨).

وقال منبهاً على حقوق النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا^ط
وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ تَبْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ^ع﴾ [النساء: ١٩٠].

وحتى من نشرت عن طاعة زوجها فله أن يؤديها بالمراتب الثلاث دون تجاوز لا سيما إن عادت لطاعته قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ شُوزَهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَهَجْرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا^{٣٤}﴾ [النساء: ٣٤].

ونهى كذلك عن العضل لما فيه من إضرار بالمرأة ومخالفة للعدل المأمور به: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ^ط ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ آزْكِي لَكُمْ وَأَطْهَرُ^ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^{٣٣}﴾ [البقرة: ٢٣٢].



المقصد السادس: الحيل في الدين غير مشروعة في الجملة.

وهذا مقصد نص عليه العلماء في كتب المقاصد "فإذا تسبب المكلف في إسقاط ذلك الوجوب عن نفسه، أو في إباحة ذلك المحرم عليه، بوجه من وجوه التسبب حتى يصير ذلك الواجب غير واجب في الظاهر، أو المحرم حلالاً في الظاهر أيضاً، فهذا التسبب يسمى حيلة وتحيلاً... فالحيل في الدين بالمعنى المذكور غير مشروعة في الجملة، والدليل على ذلك ما لا ينحصر من الكتاب والسنة"^(١).

ومن آيات تعليل الأخلاق التي تندرج في هذا المقصد:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ^ط بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ^ع
وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُو^ط وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَنْخِذُوا^ع آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا^ع وَادْكُرُوا نِعْمَتَ

(١) ينظر: الموافقات (٣/١٠٧+١٠٩).

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ [البقرة: ٢٣١].

فالآية تدل على تحريم إرجاع المرأة بقصد مضاربتها بأن يطلقها ثم يمهلها حتى تشارف انقضاء العدة ثم يرجعها، ثم يطلقها ثم يمهلها حتى تشارف انقضاء العدة ثم يرجعها، فيكون غرضه من إرجاعها وتحايله على الشرع: الإضرار بها. (١)

- وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تِلْثُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

والآية دالة على تحريم مضارة المرأة لتفتدي منها، وهذه كلها حيل لبلوغ غرض لم يشرع ذلك الحكم لأجله. (٢)

(١) ينظر: المصدر السابق (٣/ ١١١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٣/ ١١١).

المطلب الثالث : مقاصد إصلاح المجتمع.

لا شك أن إصلاح المجتمع بادئ الأمر متوقف على إصلاح أفرادهِ، ولكن لا يتصور أنه بإصلاح الأفراد ينشأ ويولد المجتمع الصالح دون صلاح إضافي؛ فإن اجتماع الأفراد تنشأ عنه حاجات ومصالح اجتماعية لا توجد في الأحوال الفردية؛ لأن حالات التجمع تبعث عوارض جديدة، لذلك وضعت الشريعة قوانين إصلاحية زائدة على قوانين إصلاح الأفراد.^(١)

ولتعليل آيات الأخلاق في جانب الإصلاح الاجتماعي تسعة مقاصد، وهي:

المقصد الأول: الاتفاق والاتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف.

وقد جاء تقرير هذا المقصد في القرآن في مواطن كثيرة، وأساليب متنوعة؛ لكون هذا المقصد العظيم من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية التي تحقق تماسك الأمة، ولما يحققه من نتائج مثمرة للدين من هيبة في نفوس أعدائه.^(٢)

وأسلوب تعليل الأخلاق من الأساليب التي خدمت هذا المقصد على النحو

التالي:

أ/ خدمة هذا المقصد بالقول: وذلك بالأمر بالقول الحسن: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

والأمر بإصلاح ذات البين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَتْ حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

(١) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لابن عاشور (ص: ٤٢-٤٣)، المدخل إلى مقاصد القرآن (ص: ٢١٠-٢١١).

(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي (ص: ٤٥٦).

يُحِبُّ الْمَقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾
[الحجرات: ٩-١٠]

والأمر بالتحية وردها: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ﴿٨٦﴾ [النساء: ٨٦].

والأمر بالتشفع الحسن: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾ ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥]، فالشفاعة الحسنة دليل رقة قلب الشافع ورحمته بغيره، وتزيد من الألفة والترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي لذا جاء التعليل القرآني حاثًا عليها. (١)

والنهي عن السخرية واللمز والتنازب بالألقاب في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّسَانِ يَسُوؤُا أَلْسِنُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].

والنهي عن الغيبة في قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحُدُّكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الحجرات: ١٢] وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ ﴿١﴾ [الهمزة: ١].

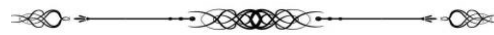
ب/ خدمة هذا المقصد بالفعل: حيث أمر بالثبات والوحدة وعدم التنازع: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا الْقِيَمَةُ فَذُكُرُوا بِاللَّهِ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

وأمر بالثبات والتبين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ﴿٦﴾ [الحجرات: ٦].

وأمر بالتوسع في المجالس: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة: ١١].

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٦/ ٢٣٨٤).

ونهى عن الكبر والاختيال لما يؤدي إليه من كسر النفوس وتفرقتها فقال:
 ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، وقال:
 ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَلَعَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وقال:
 ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ
 ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].



المقصد الثاني: تعيين أنواع الحقوق لأنواع مستحقيها.

من مقاصد الشريعة تعيين أنواع الحقوق لأنواع مستحقيها، مما يحفظ تلك الحقوق، ويحقق العدالة لجميع البشر ويرسي قواعد المعاملات فيما بينهم "إن تعيين أصول الاستحقاق أعظم أساس وأثبته للتشريع في معاملات الأمة بعضها مع بعض" (١).

ومن آيات تعليل الأخلاق التي تندرج في هذا المقصد:

- ما جاء في تحقيق العدالة وأداء الأمانات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَن تُوَدُّوا
 الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا
 ﴿٥٨﴾ [النساء: ٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، المearح: ٣٢].

- ما جاء في امتداح العدل وبيان محبة الله لأهله من قوله تعالى: ﴿وَإِن حَكَمْتَ
 فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِن
 الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقِنِلُوا الَّتِي تَبغىٰ حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن
 فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وقوله تعالى: ﴿لَا
 يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنِلُواكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
 ﴿٨﴾ [الممتحنة: ٨].

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/ ٤١٠).

- ما جاء في حفظ حقوق الأيتام، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَسْفَلِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ٢] وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ سَرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦] وتحذيره الشديد من أكل هذا المال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

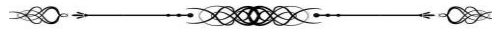
- ما جاء في أداء أنواع من الحقوق المالية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤] وأوفوا الكيل إذا كُلتُم وزنوا بالقسط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٤-٣٥] وقوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١-٣].

فلكل من الفرد والجماعة حق يختص به، وقد قسم علماء الأصول الحق إلى قسمين:

(أ) حق العباد أو حق الآدمي، ويراد به الحق الفردي.

(ب) حق الله، ويراد به حق الجماعة أو الحق العام.^(١)

وكلاهما مما روعي في الأخلاق القرآنية، وجاء الحث على حفظه، والتحذير من التفريط به.



(١) ينظر: المدخل إلى مقاصد القرآن (ص: ٢٥٠).

المقصد الثالث: النهي عن الفساد والإفساد.

من المقاصد العامة المقررة في القرآن مقصد النهي عن الفساد والإفساد، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة قرره القرآن أوضح تقرير. (١)

ومن الأخلاق المعللة الدالة على هذا المقصد:

النهي عن أكل أموال اليتامى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ٢] وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ [النساء: ٦] وتحذيره الشديد من أكل هذا المال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

النهي عن الإسراف والتبذير: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وتأكيد على ذلك بنفي محبته عن المسرفين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُمْتَشِكِيهَا وَغَيْرَ مُمْتَشِكِيهَا كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله تعالى: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

والنهي عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لما يؤدي إليه ذلك من شيوع ألوان الفساد: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي (ص: ٤٥٥).

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

والنهي عن التطفيف وعدم الوفاء بالموازنين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) [المطففين: ١-٣].



المقصد الرابع: تحقيق الأمن والأمان لأفراد المجتمع.

فالشعور بالأمن مطلب أساسي للنفس البشرية، لذلك جاءت الشريعة الإسلامية محققة لهذا المطلب وأرست قواعده بعدد من التشريعات، ومن ذلك ما جاء في مجال تعليل الأخلاق من الدعوة إلى رد الأمر إلى أولي الأمر وعدم نشر الشائعات: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣) [النساء: ٨٣]

والأمر بالتثبت قبل إصدار الأحكام وقتال الناس: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِمْ فَاصْبِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) [الحجرات: ٦].

وحفظ الأمن لغير المسلمين إن لم يكونوا مقاتلين: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) [المتحنة: ٨].

والأمر بخلق الإجارة وإبلاغ المشرك لمأمنه: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) [التوبة: ٦].

ومن الأخلاق التي تؤكد هذا المقصد كذلك: خلق غض البصر الذي يجعل المتحلي بهذه الصفة مجتمعاً آمناً مصوناً عن انتشار الزنا والفواحش، وخلق الاستئذان الذي يشيع جو الأمان في المجتمع فيأمن كلُّ عدم اقتحام البيت إلا بإذنه. (١)



(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٧/ ٣٠٧٦)، (٢/ ١٩٥).

المقصد الخامس: ألا يقصد المكلف إلحاق الضرر بالغير.

وهذا من مقاصد الشريعة الإسلامية التي دعا القرآن إلى تحقيقها وحذر مما يكون على خلافها "فلا إشكال في منع القصد إلى الإضرار"^(١).

ومن الإضرار الذي جاءت آيات تعليل الأخلاق بمنعه:

- النهي عن إضرار المسلمين لبعضهم بالسخرية، واللمز، والتنازب بالألقاب، لما يؤدي إليه ذلك من تفكك المجتمع المسلم، وانحلال عرى الأخوة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]

- النهي عن الظن رغم أن الإثم واقع في بعضه لا كله، وذلك دليل على مراعاة الإسلام لمقصد عدم الإضرار وحرصه عليه، والنهي أيضًا عن الغيبة؛ لما تؤديه إليه من تنافر القلوب، والإضرار بالأخوة الإسلامية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحُدُّكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

- التحذير من اتخاذ الأيمان دخلًا وخديعةً يُعرِّبها الناس، لما يؤدي إليه ذلك من الإضرار بالمسلمين: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله﴾ [النحل: ٩٤].

- الأمر بأداء الأمانات؛ لما يؤدي إليه الإخلال بذلك من الإضرار: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمْنَتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

- التأكيد في أكثر من موضع على العناية بأموال الغير وعدم الإضرار بها، ومن ذلك: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ

(١) الموافقات (٣/ ٥٥).

نَفْسًا أَلَا تُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٤-٣٥] وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١-٣] إلى غير ذلك مما نهي عنه من الأخلاق؛ لمنع الإضرار بالغير.



المقصد السادس: للعبد الخيرة فيمن تعدى عليه: إن شاء استوفى حقه، وإن شاء تركه، وتركه هو الأولى. (١)

ومن معالي الأخلاق المعللة المؤكدة لهذا المقصد ولخيرية الترك: الحث على العفو عند المقدرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله تعالى مرغبا بالعفو: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا إِلَّا لِمَنْ يَكْفُرْ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وقوله تعالى مبينا ما للعبد من خيرة بين استيفاء حقه أو العفو عن ظالمه: ﴿وَجَزَّوُا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣].



(١) ينظر: الموافقات (٣/١٠٣).

المقصد السابع: سيادة التعاون والتكافل الاجتماعي بين المجتمع.

فتحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي مقصد كلي لآيات الأخلاق، لا سيما ما جاء في العناية بالأيتام، والإنفاق في سبيل الله تعالى، ومن المواضيع الدالة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُم فَاخُونَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْتَكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم لِيَتَّعَىٰ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْتَبِتَ مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

- ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالْإِتِّمَالِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ٢٩ ﴿لِيُؤْتِيَهُمُ آخُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٣٠ [فاطر: ٢٩-٣٠].

- ﴿وَسِجِّينَ﴾ ١٧ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ ١٨ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْرَىٰ﴾ ١٩ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ ٢٠ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ٢١ [الليل: ١٧-٢١].

- ومن الأخلاق الدالة كذلك على هذا المقصد: خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون على البر والتقوى واهتمام المسلمين ببعضهم البعض. (١)

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٣/ ٥٣٩).

المقصد الثامن: تربية النفوس على إيثار الباقي على الفاني.

ولعل المقصد السابق مما يربي النفس على ذلك، حيث تقدم النفس محبة ورجاء ما عند الله على متع الدنيا وزخرفها الزائل، ومن آيات الأخلاق المعللة التي تخدم هذا المقصد:

- قوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْتِيَ الْقَبْرَ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا كُنْهِنَّا وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

- قوله تعالى مثنياً على الأبرار: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [٨] ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [٩] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [١٠] [الإنسان: ٨-١٠].

- قوله تعالى محذراً من الفرح الشديد بالدنيا داعياً إلى الإحسان وبذل الدنيا ابتغاء للآخرة: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [٧٦] ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٧٧] [الفصص: ٧٦-٧٧].

المقصد التاسع: تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشتملاً على أسسه

وقواعده دون تنفير للناس، أو تغييب للشريعة وتعاليمها.

فطالما أن الإنسان مدني وستنشأ بوجوده مجتمعات، كانت هذه الشعيرة من أهم ما ينظم تلك المجتمعات فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يهيا الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتختفي فيه المنكرات والردائل، كما أنه يكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس أخلاق الأمة ويجعل لها شخصية وسلطاناً أنفذ من القانون.^(١)

(١) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ (٣/ ٥٣٩).

ولأهمية هذا المقصد جاءت آيات الأخلاق دالة عليه ومن ذلك:

- قوله سبحانه: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- قوله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

- قوله سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

- ومن أسسه وقواعده الحكمة وحسن الموعدة والجدال بالتي هي أحسن: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

- ومما يعين الداعي عليه تحليه بمحاسن الاخلاق ومنها الصبر على ما يصيبه في سبيل ذلك: ﴿يَبْنِي أَقِيمَ الصَّلَاةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [القمان: ١٧].

- كما دلت الآيات على أن فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذه الأمة من مقاصده التفضيل على أهل الكتاب الذين أضاعوا ذلك بينهم، حيث قال تعالى فيهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨] كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون [٧٩].

- وبيئت أنه به نجاه الأمم والسلامة من الخسران، وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُمْ مُّهِلِكُهُمْ أَوْ مُّعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَنْتَقُونَ﴾ [١٦٤] فلما دسوا ما ذكروا به أجمنا الذين ينهون عن السيئ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون [١٦٥] وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً لله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة

إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّهْمُ يُنْقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥]. وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

إذن فالمجتمع المنظم المتسم أفراده بالطاعة وحكامه بالعدل، والذي يسوده التكافل والتناصح، ويعمه الأمن والرضا والطمأنينة، هو من مقاصد الأخلاق القرآنية، وكما فصل القرآن في أخلاق الفرد اعتنى بأخلاق المجتمع؛ ليتكوّن منهما الصراط المستقيم والدرب القويم.^(١)

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ص: ١٩٥).

المبحث الثاني

المقاصد الأخروية لتعليل الأخلاق

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أن يكون المقصود من شرع الخلق جلباً للثواب.
- المطلب الثاني: أن يكون المقصود من شرع الخلق دفعاً للعقاب.

* * * * *

المبحث الثاني :

المقاصد الأخروية لتعليل الأخلاق.

لتشريع الأخلاق مقاصد أخروية دلت عليها آيات التعليل، ولا يصح الحكم على فعل بأنه مصلحة بناء على ما له من الآثار الدنيوية دون الأخروية، فإن المصالح التي تقيمها الشريعة تشمل الحياة الأخرى كما تشمل الحياة الدنيا سواء بسواء.^(١)

وقد ندب الله تعالى إلى الإكثار من المصالح الأخروية على قدر الاستطاعة، وندب إلى الاقتصار في المصالح الدنيوية على ما تمس إليه الضرورات والحاجات، فالمقاصد الأخروية الآجلة أعلى قدرًا وأنبأ قصدًا.^(٢)

وما ظهر من مقاصد الأخلاق ضمن هذا المقصد الكلي يمكن تقسيمه إلى مطلبين^(٣):

المطلب الأول: أن يكون المقصود من شرع الخلق جلبًا للثواب.

المطلب الثاني: أن يكون المقصود من شرع الخلق دفعًا للعقاب.

(١) ينظر: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي لعبد الرحمن الكيلاني (ص: ١٢٧)، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم (ص: ١٣٥).

(٢) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٧٣)، مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلًا وتفعيلًا للدكتور محمد بكر إسماعيل حبيب (ص: ٢١٨).

(٣) تقسيم المقاصد الأخروية إلى هذين القسمين مستفاد من كتاب علم مقاصد الشارع للدكتور عبدالعزيز بن ربيعة (ص: ١٦٠).

المطلب الأول:

أن يكون المقصود من شرع الخلق جلباً للثواب.

وقد كان دأب الأنبياء والمرسلين وكثير من الصالحين التخلي عن الدنيا وما فيها لينالوا ثواب الله والجنة والنظر إلى وجهه الكريم، وجاءت الأخلاق القرآنية خادمة لهذا المقصد على قسمين:

الأول: مقاصد غائية.

الثاني: مقاصد هي وسائل لتلك الغايات.^(١)

❖ فالقاصد الغائية:

١. دخول الجنة:

كما في قوله تعالى في الحث على المسارعة إلى الجنة بالتحلي بمكارم الأخلاق:
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَتَّىٰ عَرْضَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقوله عز وجل في الثناء على من تحلى بخلق الصدق: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١٩) [المائدة: ١١٩].

وقوله تعالى تنويهاً بأولي الألباب وما تحلوا به من معالي الأخلاق: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْدَكُرُ أُولَئِ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد بكر إسماعيل حبيب (ص: ٢٢٣).

رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾
 جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ
 عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

وقوله سبحانه في تبشير من تحلى بالصبر والتوكل: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

وقوله تعالى في التنويه بعظمة بر الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

وقوله جلَّ وعلا بعد ذكر أخلاق عباد الرحمن: ﴿أُولَئِكَ يُحْزَنُ لَكُمُ الْعُرْفُ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَيْسًا وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

٢. الأجر العظيم الذي لا يعلم مداه إلا الله:

كما دلَّ على ذلك قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله في الحث على التعاون على الخير: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقوله سبحانه بشارة الصابرين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

وقوله سبحانه في الصبر والتوكل: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤١] الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الشَّاءِ عَلَىٰ مَنْ تَحَلَّىٰ بِخَلْقِ الْوَفَاءِ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفح: ١٠].

٣. نيل رضوان الله تعالى:

ومن الآيات الدالة عليه: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

٤. تحقيق الفوز والفلاح:

ويدل عليه قوله: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وتعليقه الفلاح على جملة من أخلاق المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقوله عَزَّجَلَّ فِي بَيَانِ جِزَاءِ الصَّابِرِينَ: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وقوله تعالى في تربية المؤمنين على الثبات ودوام الذكر: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقوله سبحانه في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

❖ ووسائل تحقيق تلك الغايات:

١- صلاح الأعمال:

كما جاء ترتيب صلاح الأعمال على خلق الصدق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

٢- مغفرة الذنوب وتكفير السيئات:

كما يقول سبحانه في الحث على المسارعة إلى فضله ومغفرته: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وكما جاء ترتيب مغفرة الذنوب على خلق الصدق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وكما في قوله سبحانه في الثناء على جملة من الأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبيان ما للصابر من مغفرة: ﴿لَا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

وفي المفاضلة بين الإسرار بالصدقات وإبدائها: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقوله تعالى في التنويه بعظمة بر الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٥] أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّادِقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [١٦]﴾ [الأحزاب: ١٥-١٦].

٣- رحمة المولى:

كما بشر بذلك الصابرين في قوله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

المطلب الثاني: أن يكون المقصود من شرع الخلق دفعاً للعقاب.

وجاءت الأخلاق القرآنية خادمة لهذا المقصد على قسمين:
الأول: مقاصد غائية.

الثاني: مقاصد هي وسائل لتلك الغايات. (١)

❖ فالمقاصد الغائية:

١. دفع عذاب النار:

ومن الآيات التي نصت على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَسِخِّرْنَا الْأَنْفَىٰ ۗ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۗ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۗ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۗ (٢١)﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وتحذيره من أكل أموال اليتامى لكونه يؤدي إلى النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۗ (١٠)﴾ [النساء: ١٠].

٢. دفع الويل:

وذلك بتعليقه بأوصاف يُحذر منها كما في قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۗ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۗ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۗ (٣)﴾ [المطففين: ١-٣].

وقوله جل وعلا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۗ (١)﴾ [الهمزة: ١].

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد بكر إسماعيل حبيب (ص: ٢٢٣).

❖ ووسائل تحقيق تلك الغايات:

اجتناب ما حرمه الله تعالى مما قد يؤدي لتلك الغايات المحذورة، ومن الآيات التي أشارت لما ينبغي اجتنابه من الأخلاق:

• قوله جَلَّ وَعَلَا في الوصايا الجامعة في ختام سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٢].

• قوله تعالى محذراً من قطيعة الرحم: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].
وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

• قوله عزَّ جَلَّ ذاماً ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

• قوله سبحانه ذاماً كفر النعمة: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

• قوله تعالى محذراً من سوء عاقبة العقوق: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَنْتَ عِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَلْبِهِمْ مِنَ الْحَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنَّمَا كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: ١٧-١٨].

• تحذيره عَزَّجَلَّ من قتل الأبناء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ فَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

• التحذير الشديد من أكل أموال اليتامى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَسْفَلِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢).

ومن آيات تعليل الأخلاق ما جُمع فيه بين مقصد جلب الثواب ودفع العقاب، فقصدت إلى تبشير المطيعين وإنذار المخالفين في آن واحد، وهذا المقصد من كبرى مقاصد القرآن الكريم^(١):

كما في قوله تعالى في الموازنة بين الصدق وما يضاده من النفاق: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٤)

وكما في تعليقه الجزاء بالمصير إليه تبشيراً للمطيع وإنذاراً للمخالف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنذِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨).

(١) ينظر: أمهات مقاصد القرآن (ص ٢٥٩).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله أعطى فامتن، وأتمّ نعماءه فأحسن، فله الحمد أن هياً سُبيل العلم وهدى لأحسنها، ثم بتوفيقه أعان على كتابة الرسالة وإتمامها.

وبعد؛ فهذه خلاصة ما خرجت به من نتائج لدراستي، وأسأل المولى جلّ في علاه سداد القول، وقبول العمل:

أولاً: لورود التعليل في القرآن الكريم فوائد ذكرت نثاراً في كتب أهل العلم، وأثبت تقصي مواضع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم في هذا البحث أنه سبحانه لم يعلّل خلقاً إلا لفائدة وحكمة.

ثانياً: لتعليل الأخلاق في القرآن الكريم أساليب متعددة، منها ما نصّ عليه أهل اللغة ومنها ما استنبطه الأصوليون في ذكر مسالك العلة، وقد أثبت البحث أن كافة أساليب التعليل اللغوية وردت في تعليل الأخلاق، ومعظم ما ذكره الأصوليون من أساليب للتعليل وجدت له تطبيقات في آيات الأخلاق.

ثالثاً: يُعلّل الخلق في القرآن بالحرف وبالاسم وبالجملة، كما يعلّل بطرق أخرى كاقتران الحكم بوصف مناسب مشعر بالعلية، أو إردافه باسم تفضيل، وقد تتداخل أنواع من التعليل في موضع واحد مما يقوّي التعليل ويزيد من أهميته.

رابعاً: ورد التعليل في أكثر آيات الأخلاق في القرآن الكريم، وليست آيات الأخلاق كلها معللة بل ورد بعضها مجرداً عن التعليل.

خامساً: قد يأتي تعليل الخلق في أول الآية -وهو الأقل وروداً- وقد يأتي في وسطها، أو في آخرها -وهو الأكثر وروداً- كما قد يُعلّل الخلق بأكثر من تعليل وتتعدد مواقعها في الآية الكريمة.

سادساً: قد يتقدم المعلول - وهو الخلق المحمود أو المذموم في الآية - على العلة، وقد تتقدم العلة على المعلول وهو أقل من الأول في آيات تعليل الأخلاق في القرآن الكريم، كما قد تقع العلة بين خُلُقَيْن فتكون متقدمة على أحدهما، متأخرة عن الآخر في آنٍ واحد.

سابعاً: من خلال الدراسة التطبيقية لآيات تعليل الأخلاق تبين الآتي:

• أن ابن عاشور اعتنى بإبراز مواضع تعليل الأخلاق - ولم يستغرقها - يليه في ذلك أبو السعود، ثم الطيبي، كما أشار الزمخشري والفخر الرازي لبعض المواضع.

• تعليل الأخلاق في الآيات المكية يميل إلى تنظيم العلاقات الخارجية، أي: علاقة المسلم بغير المسلم، إضافةً إلى كونه يشير ويؤكد على علاقة العبد بربه معللاً بالمحبة الإلهية ونفيها وغير ذلك من وسائل التعليل، أما تعليل الأخلاق في الآيات المدنية فيميل إلى تنظيم العلاقات الداخلية، أي: المجتمع المسلم، ولا يخلو من التعليل بما يؤكد على علاقة العبد بربه.

• لم يأت الأمر بالخلق أو النهي عنه على صورة واحدة من صور الخطاب، فتارةً ينصّ على الأمر به، وتارةً يأتي بالصيغة الخبرية بمدحه أو ذمّه، وغير ذلك.

• ورد التعليل في كثير من الآيات الحاثّة على الأخلاق الفردية المحمودة كالصدق والصبر والشكر، كما ورد في تعليل الأخلاق الفردية المذمومة كاليأس والعجب والحسد.

• أكّد التعليل رعاية القرآن الكريم لمصالح الأسرة من خلال تعليل آيات الأخلاق الأسرية؛ كبر الوالدين، وحسن العشرة بين الزوجين، والإصلاح بينهما، ونحو ذلك.

• اعتنت الأخلاق القرآنية بالعلاقات الاجتماعية وجاء التعليل مبرزاً لهذه العناية من خلال تعليل أكثر آيات الأخلاق الاجتماعية كالاستئذان والتشفع الحسن والتحية وردّها، كما جاء مبرزاً للعلة الصارفة عما ينبغي اجتنابه من الأخلاق المذمومة كسوء الظن والسخرية والإسراف والبخل، وغير ذلك من الأخلاق.

• من آثار التعليل فيما أمر به النبي ﷺ من أخلاق: تعميم الحكم إرشاداً للاقتداء به عليه الصلاة والسلام.

• لتعليل الأخلاق في القرآن آثار إيمانية وذلك من خلال تجلّي حكمة الله تعالى في تشريعه وتحقيقه لمصالح العباد، مما يزيد العبد إيماناً واطمئناناً لدينه العظيم.

• كما أن له آثاراً سلوكية حيث تدعن النفس للخلق المعلل وتسلم للمأمور به فقد جُبلت النفوس على قبول الأحكام المعللة.

• وله كذلك آثار شرعية منها: إظهار بهاء الشريعة وتسهيل دفع شبه الطاعنين عليها بالجمود وعدم مسايرتها للزمن، فالتعليل يدل على عموم الحكم وشموله لكل زمان ومكان.

ثامناً: يظهر بعد تقصي مواضع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم أن للتعليل فيها مقاصد كلية، منها ما هو دنيوي كمقصد الإصلاح الذي يشمل ما به صلاح حال الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا، ومنها ما هو أخروي وهو أن يكون المقصود من شرع الخلق جلباً للثواب أو دفعاً للعقاب.

تاسعاً: للمقاصد علاقة وثيقة بتعليل الأخلاق لذلك يرى العلماء ضرورة اعتبار علل الأمر والنهي في المقاصد، وكانت عنايتهم بالمقاصد وتأليفهم فيها أوسع من عنايتهم بالتعليل وإفراد التأليف فيه؛ باعتبار أن التعليل أهم الجهات التي يعرف بها مقصد الشارع، فهو الأساس الضروري لنشوء علم المقاصد وتطوره.

عاشراً: بعد هذه الدراسة يظهر جلياً أن تعليل الأخلاق في القرآن الكريم أمر مطّرد في كافة مجالات الأخلاق، محمودها ومذمومها، وأن هذا الاطراد حاصل في الواجبات منها والمستحبات، كما يظهر أن الشريعة تراعي في آن واحد مصالح الدنيا ومصالح الآخرة فما من خلق نصّ عليه القرآن إلا وهو متضمن لهما معاً، أو معلل بهما معاً.

وما ظهر لي من توصيات بعد البحث ما يأتي:

الأولى: تكثيف عناية طالب التفسير بدراسة أسلوب التعليل لما له من أثر في بناء عقلية المفسر العلمية وتمكّنه من أصول الشريعة ومقاصدها.

الثانية: توجيه طلبة تخصص الكتاب والسنة إلى دراسة وتحليل ما كتبه العلماء في مقاصد القرآن والسنة، إذ إن المتبادر إلى الذهن بادئ الأمر أن دراسة التعليل والمقاصد مما يختص به طلاب تخصص الشريعة، رغم أن أساس هذا العلم ولبّه في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

الثالثة: من خلال معايشة التعليل في آيات القرآن الكريم، أوصي بدراسة الموضوعات الآتية:

- تعليل ما أمر به النبي ﷺ في القرآن الكريم، وأثر هذا التعليل في تعميم الحكم.

- تعليل الدعاء في القرآن الكريم، فلا شك أن ختام أكثر أدعية القرآن بتعليل يدعو لإفراد الموضوع بالبحث، لا سيما وأن مما يندرج تحت الدعاء: الاستعاذة وألوان من الأذكار وغير ذلك.

- تعليل الأعمال القلبية في القرآن الكريم كالتقوى والتوكل والخوف والرجاء وغيرها.

- تعليل العقوبات الدنيوية والأخرية في القرآن الكريم.

الرابعة: خدمةً لمجال التعليل في آيات القرآن الكريم أوصي بالدراسات التأصيلية الآتية:

- دراسة التعليل في سور القرآن وسماته وأثره على مقاصد السور.

- إفراد موضوع التعليل المعنوي أو التعليل بالسياق بالدراسة وتقصي أقوال العلماء فيه، ومواضعه في القرآن الكريم؛ إذ لم أجد في الدراسات السابقة في موضوع التعليل من صنفه ضمن أدوات التعليل، والموضوع جدير بالدراسة وإفراده بمزيد نظر.

- الدراسة التفصيلية لأدوات التعليل بإفراد كل أداة ومواقعها في القرآن.
- الدراسة الإحصائية لكل ما يتعلق بأسلوب التعليل وربط ذلك بالمواضع
والمواضيع.

هذا ما فتح به الرحمن، وامتنّ بإتمامه وأعان،
وآخر دعواناً أن الحمد لله رب العالمين.



الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأبيات الشعرية.
- ٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ٥- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٥٢، ٨٨ ٢٤٨	٢	البقرة: ٥	﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾
١٨٢، ١٧٩ ٣٩٣، ٣٧٠	٢	البقرة: ٢٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾
٣٧٠، ١٨٢ ٣٩٣	٢	البقرة: ٢٧	﴿الَّذِينَ يَتَفَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾
٢٨٦، ١١٠	٢	البقرة: ٤٥	﴿وَأَسْعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾
١١٨، ٧٦	٢	البقرة: ١٥٢	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾
١٠٨، ٧٦ ٢٨٦، ١١٠ ٣٦٤	٢	البقرة: ١٥٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾
٧٨، ٦٣ ٣٩١، ١٠٨	٢	البقرة: ١٥٥-١٥٧	﴿وَلَنَبَلِّتُكُمْ نَبَأَ مِمَّن لَّمْ يَلْمِزْكُمْ فِي شَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾
١١٣، ٥٨ ٣٥٩، ١٢١	٢	البقرة: ١٧٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ۖ إِن كُنتُمْ إِنَاءً تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾
٢٤٣	٢	البقرة: ١٩٥	﴿وَاحْسِنُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٣٩، ٣٦	٢	البقرة: ١٩٨	﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾
١٢٠	٢	البقرة: ٢٠٥	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾
٥٦، ٣٤ ٣٨١، ٢٧٦	٢	البقرة: ٢٢٠	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْتُكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠)
١٧١، ١٥٦	٢	البقرة: ٢٢٨	﴿وَهُنَّ مِثْلُ اللَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
١٦٩، ١٦٨ ٣٦٨، ١٧٠	٢	البقرة: ٢٢٩	﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٢٩)
١٦٩، ١٦٨ ١٩٠، ١٧٠ ٣٦٨، ١٩٢ ٣٧١	٢	البقرة: ٢٣١	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٣١)
١٦٤، ٥٠ ١٨٥، ١٨٨ ٣٧١	٢	البقرة: ٢٣٢	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٢)
٢٣٧	٢	البقرة: ٢٣٧	﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
٣٦٨، ١٦٦	٢	البقرة: ٢٣٧	﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
٢١٦	٢	البقرة: ٢٣٨	﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩١	٢	البقرة: ٢٦١	﴿كَمْثِلِ حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾
٢٩٤، ٢٧٨ ٣٨١	٢	البقرة: ٢٦٥	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٦٥)
٣٦١، ٢٧٩ ٣٩١، ٣٨١	٢	البقرة: ٢٧١	﴿إِن بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُحْفُوا وَتَوْتُوا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)
٣٩	٢	البقرة: ٢٧٢	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢)
٢٨١	٢	البقرة: ٢٧٣	﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾
٢٨١، ٣٥ ٣٨١	٢	البقرة: ٢٧٤	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤)
٣٣٦	٢	البقرة: ٢٧٦	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾
٢٤٣	٣	آل عمران: ٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾
٢٤٤	٣	آل عمران: ٧٦	﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)
٢٨٢، ٦٣ ٣٨٢	٣	آل عمران: ٩٢	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٣، ٢١٦ ٣٩٠	٣	آل عمران: ١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤)
٢١٧، ٤٤ ٣٨٣، ٣١٧	٣	آل عمران: ١١٠	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠)
٢٤٨، ٩٣	٣	آل عمران: ١٢٥	﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا﴾
٢٨٣، ٢٦٠ ٣٩٠، ٣٨٧	٣	آل عمران: ١٣٣- ١٣٤	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةٍ غَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
١١٤، ٦٣ ١٢١	٣	آل عمران: ١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)
١٢١، ١١٤	٣	آل عمران: ١٤٥	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجِلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥)
١٠٩، ٨٤ ٣٦٣، ٢٤٣	٣	آل عمران: ١٤٦	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦)
٣٦١، ٨٠	٣	آل عمران: ١٨٦	﴿لَتَجَلَّوْا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثيراً وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٧، ٨١، ٩٣، ٢٤٨، ٣٨٩	٣	آل عمران: ٢٠٠	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠)
١٤٩، ٣٦٩	٤	النساء: ١	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)
٢٧٦، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٤	٤	النساء: ٢	﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمَ الَّتِي ءَامَوكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢)
٣٣٤، ٣٧٦، ٣٧٧	٤	النساء: ٦	﴿وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٦)
٢٧٦، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٢	٤	النساء: ١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (١٠)
١٥٦، ١٨٧، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢	٤	النساء: ١٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرهًا وَلَا تَعْضُلوهنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُموهنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُموهنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩)
٥٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٥٩، ٣٦٥	٤	النساء: ٣٢	﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٢)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٧١، ١٥٩	٤	النساء: ٣٤	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ قَيْنَتُكَ حَافِظَتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾
٣٦٤، ٣٢٢ ٣٧٥	٤	النساء: ٣٦	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
٣٦٢، ٣٤٢	٤	النساء: ٣٦-٣٨	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾
٣٧	٤	النساء: ٤٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾
١٢٤	٤	النساء: ٤٩	﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴿٤٩﴾
١٢٩، ٣٥ ٣٦٥	٤	النساء: ٥٤	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
٦٦، ٥٨ ٣٧٥، ٢٣٦ ٣٧٩	٤	النساء: ٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَصِيرًا ﴿٥٨﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٩٨	٤	النساء: ٧٨	﴿وَأِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ﴾
١٩٨	٤	النساء: ٧٩	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾
٣٧٨، ١٩٩	٤	النساء: ٨٣	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣)
٢٠٦، ٤٢ ٣٧٤	٤	النساء: ٨٥	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا﴾ (٨٥)
٢٠٨، ٦٥ ٣٧٤	٤	النساء: ٨٦	﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِخَبْرٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦)
٢٠٨	٤	النساء: ٩٤	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤)
٣٦٤، ٣٣٠	٤	النساء: ١٠٧	﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِمًا﴾ (١٠٧)
٣٨٣، ٢١١ ٣٨٨	٤	النساء: ١١٤	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤)
١٦٢، ٦٦ ٣٦٨	٤	النساء: ١٢٨	﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٧٠، ١٨٣	٤	النساء: ١٢٩	﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾
٢٦١	٤	النساء: ١٤٨	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾
٢٧٢، ٢٦١، ٢٧٣	٤	النساء: ١٤٩	﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُحْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾
٣٧٥	٥	المائدة: ٤	﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
٦١	٥	المائدة: ٦	﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾
٢٣٧، ٥٦	٥	المائدة: ٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾
٦١	٥	المائدة: ٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾
٣٦٣، ٢٣٨	٥	المائدة: ٤٢	﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
٢٤٣	٥	المائدة: ٥٤	﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
٣١٧، ٣١٥، ٣٨٣، ٣٧٧، ٣٩٣	٥	المائدة: ٧٨-٧٩	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٧، ٧٢ ٣٨٩	٥	المائدة: ١١٩	﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾
٣٠٢	٦	الأنعام: ٦٨	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾
٣٢٠	٦	الأنعام: ١٠٨	﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَغِيٍّ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
٣٦٢، ٣٣٩ ٣٧٧، ٣٦٤	٦	الأنعام: ١٤١	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾
٣٢٧	٦	الأنعام: ١٤٨	﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾
١٤٤، ٣٦ ١٧٥، ١٣٦ ١٧٧، ١٧٦ ٢٤٠، ٢٣٤ ٣٣٧، ٢٤٥ ٣٦٦	٦	الأنعام: ١٥١	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُفْرِكُمْ أَلا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِي نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٩٣	٦	الأنعام: ١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلِئْتَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّوَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾﴾
٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٥، ٣٣٦، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٩٣	٦	الأنعام: ١٥٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَفِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّوَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾
٣٣٩، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٧	٧	الأعراف: ٣١	﴿يَبْنِي ۖ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾
٢١٨، ٢٢٢، ٣١٦	٧	الأعراف: ١٦٤	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
٣٨٣	٧	الأعراف: ١٦٤	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
٤٦، ٢١٩، ٣٨٣	٧	الأعراف: ١٦٥	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾
٣٠٣	٨	الأنفال: ٢	﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿٢﴾﴾
٤٢	٨	الأنفال: ٢٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴿٢٩﴾﴾
٣٨٩	٨	الأنفال: ٤٥	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾
٢٥٦، ٣٧٤	٨	الأنفال: ٤٥	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٦، ٨٥ ٣٧٤، ٣٦٤	٨	الأنفال: ٤٦	﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزِعُوا عَنْ أَفْئِسْخَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)
٣٦٤، ٣٣٠	٨	الأنفال: ٥٨	﴿وَمَا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨)
٢٧٤، ٣٨ ٣٧٨	٩	التوبة: ٦	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ أَمْنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦)
٨٦	٩	التوبة: ٤٠	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
٣٥٤	٩	التوبة: ٤٢	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾
٢٩٤	٩	التوبة: ٥٤	﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ﴾
٣٤٣	٩	التوبة: ٧٦-٧٧	﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦) ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧)
١٣٩	٩	التوبة: ١١٣	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾
٢٠٨	٩	التوبة: ١٢٩	﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾
٨٦	١١	هود: ٩-١١	﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كَفُورًا﴾ (٩) ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (١٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١١)
٢٦٤، ١١٠ ٣٩١، ٣٨٨	١١	هود: ١١	﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١١)
٨٨، ٤٩	١١	هود: ١١٥	﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٢٣	١٢	يوسف: ٥٥	﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾
١٢٥، ٥٨ ٣٦٢، ١٢٦	١٢	يوسف: ٨٧	﴿يَبْنِي أَدْحَابُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)
٨٨، ٩٣ ٢٤٨	١٢	يوسف: ٩٠	﴿قَالُوا أءِذَا كُنَّا أَهْلًا لَدُنَّكَ لَا نَحْنُ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٠) ﴿قَالَ يُوسُفُ إِنِّي خَشِيتُ النَّاسَ وَأَخِيهِ وَأَخِي هُوَ أَكْبَرُ عِنْدِي مِنَ النَّاسِ﴾ (٩٠) ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي كُنَّا مِنْ بَنِي مُوسَىٰ أَلْفًا مِائَةً وَبِضْعًا عَشْرًا وَمَا كَانَ لِيَؤْتَكُمْ الْأَحْزَابَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ (٩٠) ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي كُنَّا مِنْ بَنِي مُوسَىٰ أَلْفًا مِائَةً وَبِضْعًا عَشْرًا وَمَا كَانَ لِيَؤْتَكُمْ الْأَحْزَابَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ (٩٠) ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي كُنَّا مِنْ بَنِي مُوسَىٰ أَلْفًا مِائَةً وَبِضْعًا عَشْرًا وَمَا كَانَ لِيَؤْتَكُمْ الْأَحْزَابَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ (٩٠)
٢١٤	١٢	يوسف: ١٠٠	﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾
٢٦	١٢	يوسف: ١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
٩٠، ١٥٠، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٨٥، ٣٦٩ ٣٨٧	١٣	الرعد: ١٩-٢٤	﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِئِكَ الَّذِينَ يُوقُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)
١٥٠، ٢٦٣، ٢٨٥	١٣	الرعد: ٢٠-٢٢	﴿الَّذِينَ يُوقُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)
١١٠	١٣	الرعد: ٢٢	﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾
٢٦٤	١٣	الرعد: ٢٢	﴿ويَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾
٢٤٨	١٣	الرعد: ٢٢	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٤٩، ١٥٣ ٢٦٥، ٢٥٣ ٣٠٦، ٢٨٨	١٣	الرعد: ٢٣-٢٤	﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾
٥٦، ٤٢ ١١٩، ١١٧ ١٢١، ١٢٠ ٣٥٩	١٤	إبراهيم: ٧	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾
٣٥٤	١٦	النحل: ٩	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾
١٨٤	١٦	النحل: ١٨	﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
٣٦٤، ٣٢٢	١٦	النحل: ٢٣	﴿لَا جَرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾
١١٢	١٦	النحل: ٣٠	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾
١١٢	١٦	النحل: ٤١	﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
٣٨٩، ٩٤	١٦	النحل: ٤١-٤٢	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَاهَرُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾
٤٧	١٦	النحل: ٥٧	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾
٢٤٢	١٦	النحل: ٧٧	﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾
٣٥٩	١٦	النحل: ٧٨	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَّةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾
٦٣، ٥٤ ٢٤١، ٢٤١ ٢٤٢	١٦	النحل: ٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٧٩، ٣٣١	١٦	النحل: ٩٤	﴿وَلَا تَنخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله﴾
١١٦	١٦	النحل: ١١٢-١١٤	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾
٣٥٩	١٦	النحل: ١١٤	﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾
١٢٩	١٦	النحل: ١٢٠	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾
٣٨٣، ٢٢٣	١٦	النحل: ١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَةَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾
١١١، ٩٦ ٣٦١	١٦	النحل: ١٢٦	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾
٩٦	١٦	النحل: ١٢٧	﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾
٨٦	١٦	النحل: ١٢٨	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾
٦	١٧	الإسراء: ٩	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾
١٣٨، ٥٨ ٣٦٧	١٧	الإسراء: ٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٣٨، ٥٨ ٣٦٧	١٧	الإسراء: ٢٤	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤)
٥٤	١٧	الإسراء: ٢٦	﴿ وَلَا بُدْرٌ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُنْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ﴾
٣٦٢، ٣٤٠ ٣٧٧	١٧	الإسراء: ٢٦	﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرٌ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾
٣٤٧، ٣٤٠ ٣٧٧، ٣٦٢	١٧	الإسراء: ٢٧	﴿ إِنَّ الْمُنْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾
٢٩٩، ٥٨ ٣٧٧	١٧	الإسراء: ٢٩	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾
٣٤٦	١٧	الإسراء: ٢٩-٣٠	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾
٣٤٦	١٧	الإسراء: ٣٠	﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾
١٧٦، ١٧٥ ٣٦٧، ١٧٧ ٣٩٤	١٧	الإسراء: ٣١	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ مَّنْ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾
٣٧٧، ٢٤٩	١٧	الإسراء: ٣٤	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾
٥٠، ٤٣ ٢٣٤	١٧	الإسراء: ٣٥	﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَرِنًا بِالْقَيْسِطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٠، ٣٧٦	١٧	الإسراء: ٣٤-٣٥	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنْتُمْ بِالْقِسْطِ أَسْرَأَ الْمُسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾
٣٢٩، ٣٢٦	١٧	الإسراء: ٣٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾
٣٢٣، ٢٩٧ ٣٧٥	١٧	الإسراء: ٣٧	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾
٣٧٣، ٢١٤	١٧	الإسراء: ٥٣	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٩٨	١٩	مريم: ٤٧	﴿ سَلِّمْ عَلَيْكَ ﴾
٧٧	١٩	مريم: ٧٦	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾
٢٩٦	١٩	مريم: ٩٣	﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾
١٠٧	٢٠	طه: ٣٩	﴿ وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْبِي ﴾
٣٢١	٢٠	طه: ٤٤	﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾
٣٧	٢٠	طه: ٩١	﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾
٢٥	٢١	الأنبياء: ٩٠	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا ﴾
٢٨٢	٢١	الأنبياء: ١٠٣	﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾
٣٦٤، ٣٣٠	٢٢	الحج: ٣٨	﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٩، ٢٥١	٢٣	المؤمنون: ١-١١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾
٣٧٥	٢٣	المؤمنون: ٨	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾
٢٥٢	٢٣	المؤمنون: ١٠-١١	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾
٢٩٩	٢٣	المؤمنون: ٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾
٢٨٨	٢٣	المؤمنون: ٦٠-٦١	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ سُرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقِطُونَ ﴿٦١﴾﴾
٢٢٤	٢٣	المؤمنون: ٩٦	﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٩٦﴾﴾
٩٩	٢٣	المؤمنون: ١١٠	﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾
١١١، ٩٨، ٣٨٩	٢٣	المؤمنون: ١١١	﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَدَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾
٢٦٦، ٥٦، ٣٨٠	٢٤	النور: ٢٢	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَٰؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾
٣٢٧	٢٤	النور: ٢٤	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٦٠، ٢٢٩	٢٤	النور: ٢٧	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾
٢٢٩، ٥٠ ٣٦٠	٢٤	النور: ٢٨	﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾
٢٢٦، ٢٠٢ ٣٦٠	٢٤	النور: ٣٠	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾
٢٣٠	٢٤	النور: ٥٨-٥٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبِكُمْ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَا الَّذِينَ لَمْ يَلْعَنُوا الْحَلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾
٢٠٩	٢٤	النور: ٦١	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ أُخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ أُخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾
٢٩٦	٢٥	الفرقان: ٦٠	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٥	٢٥	الفرقان: ٦٣-٧٦	<p>﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُحْزَنُ لَهُمْ الْغُرُفَةُ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا كَبًّا وَلَا يَحُورُونَ ﴿٧٥﴾ خَلَدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾</p>
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨	٢٥	الفرقان: ٦٣	<p>﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾</p>
٢٩٨	٢٥	الفرقان: ٦٤	<p>﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾</p>
٢٩٩	٢٥	الفرقان: ٦٥-٦٦	<p>﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾</p>
٢٩٩	٢٥	الفرقان: ٦٧	<p>﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾</p>

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٠٠	٢٥	الفرقان: ٦٨-٦٩	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾
٣٠١	٢٥	الفرقان: ٧٠-٧١	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾
٣٠٣، ٢٦٤	٢٥	الفرقان: ٧٢	﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
٣٠٣	٢٥	الفرقان: ٧٣	﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾
٣٠٤	٢٥	الفرقان: ٧٤	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾
٣٠٦	٢٥	الفرقان: ٧٥	﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾
٣٠٧	٢٥	الفرقان: ٧٦	﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾
٣٠٧	٢٥	الفرقان: ٧٦	﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
٣٨٨، ٣٠٥	٢٥	الفرقان: ٧٥-٧٦	﴿أُولَئِكَ يُحْزَنُ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾
١١٩	٢٧	النمل: ١٨	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
٣٩٣، ١١٨	٢٧	النمل: ٤٠	﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾
٣٠٣	٢٨	القصص: ٥٥	﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٦٥، ٣٤٩	٢٨	القصص: ٧٦	﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَعَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾
٢٨٩، ٣٦ ٣٤٩، ٢٩٣	٢٨	القصص: ٧٧	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾
٣٨٢	٢٨	القصص: ٧٦-٧٧	﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَعَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾
١١١، ١٠٠	٢٨	القصص: ٨٠	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾
٣٦٧، ١٣٩ ٣٩٤	٢٩	العنكبوت: ٨	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَهَكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾
٧٦	٢٩	العنكبوت: ٤٥	﴿وَبِاتِ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٥﴾﴾
٢٢٤	٢٩	العنكبوت: ٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٤٦﴾﴾
٣٨٨، ١٠١	٢٩	العنكبوت: ٥٨-٥٩	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنَ الْخَيْرِ غُرْفًا مَّحَرَّجًا مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَحْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾
١٥٤، ١٥٣ ٣٦٩	٣٠	الروم: ٣٨	﴿فَأَنذَرْتُ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٦٥، ٩٣ ٢٨٧	٣١	لقمان: ٥	﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾
١٨١	٣١	لقمان: ٧	﴿كَأَنَّ فِي أذُنَيْهِ وَقْرًا﴾
٣٩٣، ١١٨	٣١	لقمان: ١٢	﴿وَلَقَدْ ءَايْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢)
٢٢٠، ٨٢	٣١	لقمان: ١٣	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَشْرِكٌ لَّظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)
١٤١، ٤٨ ٣٦٧	٣١	لقمان: ١٤	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ (١٤)
٢٢٠، ٨٢	٣١	لقمان: ١٦	﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦)
٨٣، ٨٢ ٣٦١، ٢٢٠ ٣٨٣	٣١	لقمان: ١٧	﴿يَبْنَىٰ أَقْبَرِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧)
٣٢٤، ٢٠٢ ٣٧٥، ٣٦٤	٣١	لقمان: ١٨	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨)
٥٨، ٤٥ ٢٠٢، ٦٥ ٣٥٤	٣١	لقمان: ١٩	﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩)
١٦٤	٣٢	السجدة: ١٤	﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾
٢٦٨	٣٢	السجدة: ١٨	﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨)
٥٤، ٣٣ ١٠٣، ١٠٢ ٣٠٥	٣٢	السجدة: ٢٤	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٤، ٣٤ ٧٥، ٦٩ ٣٩٤	٣٣	الأحزاب: ٢٤	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقَاتِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غُفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٤﴾﴾
٣١٨، ٦٥ ٣٦٩	٣٣	الأحزاب: ٣٢	﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَ كَأَٰحِدٍ مِّنَ نِّسَاءٍ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾
٣٨٨، ٧٠ ٣٩٠	٣٣	الأحزاب: ٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِعِينَ وَالصَّامِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَلَّا يُلْحِقُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا مَن لَّا يُلْحِقُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عِزٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٥﴾﴾
٣٦٨، ١٦٨	٣٣	الأحزاب: ٤٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوْنَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسِرَّوَهُنَّ سِرًّا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾
١٤٦، ٥٠ ٣٦٩، ٣٦٠	٣٣	الأحزاب: ٥٣	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِرٍ إِنَّهُ وَلَكِن إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَىٰ النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِّنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنِ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتِهِ مِن بَعْدِهِ ءَأَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٤٧، ٦٥ ٣٦٩، ١٤٨	٣٣	الأحزاب: ٥٩	﴿بَيَّأُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَاتُ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾
٥٤، ٤٣ ٣٩٠، ٧١ ٣٩٠	٣٣	الأحزاب: ٧٠-٧١	﴿بَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾
٧٢	٣٣	الأحزاب: ٦٩	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٩﴾﴾
٣٠٤	٣٤	سبأ: ١٣	﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴿١٣﴾﴾
٣٠٦	٣٤	سبأ: ٣٧	﴿وَهُمْ فِي الْعُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾
٢٩٠، ٣٣ ٣٨١	٣٥	فاطر: ٢٩-٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾
٢٩١	٣٥	فاطر: ٣٠	﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾
١٧٤	٣٦	يس: ٧	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَهَمَّ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾
١٥٢، ٩٤ ٢٦٥، ٢٤٩ ٢٨٨	٣٧	الصفافات: ٢٢	﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾
١٧٣	٣٨	ص: ٨٥	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾
١٧٤	٣٨	ص: ٨٤، ٨٥	﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٢٠، ١٢٠ ٣٥٩، ١٢١	٣٩	الزمر: ٧	﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾
١٠٤، ٩٥	٣٩	الزمر: ١٠	﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾
١٧٤	٣٩	الزمر: ١٩	﴿فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾
٢٠٨	٣٩	الزمر: ٣٨	﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾
١٨١	٤١	فصلت: ٥	﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾
٩٨، ٦٥ ٢٦٨	٤١	فصلت: ٣٤	﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
٢٦٩، ١١١	٤١	فصلت: ٣٥	﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾
٢٦٧، ١٠٥ ٣٨٠	٤١	فصلت: ٣٤-٣٥	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾
١٨٣، ١٩٢	٤١	فصلت: ٤٦	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
١٠٧	٤٢	الشورى: ١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
١٢٧	٤٢	الشورى: ٢٧	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٧٠	٤٢	الشورى: ٣٦	﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾
٢٧٠، ٢٧٠	٤٢	الشورى: ٣٧	﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾
٢٧٠، ٩٨ ٣٣٥	٤٢	الشورى: ٤٠	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٧١، ٢٧٠	٤٢	الشورى: ٤٣	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عِزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٤٣)
٢٧٠	٤٢	الشورى: ٣٦-٤٣	﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنَّ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ^(٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبْرًا لِلْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ^(٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ^(٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ^(٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤٠) وَلَمَنِ انصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ ^(٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عِزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٤٣)
٣٨٠	٤٢	الشورى: ٤٠-٤٣	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤٠) وَلَمَنِ انصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ ^(٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عِزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٤٣)
٢٥٣	٤٣	الزخرف: ٧٢	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٥١	٤٦	الأحقاف: ١٥	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾
٣٠٤	٤٦	الأحقاف: ١٧	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَنْ تُعَدِّنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾
١٧٤	٤٦	الأحقاف: ١٨	﴿كَانُوا خَسِرِينَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٨، ١٤٢ ٣٩١	٤٦	الأحقاف: ١٥- ١٦	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْحَنَةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾
١٧٣	٤٦	الأحقاف: ١٧- ١٨	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنِينَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾
٣٩٣	٤٦	الأحقاف: ١٧- ١٩	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنِينَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾
١٨٠، ١٧٩	٤٧	محمد: ٢٢	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾
٣٧٠، ١٨٠ ٣٩٣	٤٧	محمد: ٢٢، ٢٣	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾
٣٤٤، ٣٤٧ ٣٦٣	٤٧	محمد: ٣٨	﴿هَاتِنْتُ هَتُولَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٩، ٢٥٤	٤٨	الفتح: ١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
٥٦، ٣٩ ١٩٨، ١٩٦ ٣٢٨، ٢١٢ ٣٧٨، ٣٧٤	٤٩	الحجرات: ٦	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾
٢٣٩، ٢٣٨ ٣٧٥، ٢٤٣	٤٩	الحجرات: ٩	﴿وَإِن طَافِئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾
٢٧٦، ٥٤ ٣٠٩	٤٩	الحجرات: ١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ﴾
٤٥، ٦٦ ٣٧٣، ٢١٢	٤٩	الحجرات: ٩-١٠	﴿وَإِن طَافِئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾
٣٠٩، ٤٧ ٣٧٩، ٣٧٤	٤٩	الحجرات: ١١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَسْسُ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾
٣٢٧، ٣١٢ ٣٧٤، ٣٢٩ ٣٧٩	٤٩	الحجرات: ١٢	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۗ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾
١٥٢، ٩٤ ٢٦٥، ٢٤٩ ٢٨٨	٥٢	الطور: ٢١	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٢	٥٢	الطور: ٤٢	﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾
١٠٦، ٥٧ ٣٦٤، ١٦٥	٥٢	الطور: ٤٨	﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾
١٢٣، ٥٨ ٣٦٢، ٣٦١	٥٣	النجم: ٣٢	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾
١٠٧	٥٤	القمر: ١٣، ١٤	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾
٤٧	٥٦	الواقعة: ٧٦	﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾
٢١٠	٥٧	الحديد: ٣	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾
٧٧	٥٧	الحديد: ٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾
٢٨٣، ٢٦٠	٥٧	الحديد: ٢١	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
٣٤٩	٥٧	الحديد: ٢٣	﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾
٣٦٣، ٣٤٢	٥٧	الحديد: ٢٣-٢٤	﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾
٨٦	٥٨	المجادلة: ٧	﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾
٢١٣	٥٨	المجادلة: ١٠	﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾
٢٥٨، ٤٩ ٣٧٤	٥٨	المجادلة: ١١	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
٢٨٢	٥٩	الحشر: ٩	﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٧٥، ٢٣٨ ٣٧٨	٦٠	المتحنة: ٨	﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّا لَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَنُقِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)
٣٠٤	٦٠	المتحنة: ١٠	﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾
٣٦٠	٦٢	الجمعة: ٢	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)
١٦٥، ٤٢	٦٤	التغابن: ١٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤)
١٦٥	٦٤	التغابن: ١٥	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾
١٧٠، ١٦٨ ٣٦٨	٦٥	الطلاق: ٢	﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢)
١٩١	٦٥	الطلاق: ٦	﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا نَضَّازُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْ رَضِعَ لَهَّ أُخْرَى﴾ (٦)
١٤٧	٦٦	التحريم: ٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورَانًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾
٢٢	٦٨	القلم: ٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)
٢٧٨	٧٠	المعارج: ١٩-٢١	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥١	٧٠	المعارج: ١٩-٣٥	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمَصْلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾
٣٧٥	٧٠	المعارج: ٣٢	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾
٢٨٣	٧٦	الإنسان: ٥	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾
٣٣	٧٦	الإنسان: ٩	﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوْحَةً مِنْ لَبَنٍ لَّيِّسٍ لَا نُزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفِرُكُمْ أَجْرًا ﴿٩﴾﴾
٣٨٢، ٢٩١	٧٦	الإنسان: ٨-١٠	﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوْحَةً مِنْ لَبَنٍ لَّيِّسٍ لَا نُزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْفِرُكُمْ أَجْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمًّوَسًا قَطْرًا ﴿١٠﴾﴾
٢٥٠	٨١	التكوير: ٩	﴿يَأْتِي ذَنْبٍ قُلْتُ ﴿٩﴾﴾
٦٣، ٥٤	٨٣	المطففين: ١	﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾
٣٧٦، ٣٣١، ٣٨٠، ٣٧٨، ٣٩٢	٨٣	المطففين: ١-٣	﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾
٢٨٣	٨٣	المطففين: ٢٢	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾
٢٨٣	٨٣	المطففين: ٢٢، ٢٦	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُمْ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾
٩٩	٨٣	المطففين: ٣٤-٣٦	﴿قَالِيَوْمَ الدِّينِ ءَأَمِنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٠٤	٨٤	الانشقاق: ٢٥	﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾
١٨٨	٨٧	الأعلى: ١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤
١٨٨	٩١	الشمس: ٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩
٣٨١، ٢٩٢ ٣٩٢	٩٢	الليل: ١٧-٢١	﴿وَسِخْرِنَا الْأَنْفَى﴾ ١٧ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ١٨ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ١٩ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ٢٠ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ٢١
١٥٤	٩٢	الليل: ٢٠	﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ٢٠
٣٣٨، ٢٧٧	٩٣	الضحى: ٦	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ٦
٧٢	٩٤	الشرح: ١	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١
٣٨٤، ٢٢١	١٠٣	العصر: ١-٣	﴿وَالْعَصْرِ﴾ ١ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٣
١٠٣	١٠٣	العصر: ٣	﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
٣٤٥، ٥٥	١٠٤	الهمزة: ٢-٣	﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ٢ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ٣
٥٤، ٤٩ ٣١٣، ٦٤ ٣٩٢، ٣٧٤	١٠٤	الهمزة: ١	﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزٍ لَمْرِئٍ﴾ ١
١٣٠	١١٣	الفلق: ١-٥	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ٣ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ٤ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥
١٣١	١١٣	الفلق: ٥	﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٥

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم....	٣١٢
٢	إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله....	٢٠٣
٣	استقيموا ولن تحصوا	١٨٤
٤	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٢٩٨
٥	ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟....	٨٢
٦	أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة....	٢١٥
٧	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة....	٧٣
٨	إن المقسطين عند الله على منابر من نور....	٢٣٨
٩	إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم	٢٣
١٠	أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر....	٢٨٩
١١	بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٣٥٦، ٦
١٢	بئس الخطيب أنت....	١٥٤
١٣	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم....	١٨٠
١٤	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	١٥٦
١٥	رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله....	٣٢٨
١٦	زوجي العشيق، إن انطلق أطلق، وإن أسكت أعلق	١٨٤
١٧	سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟....	٣٠٠
١٨	سباب المسلم فسوق	٣١١
١٩	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله....	٢٨٠
٢٠	عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير....	٨٧

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٢١	كان خلقه القرآن	٦
٢٢	كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع	١٩٩
٢٣	ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلِقَ حسن	٢٢
٢٤	ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي	٢٤١
٢٥	ما منكم من أحد إلا له منزلان	٢٥٢
٢٦	المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه	٢١٢
٢٧	من سره أن يبسط له رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه	١٥١
٢٨	من لا يرحم لا يُرحم	٢٦٧
٢٩	نعم العدلان ونعم العلاوة	٧٩
٣٠	والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة	٢٦٦
٣١	ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ	١٢٨
٣٢	يا أبا ذر، اتق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها	٢٦٤
٣٣	يا لكع، أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها	١٨٥
٣٤	يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟	١٤٢

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت الشعري	البحر	قائل البيت	الصفحة
١	فَأَمَّا عِيُونَ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخِنَتْ وَأَمَّا عِيُونَ الشَّامِتِينَ فَقَرَّتْ	الطويل	أبو تمام	٣٠٥
٢	وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكَرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرُ	الطويل	أبو صخر الهدلي	٤٤
٣	قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبَحُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا	الكامل	أبو الرقعمق	٩٨
٤	وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ أَنِّي لَرِيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ	الكامل	أبو ذؤيب الهدلي	٩٢
٥	يَا وَاشِيًا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ	البيسيط	مسلم بن الوليد	٥١
٦	أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا	الوافر	المتنبي	٣٤٩
٧	جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْعَطَا سِ جَهِيرِ الرُّوَاءِ جَهِيرِ النَّعَمِ	المتقارب	العماني الراجز	٢٠٢
٨	جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ سَرِيْعًا وَإِلَّا يُبَدُّ بِالظُّلْمِ يُظْلَمُ	الطويل	زهير بن أبي سلمى	٢٦٤
٩	يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا	البيسيط	قريط بن أنيف	٢٦٤
١٠	وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عِيُونُهَا نَمَّ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ	الكامل	عبدالرحيم اللخمي	١٠٨

م	البيت الشعري	البحر	قائل البيت	الصفحة
١١	أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ	الوافر	عمرو بن كلثوم	٢٩٧



فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعللا).

❖ الرسائل الجامعية والأبحاث المنشورة غير المطبوعة :

- (١) أساليب التعليل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية وأصولية: أمينة سعدي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٤١٢-١٤١٣هـ.
- (٢) تعليل الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة أصولية وفقهية: أمينة سعدي، رسالة دكتوراه - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٤٢٢-١٤٢٣هـ.
- (٣) التعليل القرآني للأحكام الشرعية جمعاً ودراسة: ابتهاج تركستاني، رسالة ماجستير - جامعة أم القرى ١٤٢٧هـ.
- (٤) التعليل في القرآن الكريم دراسة نحوية: سعيد محمد القرني، رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى ١٤٢٠هـ.
- (٥) التعليل في القرآن الكريم دراسة وتفسيراً: محمد سالم محمد، رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر ١٤١٥هـ.
- (٦) القوامة في القرآن الكريم حق من حقوق المرأة: أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، بحث مقدم إلى مؤتمر (أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية) والذي تنظمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون فرع طنطا، وجامعة طنطا خلال الفترة من ٧ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٨ م.

❖ الكتب المطبوعة :

- (٧) الإبهاج في شرح المنهاج "منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي (المتوفى: ٧٨٥هـ)": تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ) وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (المتوفى: ٧٧٢هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- (٨) الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته: نور الدين مختار خادمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٩) أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (١٠) الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (١١) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- (١٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- (١٣) الأخلاق عند الغزالي: زكي عبدالسلام مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة.
- (١٤) أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.
- (١٥) الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (المتوفى: ٢٥٦) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- (١٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- (١٧) أسلوب التعليل بالحروف اللغوية دراسة تطبيقية في نهج البلاغة: عباس محسن الخفاجي، دار الأيام - عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.
- (١٨) أسلوب التعليل في اللغة العربية: أحمد خضير عباس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- (١٩) أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم دراسة نحوية: يونس عبد مرزوك الجنابي، دار المدار الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- (٢٠) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، الطبعة الثانية.
- (٢١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (٢٢) إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي (المتوفى: ٤٠٣هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة.
- (٢٣) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص، دار الإمامة - دمشق، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.
- (٢٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- (٢٥) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- (٢٦) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ) تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.
- (٢٧) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار طيبة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٢٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن رؤية في تحديد المقاصد والوسائل: عويض حمود العطوي، إصدارات مركز المحاسب للاستشارات - الرياض، ١٤٣٠ - ١٤٣١هـ.
- (٢٩) أمهات مقاصد القرآن وطرق معرفتها ومقاصدها: عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى ٢٠١١-٢٠١٢م.
- (٣٠) أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم: سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- (٣١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٣٢) البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) دار الكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- (٣٣) بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.
- (٣٤) البدر الطالع في حل جمع الجوامع: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ) شرح وتحقيق: أبي الفداء مرتضى علي محمد المحمدي الداغستاني، مؤسسة الرسالة - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- (٣٥) البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٣٦) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- (٣٧) بهجة المجالس وأنس المجالس: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٣٨) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
- (٣٩) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م.
- (٤٠) التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ١٢٨٥هـ / ١٩٣٣م.
- (٤١) تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) طبع على نفقة محمد عوض بن لادن، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- (٤٢) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، نشر الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- (٤٣) التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- (٤٤) تدبر أسلوب التعليل القرآني وأثره على النص: نجوى شكوكاني - مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية - غزة، (مجلد ٢٦ / عدد ٢) ٢٠١٨ م.
- (٤٥) تراكيب التعليل في القرآن الكريم: نورة عبدالله عبدالعزيز الزعاقى، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- (٤٦) تشنيف المسامع بجمع الجوامع: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤ هـ) دراسة وتحقيق: سيد عبدالعزيز وعبدالله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- (٤٧) التعارض والترجيح بين المصالح والمفاسد وموقف الأصوليين منه: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ.
- (٤٨) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- (٤٩) تعليل الأحكام عرض وتحليل طريقة التعليل وتطوراتها في عصور الاجتهاد والتقليد: محمد مصطفى شلبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٣٨١ م.
- (٥٠) تعليل الأحكام في الشريعة الإسلامية: عادل الشويخ، دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- (٥١) التعليل بالحكمة جوازه ووقوعه في الشريعة والفقہ "عمل العلامة الشيخ محمد مصطفى شلبي نموذجاً": محمد سليم العوا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ م.

(٥٢) تفسير ابن جزى = التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٥٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٥٤) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٥٥) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥٦) تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥٧) تفسير الإمام ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

(٥٨) تفسير البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٥٩) التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: مجموعة من طلبة الدكتوراه، نشر عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

- (٦٠) تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- (٦١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- (٦٢) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- (٦٣) تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) [جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة]، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، نشر كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- (٦٤) تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) [جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء] تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشدي، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (٦٥) تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) [جزء ٤، ٥: من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة] تحقيق ودراسة: هند بنت محمد بن زاهد سردار، نشر كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- (٦٦) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٦٧) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٦٨) تفسير السمعاني = تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٦٩) تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٧٠) تفسير العثيمين (الحجرات - الحديد): محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٧١) تفسير العثيمين (الفاطحة والبقرة): محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٧٢) تفسير الفخر الرازي = مفاتيح الغيب "أو التفسير الكبير": أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٧٣) تفسير القاسمي = محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٧٤) تفسير القرآن الكريم لابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) حقق بإشراف: إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ..

- (٧٥) تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (المتوفى: ٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- (٧٦) تفسير المراغي: المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ م.
- (٧٧) تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- (٧٨) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب = بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.
- (٧٩) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: عبد الرحيم بن الحسن الإسني (المتوفى: ٧٧٢هـ) تحقيق: د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- (٨٠) تهذيب الأخلاق في التربية: ابن مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
- (٨١) تهذيب الأخلاق: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث - طنطا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م.
- (٨٢) جامع الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المتوفى: ٢٧٩) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦-١٩٩٨ م.
- (٨٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.

- (٨٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٣٧٥هـ.
- (٨٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد - دمشق ومؤسسة الإيمان - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.
- (٨٦) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٨٧) جمع الجوامع في أصول الفقه: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) علق عليه ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- (٨٨) جمهرة أشعار العرب، المؤلف: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٨٩) الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- (٩٠) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- (٩١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) مطبعة المدني - القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٩٢) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار صادر - بيروت.

(٩٣) حاشية الطيبي على الكشاف = فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

(٩٤) حقيقة الصيام: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى: ٨٢٧هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ.

(٩٥) حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٩٦) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢) تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت.

(٩٧) الداء والدواء "أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي": محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٩٨) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر: دار الحديث - القاهرة. دراسة وتحقيق: أسامة طه الرفاعي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٩٩) دستور الأخلاق في القرآن الكريم دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن: محمد عبدالله دراز، دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠٠٧م.

- (١٠٠) دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاکر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- (١٠١) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وشرح: أنطونيوس بطرس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (١٠٢) ديوان الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (المتوفى: ٢٣١هـ) برواية: أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، شرحه وعلق عليه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- (١٠٣) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١٠٤) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- (١٠٥) زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة.
- (١٠٦) السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
- (١٠٧) السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (١٠٨) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥) دار الكتاب العربي - بيروت.

- (١٠٩) شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: ٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (١١٠) شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار (المتوفى: ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
- (١١١) شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
- (١١٢) شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي (المتوفى: ٥٠٢هـ) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
- (١١٣) شرح سنن أبي داود: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: ٨٤٤هـ) تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث - الفيوم، الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ م.
- (١١٤) الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- (١١٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م.
- (١١٦) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد - بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ / ١٩٧١ م.

- (١١٧) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- (١١٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (١١٩) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (المتوفى: ٢٥٦) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١٢٠) صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الخامسة.
- (١٢١) صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١) دار الجيل - بيروت.
- (١٢٢) صفات عباد الرحمن: عبدالرزاق عبدالمحسن البدر، مكتبة إيتقان للتحقيق والدراسات العلمية، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.
- (١٢٣) الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- (١٢٤) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم: محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- (١٢٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ) المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- (١٢٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

- (١٢٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) دار ابن كثير - دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- (١٢٨) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
- (١٢٩) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣هـ) تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- (١٣٠) علم المقاصد الشرعية: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- (١٣١) علم مقاصد الشارع: عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي بن ربيعة، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- (١٣٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (١٣٣) غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- (١٣٤) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع: ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت: ٨٢٦هـ) تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- (١٣٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- (١٣٦) فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٣٧) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- (١٣٨) الفكر المقاصدي عند الإمام مالك وعلاقته بالمناظرات الأصولية والفقهية في القرن الثاني الهجري: محمد نصيف العسري، مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- (١٣٩) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده: أحمد الريسوني، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- (١٤٠) الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب: نور الدين عبد الرحمن الجامي (المتوفى سنة ٨٩٨هـ)
- (١٤١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩١م.
- (١٤٢) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً: عبدالرحمن إبراهيم الكيلاني، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- (١٤٣) القوامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية: رشيد كهوس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- (١٤٤) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- (١٤٥) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م.
- (١٤٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.
- (١٤٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.
- (١٤٨) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- (١٤٩) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.
- (١٥٠) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٠٠هـ.
- (١٥١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨ م.
- (١٥٢) مباحث العلة في القياس عند الأصوليين: عبد الحكيم عبدالرحمن أسعد السعدي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م.
- (١٥٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

- (١٥٤) مجاني الأدب في حداث العرب: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩١٣ م.
- (١٥٥) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.
- (١٥٦) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن ودار الثريا - الرياض، ١٤١٣هـ.
- (١٥٧) محاضرات في مقاصد الشريعة: أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م.
- (١٥٨) المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين المعروف بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- (١٥٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م.
- (١٦٠) المدخل إلى مقاصد الشريعة: أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م.
- (١٦١) المدخل إلى مقاصد القرآن: عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م.
- (١٦٢) المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي: الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: أمير الحسن النعماني ويوسف المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م.

- (١٦٣) المستصفى في علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (المتوفى: ٤٩٩هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- (١٦٤) مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد معبد عبد الكريم، جمعية المكنز الإسلامي ودار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- (١٦٥) المصالح المرسله وبناء المجتمع الإنساني الشاطبي - ابن خلدون نموذجين: إدريس حمادي، دار الأمان للنشر والتوزيع - الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- (١٦٦) معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- (١٦٧) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م.
- (١٦٨) معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (١٦٩) المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد أبو معاذ - محسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- (١٧٠) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- (١٧١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر - بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.

- (١٧٢) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (١٧٣) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية - دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- (١٧٤) المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: علي بو ملح، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- (١٧٥) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (المتوفى: ٦٥٦هـ) تحقيق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- (١٧٦) المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي: محمد عبدالعاطي محمد علي، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- (١٧٧) مقاصد الشريعة الإسلامية تأصيلاً وتفعيلاً: محمد بكر إسماعيل حبيب، دار طيبة الخضراء - مكة المكرمة، الطبعة الثانية / ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- (١٧٨) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد أحمد مسعود اليوبي، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الخامسة ١٤٣٤هـ.
- (١٧٩) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي - تونس، الطبعة السادسة، ٢٠١٢م.
- (١٨٠) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ) تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- (١٨١) مقاصد الشريعة عند ابن تيمية: يوسف أحمد محمد البدوي، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- (١٨٢) مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين وآثارها في التصرفات المالية: هشام بن سعيد أزهر، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- (١٨٣) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم، الدار العالمية للفكر الإسلامي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- (١٨٤) مقاصد الموفقات التسهيل لكتاب المقاصد من الموفقات لأبي إسحاق الشاطبي: إعداد: محمد أحمين، المراجعة والتعليق: أحمد الريسوني، وليد بن هادي، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- (١٨٥) المقاصد الوهمية وأثرها في الفتوى: فيصل سعود عبدالعزيز الحليبي، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- (١٨٦) المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- (١٨٧) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم: يحيى عبد الله عبد الرحيم المعلمي، شركة مكتبات عكاظ للنشر - جدة، ١٩٨٠م / ١٤٠٠هـ.
- (١٨٨) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (١٨٩) المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠١٨م.
- (١٩٠) منهج القرآن في تربية الرجال: عبدالرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع - جدة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- (١٩١) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- (١٩٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق النبي الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن محمد بن ملح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، الطبعة السادسة ١٤٣١هـ.
- (١٩٣) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
- (١٩٤) النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى - مصر.
- (١٩٥) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (١٩٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (١٩٧) نفائس الأصول في شرح المحصول: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- (١٩٨) نهاية السؤل شرح منهاج الأصول: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (المتوفى: ٧٧٢هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- (١٩٩) نهاية الوصول في دراية الأصول: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (المتوفى: ٧١٥هـ) تحقيق: صالح بن سليمان اليوسف وسعد بن سالم السويح، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- (٢٠٠) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً: محمود محمد الخزندار، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- (٢٠١) الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- (٢٠٢) الوجيز في أصول الفقه: عبدالكريم زيدان، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السادسة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- (٢٠٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حبنكة الميداني، المكتبة المكية - مكة المكرمة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٢٠٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٥	المقدمة
٧	أهمية الموضوع
٨	أسباب اختيار الموضوع
٨	الدراسات السابقة
١٠	أهداف البحث
١٠	منهج البحث
١١	إجراءات البحث
١٢	هيكلية البحث
١٨	التمهيد
٢٠	أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث
٢٠	١- تعريف العلة لغة واصطلاحاً
٢١	٢- تعريف التعليل
٢٢	٣- تعريف الأخلاق
٢٣	٤- المراد بتعليل الأخلاق في القرآن الكريم
٢٤	ثانياً: فوائد التعليل في القرآن الكريم

الصفحة	الموضوع
٢٨	الفصل الأول: أنواع تعليل الأخلاق في القرآن الكريم
٣٠	المبحث الأول: التعليل من حيث الأفراد والجملة
٣٢	المطلب الأول: التعليل بالحروف.
٣٢	أولاً- اللام
٣٤	ثانياً- الباء
٣٤	ثالثاً- الفاء
٣٥	رابعاً- من
٣٦	خامساً- إنَّ
٣٦	سادساً- الكاف
٣٧	سابعاً- لعل
٣٧	ثامناً- حتى
٣٩	المطلب الثاني: التعليل بالأسماء (المفعول له).
٣٩	الأول: المصدر الصريح
٣٩	الثاني: المصدر المؤول
٤١	المطلب الثالث: التعليل بالجملة.
٤٢	أولاً- جملة جواب الشرط
٤٣	ثانياً- جملة جواب الطلب
٤٤	ثالثاً- الجملة الحالية
٤٤	رابعاً- إنَّ واسمها وخبرها
٤٥	خامساً- جملة صلة الموصول

الصفحة	الموضوع
٤٦	سادساً- الاستئناف البياني
٤٧	سابعاً- الجملة الاعتراضية
٤٩	المطلب الرابع: التعليل بطرق أخرى.
٤٩	أولاً- اقتران الحكم بوصف مناسب مشعر بالعلية
٥٠	ثانياً- الأمر بالشيء وإردافه باسم تفضيل
٥١	ثالثاً- التعليل المعنوي بالسياق
٥٢	المبحث الثاني: التعليل من حيث موقعه في الآية
٥٤	المطلب الأول: وقوع تعليل الخلق في أول الآية القرآنية.
٥٦	المطلب الثاني: وقوع تعليل الخلق في وسط الآية القرآنية.
٥٨	المطلب الثالث: وقوع تعليل الخلق في آخر الآية القرآنية.
٦٠	المبحث الثالث: التعليل من حيث موقعه من المعلول
٦٣	المطلب الأول: تقدم العلة على المعلول.
٦٥	المطلب الثاني: تقدم المعلول على العلة.
٦٧	الفصل الثاني: تعليل الأخلاق الفردية
٦٨	المبحث الأول: تعليل الأخلاق الفردية المحمودة
٦٩	المطلب الأول: تعليل خلق الصدق.
٧٦	المطلب الثاني: تعليل خلق الصبر.
١١٣	المطلب الثالث: تعليل خلق الشكر.
١٢٢	المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الفردية المذمومة
١٢٣	المطلب الأول: تعليل خلق العجب وتزكية النفس.

الصفحة	الموضوع
١٢٥	المطلب الثاني: تعليل خلق اليأس.
١٢٧	المطلب الثالث: تعليل خلق الحسد.
١٣٤	الفصل الثالث: تعليل الأخلاق الأسرية
١٣٥	المبحث الأول: تعليل الأخلاق الأسرية المحمودة
١٣٦	المطلب الأول: تعليل خلق بر الوالدين.
١٤٦	المطلب الثاني: تعليل التربية الأخلاقية للأسرة.
١٤٩	المطلب الثالث: تعليل خلق صلة الرحم.
١٥٦	المطلب الرابع: تعليل خلق حسن العشرة الزوجية.
١٥٩	المطلب الخامس: تعليل خلق القوامة.
١٦٢	المطلب السادس: تعليل خلق الصلح بين الزوجين.
١٦٤	المطلب السابع: تعليل خلق العفو، وحفظ الفضل بين الزوجين.
١٦٨	المطلب الثامن: تعليل خلق الإحسان إلى المطلقات.
١٧٢	المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الأسرية المذمومة
١٧٣	المطلب الأول: تعليل خلق العقوق.
١٧٥	المطلب الثاني: تعليل خلق قتل الأبناء.
١٧٩	المطلب الثالث: تعليل خلق قطيعة الرحم.
١٨٣	المطلب الرابع: تعليل خلق ظلم الزوجات.
١٨٥	المطلب الخامس: تعليل خلق العضل.
١٩٠	المطلب السادس: تعليل خلق الإضرار بالمطلقات.

الصفحة	الموضوع
١٩٣	الفصل الرابع: تعليل الأخلاق الاجتماعية
١٩٤	المبحث الأول: تعليل الأخلاق الاجتماعية المحمودة
١٩٦	المطلب الأول: تعليل خلق التثبث في الأحكام.
١٩٩	المطلب الثاني: تعليل خلق رد الأمر إلى أولي الأمر، وعدم نشر الشائعات.
٢٠٢	المطلب الثالث: تعليل خلق غض الصوت.
٢٠٦	المطلب الرابع: تعليل خلق التشفع الحسن.
٢٠٨	المطلب الخامس: تعليل خلق التحية وردّها.
٢١١	المطلب السادس: تعليل خلق إصلاح ذات البين.
٢١٤	المطلب السابع: تعليل خلق الكلمة الطيبة.
٢١٦	المطلب الثامن: تعليل خلق التناصح.
٢٢٣	المطلب التاسع: تعليل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.
٢٢٦	المطلب العاشر: تعليل خلق غض البصر.
٢٢٩	المطلب الحادي عشر: تعليل خلق الاستئذان، والرجوع عند عدم الإذن.
٢٣٣	المطلب الثاني عشر: تعليل خلق إيفاء الكيل والميزان.
٢٣٦	المطلب الثالث عشر: تعليل خلق العدل.
٢٤٤	المطلب الرابع عشر: تعليل خلق الوفاء بالعهد.
٢٥٦	المطلب الخامس عشر: تعليل خلق الثبات والوحدة، وعدم التنازع.
٢٥٨	المطلب السادس عشر: تعليل خلق التفسح في المجالس.
٢٦٠	المطلب السابع عشر: تعليل خلق العفو عند المقدرة.

الصفحة	الموضوع
٢٧٤	المطلب الثامن عشر: تعليل خلق الإجارة.
٢٧٦	المطلب التاسع عشر: تعليل خلق الإحسان لليتامى.
٢٧٨	المطلب العشرون: تعليل الإنفاق بإحسان والتحلي بأخلاق المتصدقين.
٢٩٥	المطلب الحادي والعشرون: تعليل التحلي بأخلاق عباد الرحمن.
٣٠٨	المبحث الثاني: تعليل الأخلاق الاجتماعية المذمومة
٣٠٩	المطلب الأول: تعليل خلق السخرية واللمز والتنازب بالألقاب.
٣١٢	المطلب الثاني: تعليل خلق الغيبة.
٣١٥	المطلب الثالث: تعليل خلق ترك التناصح.
٣١٨	المطلب الرابع: تعليل خلق الخضوع بالقول.
٣٢٠	المطلب الخامس: تعليل خلق رد سباب المشركين.
٣٢٢	المطلب السادس: تعليل خلق الكبر والاختيال.
٣٢٦	المطلب السابع: تعليل خلق سوء الظن.
٣٣٠	المطلب الثامن: تعليل خلق الغدر والخيانة.
٣٣٣	المطلب التاسع: تعليل خلق أكل أموال اليتامى.
٣٣٩	المطلب العاشر: تعليل خلق الإسراف والبخل.
٣٣٩	أولاً: التعليل في آيات النهي عن الإسراف
٣٤٢	ثانياً: التعليل في آيات النهي عن البخل
٣٤٦	ثالثاً: آيات فيها تعليل النهي عن الإسراف والبخل معاً
٣٤٩	المطلب الحادي عشر: تعليل خلق المبالغة في الفرح بالدنيا.

الصفحة	الموضوع
٣٥١	الفصل الخامس : مقاصد تعليل الأخلاق في القرآن الكريم
٣٥٧	المبحث الأول: المقاصد الدنيوية لتعليل الأخلاق
٣٥٩	المطلب الأول: مقاصد إصلاح الفرد.
٣٦٦	المطلب الثاني: مقاصد إصلاح الأسرة.
٣٧٣	المطلب الثالث: مقاصد إصلاح المجتمع.
٣٨٥	المبحث الثاني: المقاصد الأخروية لتعليل الأخلاق
٣٨٧	المطلب الأول: أن يكون المقصود من شرع الخلق جلباً للثواب.
٣٩٢	المطلب الثاني: أن يكون المقصود من شرع الخلق دفعاً للعقاب.
٣٩٥	الخاتمة
٤٠١	الفهارس
٤٠٢	فهرس الآيات القرآنية
٤٣٤	فهرس الأحاديث والآثار
٤٣٦	فهرس الأبيات الشعرية
٤٣٨	فهرس المصادر والمراجع
٤٦٦	فهرس الموضوعات